# العقائد

## من

# نهج البلاغة

محسن علي المعلم

دار الهادي



محسن علي المعلم



# العقائد

## من

# نهج البلاغة

دار الهادي

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٨٢١٢٠٣
ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن، وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ السَّادَةِ الْمُنتَجَبِيْن، واللعْنُ الدَّائِمُ عَلَى أعْدَائِهِم وغَاصِبِيهِم حُقُوقَهُم إلى يَوْمِ الدِّين

# مقدمة

بِسْمِ اللهِ وَلَهُ الحَمْدُ والمَجْد، والصلاةُ والسلامُ على خُزّانِ عِلْمِه، ومَعْـــدِنِ حُكْمِه، مَنْ أُوتُوا جَوَامِعَ الكَلِمِ وفَصْلَ الخِطَاب، نَبِيِّنَا الأَعْظَمِ وآلِهِ الأَطْيَـب، ولا سِيَّما بَابُ مَدِيْنَةِ عِلْمِه، ولِسَانِ حِكْمَتِهِ، أَميْرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع).

وبَعْدُ.. فهَذِهِ مجموعةُ دروسٍ تَدُورُ حولَ أُصُولِ العقيدةِ في نَهْجِ البلاغـــة، تَشَرَّفْتُ بِإلقَائِها على لُمَّةٍ مِنَ الأخواتِ المؤمنات، في الفترةِ من ليلة الأربعـــاء ٤ جمادى الأولى سنة ١٤١٤هـــ إلى ليلة الأربعاء ١٩ ذي القعـــدة الحـــرام ســـنة ١٤١٥هـــ، فجاءت في ٣٨ درساً.

و (نَهْجُ البَلاَغَةِ) هو ذلكمُ الأثرُ النفيس، والمعجزةُ الخالدةُ لبطلِ الإســـلامِ ورجلِهِ الفَذّ، الذي خَصَّهُ اللهُ بِمَوَاهِبِهِ وعَطَائِه، ومَنَحَهُ من مَلَكَةِ الكَمَالاتِ مـــا شَاء.

وذلكَ التراثُ الفكريُّ الثريُّ كانَ ولَمْ يَزَلْ مَعِيناً لَمْ يَنْضَبْ، ومَنْهَلاً عَذْبـاً سَلْسَلاً رَقْرَاقاً، لَمْ يَنْفَدْ على وَفْرَةِ وُرَّاده، والمَاتِحِينَ مِنْه، مَعَ اتِّسَاعِ دِلاَئِهم وسِدَّةِ سَوَاعِدِهم، لا بَلْ إِنَّهُم لَمُعْتَرِفُونَ بِقُصُورِ البَاعِ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِه، والوُصُـــولِ إلى أَغْمَاقِه.

وقد أَدْلَيْتُ بدَلْوِي في الدِّلاَء.. وأَنَّى لِي؟ والرِّشَا قَصِير، والسَّاعِدُ وَاهِن.

وقد جاءَتْ تلكمُ الدروسُ شَفَوِيَّةً غَيْرَ مُحَرَّرَةٍ وَقْتَ إِلْقَائِها، ثُمَّ أَفْرِغَتْ مِنْ الأشرطةِ المسجلةِ فيها، وفي ذلكَ ما يحملُ بعضَ العذرِ في ضَعْـــفِ الأســلوب، وعمقِ الطرحِ والفكرة، مضافاً إلى ما رُوْعِيَ من تفاوُتِ مســـتوى الدارســـاتِ

العزيزات.

وحسبي أنْ أجَلْتُ فِكْرِي، وشَرَّفْتُ لِسَانِي بالحَدِيثِ عَنِ الإمامِ العظيم، وشيءٍ مِنْ آثاره، ودلائلِ امتيازِه، فإنْ حَظِيَتْ بالقبولِ والرِّضا فذلكَ ما أرْجُو، وإلاّ فهو بطاقةُ وَلاء، وصحيفةُ وفاء، وعنوانُ انتماء، أسألُ اللهَ الكريمَ أنْ يَتَولاّهُ بقَبُولِهِ الحَسَنِ الجميلِ ويَجْعَلَهُ ذُخْراً وزاداً ليومِ لِقَاه، وأنْ يكافِىءَ بالحُسنى مَنْ سَاهَمَ في إحْيَاءِ هذا الأَثَرِ وتَقْوِيْمِه، حُضُوراً وإرشاداً وتوجيهاً ورِعَاية، وأنْ يُوَفِّقَ الجميعَ للاهتداءِ بنَهْجِ الحق، والسيرِ في طَرِيْقِهِ المُسْتَقِيم.

والحمدُ للهِ دائِماً وأَبَدَاً، والصلاةُ على محمدٍ وآلِهِ سَرْمَدَاً.

٩ ربيع المولود سنة ١٤٢٠هـ

# بين يدي الإمام

صلاة

افتتاح

١- الإعداد الإلهي التكويني لهذه الذات المقدسة

أ- حديث الولادة ب- تربيته في حجر الإيمان

٢- مصادر علمه عليه السلام

أ- القلب الواعي ب- الإلهام الرباني

جـ- حديث الملائكة له عليه السلام د- الملكة الخاصة

٣- طرق التعرف على شخصيته

أ- كتاب الله الكريم

ب- الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله

جـ- دلالةُ عليٍّ على ذاته بذاته

## صلاة

الحمدُ لله الذي لا يبلُغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءَه العـــادون، ولا يؤدي حقَّه المجتهدون، والصلاةُ والسلامُ على رسولِهِ الذي اختارَهُ اللهُ من شــجرةِ الأنبياء، ومشكاةِ الضياء، وذُآبةِ العلياء، وسرةِ البطحاء، ومصابيحِ الظلمة، وينابيعِ الحكمة، وعلى وَصيِّهِ وخليفتِهِ من بعده وبابِ مدينةِ علمِه، ومـــيزانِ حكمتـــه، وعلى آلِهِ أساسِ الدين، وعمادِ اليقين، أزمَّةِ الحَقِّ وألسنةِ الصدق، شجرةِ النبـــوة، ومحطِّ الرسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادنِ العلمِ، وينابيعِ الحكمة.

وبعدُ فقد قالَ اللهُ العظيم في محكَمِ كتابِهِ الكريم:

**{قُلْ كَفَى باللهِ شَهِيداً بيني وبينكَم ومَنْ عندَهُ عِلْمُ الكِتاب}**

## افتتاح

نفتتح درس (نهج البلاغة) ببركات أمير المؤمنين (صلـــوات الله وســـلامه عليه) ومن حسن التوفيق أن يأتي هذا الدرس بعد إنهاء درس (في رحاب القـــرآن) في هذا المجلس المبارك. ذلك لأن كلام الأمير عليه السلام فوق كلام المخلوقـــين ودون كلام الخالق تبارك وتعالى. وأود أن تكون الدروس الأولى حول صاحب النهج ثم حول جامع النهج وبعدها حول هذا النهج الخالد.

وإني لأبتعد وأنأى عن أن أتناول شخصية أمير المؤمنين عليه السلام من جوانـــب طرح الأدلة التي تثبت منزلته السامية ومقامه الرفيع. ذلك لأن هذه القضية قـــد أحكمت إحكاماً، وهي بمنأىً عن التشكيك، وفضائله -صلوات الله وســـلامه عليه- من الضروريات المسلّمات التي لا تحتاج إلى إثبات سند أو عنعنة روايـــة أو رد شبهة أو فرية. وفي شخصيته صلوات الله عليه تتعانق الكمالات وتتســـابق إلى ذاته، فهو ملتقى الفضائل في أروع صورها. فنتناول -هنا- ثلاثة أمور.

## أولاً: الإعداد الإلهي التكويني لهذه الذات المقدسة

وقد تجلى ذلك في ناحيتين: حديث الولادة، وتربيته في حجر الإيمان.

### أ- حديث الولادة

فهو من قلب الشجرة الهاشمية الكريمة المباركة. وجاءت ولادته في عناية إلهية خاصة فوق المقاييس، وفوق الاختيار البشري. فلم يكن لفاطمة بنت أسد أن تختار، ولم يكن لأبي طالب، ولم يكن لعلي، ولم يكن للرسول، إنما كان لله وحده أن يختار. وقد اختار اللهُ تعالى أن يشرِّف كعبتَه بمولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتلك منزلة لم تكن لوليٍّ مقرَّب، ولا لنبيٍّ مرسل، إنما كانت لوليِّ الله الأعظم، وأشرقت الكعبة بنور علي فكانت مولده ومهده.

قال الشيخ حسين نجف:

جَعَلَ اللهُ بيتَهُ لعليٍّ ... مولداً يا لَهُ عُلاً لا يُضاهَى

لَمْ يُشارِكْهُ في الولادةِ فيهِ ... سَيِّدُ الرُّسْلِ لا ولا أنبياها

وقد قال عبدالباقي العمري في رائعته:

أنتَ العَلِيُّ الذي فوقَ العُلَى رُفِعَا ... بِبَطْنِ مَكَّةَ وَسْطَ البيتِ إذْ وُضِعَا

وقال السيد الحميري:

وَلَدَتْهُ في حَرَمِ الإلهِ وأمْنِهِ ... والبيتُ حيثُ فناؤهُ والمسجدُ

بيضاءُ طاهرةُ الثيابِ كريمةٌ ... طَابَتْ وطَابَ وَلِيدُها والمَوْلِدُ

وقال السيد حسين البروجردي (ت١٢٨٤هـ)

هو الذي كانَ بيتُ اللهِ مَوْلِدَهُ ... وصاحبُ البيتِ أدرى بالذي فيهِ

وقلت -وهو أول شعر قلته-

رخامة لَمْ تكنْ قِدْماً سِوَى حَجَـرٍ ... لا فَضْلَ فيها على نوعٍ مِنَ الحَجَـرِ
شَرَّفْتَها وَسْطَ بيتِ اللهِ فـافْتَخَرَتْ ... بِحِكْمَةٍ قد أَرَادَتْها يَـــدُ القَــدَرِ

وقد أشبع شيخ المحققين الأميني الموضوع بحثاً بإيراد المؤلفين والشعراء وإضمامة من الشعر في هذا الحدث الأعظم.[1]

ورد الإمام عليه السلام هذا الجميل -إن كان جميلاً- بأن طهر البيت من الأصنام

لَمَّــا دعــاكَ اللهُ قدمــاً لأنْ ... تُولــدَ في البيــتِ فلبيَّــهُ
شَــكَرْتَهُ بــينَ قريــشٍ بــأنْ ... طهَّرْتَ مــن أصنامِــهم بيتَــهُ

## ب- تربيته في حجر الإيمان

وليس هناك من لحظة فاصلة بين حديث الولادة وتربيته في حجر الإيمان. فقد فتح عليٌّ عينيه وهو بين يدي رسول الله صلى الله عليهما وآلهما. فكانت تربيته، بدناً وروحاً وقلباً وفكراً وخلُقاً وكل وجوده، على يدي أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وآله. وتقصر الكلمات هنا ويتراجع البيان. وما دام علي فوق المخلوقين -في امتيازاته باستثناء النبي الأعظم- فهم عاجزون عن الحديث حول هذه التربية الخاصة. إذن فلتصغِ قلوبنا إلى ما يقوله عليٌّ -وهو الصادق الأمين- مؤرّخاً هذه الفترة من حياته الشريفة. يقول عليه السلام:[2]

(أنا وضعتُ في الصغرِ بكلاكلِ العربِ، وكسرتُ نواجمَ قرونِ ربيعةَ ومضر. وقد علمتُم موضعي من رسولِ اللهِ(ص)بالقرابةِ القريبة، والمنزلةِ الخصيصة.

---

١ - الغدير ٦/٢١-٣٨ (ولادة أمير المؤمنين في الكعبة).

٢- نهج البلاغة، خ١٩٢، ص٣٠٠ - ٣٠١.

وضعني في حجرِه، وأنا ولدٌ، يضمُّني إلى صدرِه، ويكنفني فراشُه... وما وجدَ لي كَذبةً في قولٍ، ولا خَطلةً في فعلٍ. ولقد قرنَ اللهُ به(ص)مِنْ لَدُنْ كان فطيماً أعظمَ مَلَكٍ من ملائكتِه، يسلكُ به طريقَ المكارم، ومحاسنَ أخلاقِ العالمِ، ليلَهُ ونهارَه، ولقد كنتُ أتبعهُ اتباعَ الفصيلِ أثرَ أمِّه، يرفعُ لي في كلِّ يومٍ من أخلاقِه عَلَماً ويأمرني بالاقتداءِ به. ولقد كان يجاورُ في كلِّ سنةٍ بحراءَ، وأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلامِ غيرَ رسولِ اللهِ(ص) وخديجةَ وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة...)

نعم، لإنْ كان اللهُ تعالى خصَّ محمداً بأعظمِ ملَك، فقدخصَّ اللهُ علياً بمحمدٍ وهو أعظم الخلق فقال: (أنا أديبُ الله وعليٌّ أديبي). [1]

## ثانياً: مصادر علمه (عليه السلام)

من منافذ التعرف على شخصيته (عليه السلام) منافذ العلم الذي حوته جوانحه، وكيف كان عليٌّ بها علياً. وهذه المنافذ هي:

### أ – القلب الواعي

ففيه نزلت –بعد دعاء الرسول له– {وتعِيها أذُنٌ واعية} [1]. فلم يسمع شيئاً من عطاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلاَّ وعاه.

---

١ – البحار ٢٣١/١٦.

١ – الحاقة – ١٢.
ومن مصادر نزولها في علي: أسباب الترول /٢٩٤، وشواهد التتريل ٢٧١/٢–٢٨٥، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٦٠/٦، ولباب النقول في أسباب الترول /٢١٩.

## ب- الإلهام

وهو أعظم من الجانب الأول، فلقلبه من الانشراح والصفاء ما يطلع بـــه على كل ما في الكون، وعلى حقائق الأشياء، فلم يسأل عن مسألة، أو يفزع إليه في نازلة إلا وأتى بحلها وكشف جواها.

## ج- حديث الملائكة

وقد كان ذلك في زمن الرسول الأكرم ﷺ وكذلك بعده كما مـــر في الخطبة الشريفة السابقة الذكر، وكما جاء في الروايات.[1]

وهذه ملامح مترلة تسمو على منازل أولي العزم من الرسل.

## د- الملكة الخاصة

يرى الشيخ ميثم البحراني -أعلى الله مقامه- أن ما يخبر به أمير المؤمنـــين عليه السلام من المغيبات وعلم الملاحم، ليس ناتجا من مجموعة أحاديث سمعها من النـــبي ﷺ وإن كانت هذه مترلة سامية أن يكون مستودع أسرار الله- ولكن الأمـــر يرجع إلى مترلة أسمى وهي الملكة الخاصة التي تشرق بها هذه النفس الإلهية المميزة فتطلع على ما في الكون، فتفيض علما وإحاطة، بل إن هناك رأيا لبعض العلمـــاء أسمى حتى من هذه المترلة، وإلا فما معنى أن يستوعب إنسان ألف ألف (مليـــون) باب من العلم في مناجاة واحدة! إنه لأمر فوق التصور وخلاف المقاييس![2]

---

١ - الكافي ١/٢٣٠ (ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم) و ص٢٦٤ (جهات علوم الأئمـــة) و ص٢٧٠ (أن الأئمة (ع) محدثون فهمون) و ص٢٧٣ (الروح التي يسدد بها الأئمـــة (ع)) وأحـــاديث كثيرة في مواطن عديدة.

٢ - شرح نهج البلاغة ١/٨٣-٨٥.

وهذا وغيره لم يتردد علي في حكم قط و لم يتحير في مسألة أبـــداً[1] وإلى الآن في مسمع الدهر ووعيه: (سلوني قبل أن تفقدوني) وهي كلمته الشهيرة والتي ما قالها أحد غيره إلا افتضح.

ولهذا يرى الشيخ الأميني أن النظر إلى الإمامة باعتبارها مرتبة سامية مـــن الكمالات التي تملكها هو حط من عالي قدرها وجهل بحقيقتها، بل يجب النظر لها من الجانب الآخر الذي هو مصدر الفيض لها ألا وهو الله تعالى وتقدس الـــذي اختار الإمامة والأئمة.

## ثالثاً: طرق التعرف على أبعاد شخصيته

### *أ – كتاب الله الأعظم*

وهو الطريق الدقيق الصائب الذي لا يضاهيه قول مبدع منصف أو شـاعر عاشق لعلي محلق، فمن أراد ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام فإن كتاب الله تعالى خـــير مصدر لذلك.

**{ويَقُولُ الذينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى باللهِ شهيداً بيني وبينَكم ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتاب}**

فمِمَّا تثبت به القضايا شهادة شاهدي عدل، وهـــذه القضيـــة الكـــبرى شاهداها هما الله تعالى وعلي، فأي شيء فوق أن يكون أمير المؤمنـــين (مـــع الله تعالى!) شاهداً على صدق النبوة بكلّ عظمتها ومقامها الجليل. وخذ آية التطـهير وعشرات بل مئات الآيات التي ترجمت مقامه وبينت أنه نفس النبي وناهيك بـــه

---

١ – عن عكرمة عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال له (لعلي): يا أبا الحسن إنـــك لتعجـــل في الحكم والفصل للشيء إذا سئلت عنه، قال: فأبرز علي كفه وقال له: كم هذا؟ فقال عمر: خمســـة، فقال: عجلت أبا حفص، قال: لم يَخْفَ عَلَيَّ، فقال عليٌّ: وأنا أسرع فيما لا يخفى عَلَيَّ.
بحار الأنوار ١٤٧/٤٠، وشواهد التتريل ٣٠٧/١.

من مقام[1]. ولسنا بعد ذلك بحاجةٍ إلى ترجمة أحدٍ، وقد قال النبي:

(يا عليُّ ما عَرَفَ اللهَ حَقَّ معرفتِهِ غيري وغيرُك، وما عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ غيرُ اللهِ وغيري)[2]

## ب - الرسول الأعظم محمد ﷺ

فقد عاصر دعوة الرسول ﷺ من أول يوم إلى آخر يوم مروراً بهذه الفترة وأحداثها، فكان عليٌّ فيها روح النبي وقلبه بل كان نفسه، وكفى لذلك حديث (عليٌّ مِنِّي وأنا مِنْه).[3]

## ج - دلالة عليّ على ذاته بذاته

فهو يدل بذاته على كمالاته ومقامه، ومن هذه الدلائل هذا النهج المعجز الخالد، الذي لم يتجلَّ فيه هذا الإبداع في الصياغة وحسب، بل فيه تبيان لكلِّ شيء، فهو فكرٌ إلهي في قوالب علوية، والقرآن فكر إلهي في قوالبَ إلهية. وإذن فمصدر الإبداع واحد وهو الله تعالى وتقدس فلا غروَ أن يكون نهج البلاغة بهذا المستوى وبهذا المقام الجليل.

---

١ - كما في آية المباهلة {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُمْ ونِسَاءَنا ونِسَاءَكُمْ وأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ على الكاذبين} آل عمران- ٦١.

٢ - مناقب آل أبي طالب ٣/٦٠.

٣ - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق ١/١٤٨.

## وختاماً

وإن كان يلذُّ للروح والمشاعر والوجود أن تهيم في هذه الذات، إلاَّ أننا ختاماً نكتفي بهذا الأثر الذي يرويه العلاّمة الحلي في منهاج الكرامة/١٢٥، يقول الراوي سمعتُ رسول الله ﷺ وقد سُئِلَ بأي لغةٍ خاطبك ربُّك ليلة المعراج فأجاب: (خاطبني بلغةِ عليٍّ عليه السلام فألهمني أنْ قلتُ: يا ربِّ خاطبتني أم علي عليه السلام؟ فقال: يا أحمد، أنا شيءٌ لا كالأشياء، خلقتُكَ من نوري وخلقتُ علياً من نورِكَ، فاطَّلعتُ على قلبك فلم أجدْ أحداً إلى قلبِكَ أحبَّ من عليِّ بنِ أبي طالب فخاطَبْتُكَ بلسانِهِ كيما يطمئِنَّ قلبُكَ).[١]

وفي الحقيقة، أنا لا أفهم هذا السرَّ وما معنى هذه المخاطبة، وأعتقد أن الأمر لا يعني أنه كلام يشبه كلام عليٍّ ونبراتٍ كنبراته، بل أعتقد أن الأمر فوق ذلك وله أسرار لا نحيط بها.

وهذه رواية يرويها مخالفو أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب مئات بل آلاف الروايات التي تشير إلى شخصية أمير المؤمنين عليه السلام.

هذه الشخصية التي خلدها التأريخ و لم يخلد غيرها ممن تسلم الخلافة أو غيرهم، وهم الذين كانوا يحرجون حينما يتحدثون! وأما أمير المؤمنين عليه السلام فإنه خلَّد للأجيال -فيما خلد- هذا النهج الذي هو أثر من آثار الله تعالى.

وبعد فهذه نعمة حظيت بها بنات الزهراء(ع)في هذا المجلس المبارك، في حين حرِمَ منها الكثير، وجزاء هذه النعمة هو العمل بهداها وأن تَنفُذَ إلى أعماقنا.

نسأل الله أن نكون ممن يقتدي بأمير المؤمنين عليه السلام وأن لا نكون ممن يساهم في ظلمه، فإن من الظلم، بل من أشد الظلم لعليٍّ أن يبقى نهج البلاغة

---

١- كشكول البحراني ٥٤/١ وقد أورد روايتين الثانية منهما عن أبي المؤيد الموفق بن أحمد المعروف بأخطب خوارزم في الباب السادس من كتاب (المناقب) ص٧٨، ط٣.

بعيداً عن فكرنا وحياتنا ومشاعرنا، في حين أنه هو الفكـــر الأصيـــل والتربيـــة الصحيحة والموعظة والثقافة والتأريخ والعطاء الذي لا حدَّ له. إذن جديـــر بنـــا ونحن ننتمي إلى هذه الدوحة بكلِّ فخرٍ واعتزاز، أن نحيى حياة علي بن أبي طالب.

**(اللهُمَّ أحيني على ما أحييتَ عليه عليَّ بنَ أبي طالب وأَمِتْني على ما مَاتَ عليهِ عليُّ بنُ أبي طالب)** [1]

---

١ – من أدعية تعقيب صلاة الصبح، مفاتيح الجنان /١٩.

# الشريف الرضي

**أولاً: مدخل**

**ثانياً: نسب الشريف الرضي**

**ثالثاً: حياته ومعالم شخصيته**

أ - إشارات إلى عظمة شخصيته منذ صباه

ب - العمر القصير ج - الكيان العلمي العظيم

د - آثاره هـ- جمعه لنهج البلاغة

و- القيادة المميزة

**رابعاً: صفاته**

١ - النبوغ المبكر ٢ - إباؤه المنقطع النظير ٣ - سمو نفسه

٤ - كرمه ٥ - علوُّ همته ٦ - شموليته

**خامساً: الشريف الرضي قدوة للمؤمنين الموالين**

## مدخل

أردت أن يكون هذا الحديث حول الشريف الرضي ناظمِ عقـــدِ النــهجِ العلوي، وذلك للتعرف على شخصية جامع النهج لتحديد مدى ثقتنا بما جمعه لنا من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومدى دقة اختياره وتعليقاته حول هذا العلم الإلهــي والكلام النبوي. وإن كان الشريف الرضي أسمى من أن يُعَرَّفَ أو يرقى له شك.

## ثانياً: نسب الشريف الرضي:

جدِّي النبيُّ وأمـــي بنتــهُ وأبي ... وصِيُّهُ وجُدودي خِــيرَةُ الأمَــمِ
لنا المقامُ وبيـــتُ اللهِ حُجرتــهُ ... في المجدِ ثابتةَ الأطنابِ والدُعــمِ [1]

هو أبو الحسن محمد بن الحسين الطاهر بن محمد بن موسى بن محمد بـــن إبراهيم المجاب بن الإمام موسى بن جعفر (ع).

وهو -كما في مصطلحهم- قصير النسب، أي يكفي ذكر هذه السلســلة الشريفة من نسبه للتعريف به وأنه منحدر من شجرة مباركة، ويعد هذا مفخــرة وشرفاً كبيراً.

وكان أبوه جليلاً عالي القدر، تقلب في مناصب العظمة من النقابة (يلقــب بالنقيب الأوحد) وكذلك منصب رد المظالم وإمارة الحجيج، وما إلى ذلك مـــن مراتب عظيمة. وأما أمه فهي المرأة الجليلة فاطمة بنت الناصر من ســـلالة زيـــن العابدين (عليه السلام) وقيل يلتقي نسبها بنسبه بأمير المؤمنين (عليه السلام) من طريق ابنه عمــر، وكانت أمه عظيمة الشأن جليلة المواقف، ولقد قال فيها الرضي:

---

١- ديوان الشريف الرضي ٢/٣٨٨.

لو كان مثلَكِ كلُّ أمٍّ برَّةً غنِيَ البنونَ بها عن الآباءِ [1]

ولد الشريف الرضي(ره) سنة ٣٥٩هـ وتوفي سنة ٤٠٦هـ فيكون عمره الشريف المبارك والقصير الطاهر ٤٧سنة فقط، وفي هذا يقول أخوه المرتضى:

للهِ عمرُكَ من قصيرٍ طاهرٍ ولَرُبَّ عمرٍ طالَ بالأدناسِ

# ثالثاً: حياته ومعالم شخصيته

## أ- إشارات إلى عظمة شخصيته منذ صباه

فمن ذلك ماروراه شيخ الأمة ومعلمها أبو عبدالله محمد بن محمد المفيد الأجل -قدس الله روحه الطاهرة- يقول بأنني رأيت فاطمة الزهراء(ع)وقد جاءت إلى المسجد وبيدها الحسن والحسين (ع) فقالت لي: يا أبا عبدالله، هذان ابناي فعَلِّمْهُما الفقه، يقول: فتحيرتُ من هذه الرؤيا... حتى كان اليوم الثاني فإذا بي وأنا في المسجد قد جاءت فاطمة بنت الناصر ومعها وصائفها ومعها جواريها وهي في وسطهم وبيديها ولداها محمد وعلي [2] وقد قالت لي: يا أبا عبدالله هذان ولداي فعَلِّمْهُمَا الفقه، فبكيتُ لذلك وذكرتُ لها الرؤيا. [3]

فعَلَّمَهُمَا وقد فتح الله لهما أبواب الفقه وأبواب المعرفة.

هذا الحدث في بداية دور هذه الشخصية، واشتمال الحدث على الزهراء والحسن والحسين (ع) وواسطة إمام الأمة المفيد، إضافة إلى صدق هذه الرؤيا وانطباقها وتحققها في الخارج -كل ذلك إنباء في حينه- عن مستقبل هذه الشخصية الزاخرة بالعظمة والعطاء.

---

١- ديوان الشريف الرضي ٢٧/١.

٢-محمد هو الرضي، وعلي هو المرتضى.

٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤١/١.

### ب- العمر القصير

وإن المرء ليقضي عجبا أن السيد استطاع في هذا العمر القصير أن يكون كيانا علميا ضخما ويخلد آثارا ويصنع قيادة مميزة -كما سنتحدث عن هذا هنا إن شاء الله تعالى، ولكن ألا يرفع هذا التعجب معرفتنا أنه من سلالة النبوة وشرف الإمامة وكفى؟

### ج- الكيان العلمي العظيم

كانت بغداد آنذاك عاصمة العلم ومهوى الأفئدة، وكانت مجمع العلماء على اختلاف مللهم ونحلهم وأفكارهم، وحسبك أن فيها عالم الأمة الأوحد وإمامها المفيد، وكانت له حلقته الكبرى، ومع ذلك فقد كان لتلميذه الشريف الرضي حلقته المميزة لجامعيته للعلوم، وكان له مقام خاص مميز في هذه العلوم لا سيما فيما يتعلق بالعربية وفنون الأدب، وكان له ما يسمى مجمعا علميا ومكتبة مميزة يرتادها أقطاب الأدب ورواد المعرفة، على غرار أخيه المرتضى وأستاذه المفيد.[1]

### د- آثاره

وجه الشريف الرضي عنايته العلمية -أولا- إلى كتاب الله عز وجل، وآثاره حول القرآن الكريم كثيرة، منها:

١-(حقائق التأويل) ويوجد منه الجزء الخامس فقط عنيت بطباعته جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف. ومما يؤسف عدم وجود الأجزاء الأخرى من الكتاب، وذلك خسارة للمكتبة الإسلامية إذ يعد هذا الكتاب بمقدار كتاب (التبيان) للشيخ الطوسي -قدس سره- أو تفسير الطبري. ومع ذلك فإنه يعرف

---

١- لاحظ حقائق التأويل (المقدمة) ص٨٦.

من هذا الجزء المطبوع عمق الشريف الرضي في علم الكلام والعربية والتفسير وما يدور في هذا الفلك.

٢- (تلخيص البيان في مجازات القرآن) وهو مطبوع.

٣-(معاني القرآن)، وكتب أخرى كثيرة حول القرآن الكريم.

ثم وَجَّهَ عنايته العلمية -ثانياً- إلى حديث جده ﷺ ومن آثاره فيه (مجازات الآثار النبوية)، أو قد يسمى (المجازات النبوية) وهو -بحمد الله- مطبوع.

ثم وَجَّهَ عنايته -ثالثاً- إلى فضائل آبائه الطاهرين (ع)، فكان من ذلك جمعه لمعجزة علي (نهج البلاغة). كما للشريف الرضي شروحٌ وتعاليقُ على كتب غيره وجمع لشعره وشعر غيره مثل (الحسن من شعر الحسين) أي الحسين بن الحجاج الشاعر الشهير.

### هـ- جمعه لنهج البلاغة

لا شك أن من تسمو نفسه إلى هذه القمم الشامخة ويتوجه إلى دُرَرِ وجواهرِ أمير المؤمنين عليه السلام لينظمها في عقد (نهج البلاغة) ينبغي أن يكون له من السمو ما يليق بشجرة النبوة.

وينبغي ألاّ يظن أن هذا الجمع أمر سهل يسير، فإن الاختيار دليل عقل المختار.

فلما بلغ الشريف الرضي من الكمالات والاستعداد، والنضج الفكري ما يؤهله لجمع النهج توجه لذلك. ولنصغِ إليه في مقدمته القيمة للنهج وهو يحدثنا عن جمعه للنهج، يقول رضوان الله تعالى عليه:

((فإني كنتُ في عنفوانِ السن، وغضاضةِ الغصن، ابتدأتُ في تأليفِ كتابٍ في خصائصِ الأئمةِ (ع)، يشتملُ على محاسنِ أخبارِهم وجواهرِ كلامِهم، حَدَانِي

عليه غرضٌ ذكرتُهُ في صدرِ الكتاب، وجعلتُه أمامَ الكلام. وفرغتُ من الخصائصِ التي تخصُّ أميرَ المؤمنين علياً عليه السلام وعاقت عن إتمامِ بقيةِ الكتاب محاجزاتُ الأيام، ومماطلاتُ الزمان، وكنتُ قد بوَّبتُ ما خرجَ من ذلك أبواباً، وفصَّلتُهُ فصولاً، فجاء في آخرها فصلٌ يتضمنُ محاسنَ ما نقِلَ عنه عليه السلام من الكلامِ القصيرِ في المواعظِ والحِكَمِ والأمثالِ والآداب، دون الخطبِ الطويلةِ والكتبِ المبسوطة، فاستحسَنَ جماعةٌ من الأصدقاءِ ما اشتمل عليه الفصلُ المقدَّمُ ذكرُه معجبينَ ببدائِعِه، ومتعجبينَ من نواصِعِه، وسألوني عند ذلك أن أبتديءَ بتأليفِ كتابٍ يحتوي على مختارِ كلامِ مولانا أميرِ المؤمنين عليه السلام في جميعِ فنونِه، ومتشعباتِ غصونه: من خطبٍ، وكتبٍ، ومواعظَ، وأدب. علماً أن ذلك يتضمن من عجائبِ البلاغة، وغرائبِ الفصاحة، وجواهرِ العربية، وثواقبِ الكَلِمِ الدينيةِ والدنيويةَ، ما لا يوجدُ مجتمعاً في كلام، ولا مجموعَ الأطرافِ في كتاب، إذْ كان أميرُ المؤمنين عليه السلام مشرَعَ الفصاحةِ وموردَها، ومنشأَ البلاغةِ ومولدَها، ومنه عليه السلام ظَهَرَ مكنونُها، وعنه أُخِذَتْ قوانينُها، وعلى أمثلتِهِ حذا كلُّ قائلٍ خطيب، وبكلامِهِ استعانَ كلُّ واعظٍ بليغ، ومع ذلك فقد سبقَ وقصروا، وقد تقدَّمَ وتأخَّرُوا، لأنَّ كلامَهُ عليه السلام الكلامُ الذي عليه مسحةٌ من العلمِ الإلهي، وفيه عبقةٌ من الكلامِ النبوي...))

إذن فالشريف الرضي (ره) بكل ما يحمل من شرف السيادة وطيب العنصر، وعلمٍ وإيمانٍ ومراقبةٍ لله تعالى، ومن فصاحةٍ وبلاغةٍ وذوق رفيع - نجده هو (وليس غيره) الذي أشرف بنفسه على انتقاء وجمع هذا الأثر الخالد وهذه الحقيقة في الواقع توثيقٌ لهذا الجمع وحسْمٌ وردٌ رادعٌ لكل مثيري التشكيك حول هذا النهج العظيم.

### و- القيادة المميزة

شرَّفَ الشريف الرضي مناصبَ عدة ضخمة تصل إلى حد أنها خلافة في خلافة كما يحلو لبعض المؤرخين التعبير به. فلم يتجاوز العشرين قليلاً إلاّ وهو

نقيب الطالبين يرعى شؤونهم رعاية تامة، ويحصيهم ويراقب الداخل فيهم بغير حق والخارج منهم، ويفي لهم بحقوقهم ويقوم بتأديبهم وإرشادهم وتوفير عطاياهم والقيام بقضاياهم. ثم ترَقّى ليكون نقيب النقباء، ثم أُوكِلَتْ إليه ولاية المظالم وإقامة الحقوق، ثم إمارة الحاج وهذا منصب كان في ذلك الوقت كبيراً وخطيراً يعتبر تمثيلاً للخليفة العام في أهم موسم للمسلمين وهو الحج العظيم. ولم يكن هذا المنصب ليعطى إلاّ لمن توفرت فيه الشجاعة والحزم والعلم وسائر المؤهلات والكمالات ثم ترقّى ليعطى إمارة الحرمين. وكان كفأً لهذه المناصب بل كان أكثر من ذلك، حتى أنه كان يطمح أن يشرف الخلافة بتوليه إياها. [1]

## رابعاً: صفاته

### ١- النبوغ المبكر

ومن شواهد ذلك أن السيرافي -شيخ العربية في وقته- كان أستاذاً للشريف الرضي (وعمره ١٠ سنوات) فسأله مختبراً: ما علامة النصب في قولنا: رأيت عُمَرَ (أو عَمْرَواً)؟

فأجاب الشريف الرضي على البديهة: إنَّ عَلامَةَ النَّصْبِ بُغْضُ أَمِيرِ المؤمِنِينَ عليه السلام. فعجب الحاضرون من جرأته في ذلك المحفل، الذي ملؤه علماء العامة، وسرعة بديهته وحِدَّةِ فكره. [2]

### ٢- إباؤه المنقطع النظير

عُرِفَ عنه أنه كان يأبى أخذ العطية حتى من أبيه، ويذكر المؤرخون أنه عندما حفظ القرآن الكريم وعمره (٣٠ سنة) في فترة وجيزة جداً، قال له معلمه:

---

١- يلاحظ الغدير ٢٠٤/٤ إلخ و (حقائق التأويل) المقدمة ص٧٨ إلخ.

٢- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢٣٤/١.

في أي محل تسكن أنت؟ فأجابه في منطقة معينة، أي مع أبي في بيته، فقال معلمه: إنها محلة لا تليق بمقامك، هذا بيتي قد ملّكتك إياه، فأبى عليه وتمنع وقال: إني لا أقبل بعطايا أبي فكيف أقبل بعطايا غيره؟ فقال معلمه: أنا أولى بأن تقبل عطيتي من أبيك، فإني قد علمتك كتاب الله، فاستجاب له على كره. [1]

## ٣- سمو نفسه

فإنه وهو الشاعر العظيم الذي تنقاد له القوافي وتستجيب له المعاني قد ترفع عن التملق للحكام بالمدح الفارغ لنيل عرض الدنيا مهما كان كثيراً، و لم يتترل في وصفه للغزل والخمريات كعادة الشعراء حتى الكبار منهم، بل كان في جانب واضح يرمَقُ من الوقار والترفع، فلم يساوم بشعره على حساب شخصيته ولهذا لقب بالشريف الأجل، ولا شك أن ذاك الإباء وهذا السمو عالم خاص ارتضاه الشريف الرضي لنفسه السامية.

## ٤- كرمه

كان كريماً كآبائه الكرام، ومن ذلك أنه وأثناء سيره للحج أميراً على الحجاج، قطع عصابة عليه الطريق، ففدى الحجاج وحَفِظَ حياتهم هو وأخوه بتسعة أو سبعة آلاف دينار من مالهما الخاص. [2]

## ٥- علو همته

فكان -كما مرَّ- يتطلع إلى أن يشرف الخلافة بتوليه إياها، ويرى نفسه أحق بها من أولئك الخلفاء.

فيخاطب أحد الخلفاء قائلاً:

---

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٤/١.

٢- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢٣٥/١.

إلاّ الخِلافةَ مَيَّزَتْكَ فإنني      أنا عَاطِلٌ عَنْهَا وأَنْتَ مُطَوَّقُ

ويمسك بلحيته الشريفة يشمها فيلتفت إليه الحاكم الكبير آنـذاك قـائلاً: كأنك تشم منها رائحة الخلافة فيجيبه السيد: لا، وإنما رائحة النبوة.[1]

### ٦- شموليته وجامعيته للمعارف والكمالات

يبرز العظماء والعباقرة في مجال أو مجالات محددة، وقل من يبرز في كـل مجال، والشريف الرضي من هؤلاء القلة، فقد برز وحلق في كل فضيلة ومنقبـة. وما ذكرناه في هذا الدرس الشريف دليل كافٍ على هذا الاعتقاد، رغم أن مـا ذكر شيء يسير من عطائه وشخصيته الفذة. ويجب أن نعترف بأننا قصرنا في بيان فضل السيد (ر) إلاّ أن شهرته التي ملأت الخافقين تغني عن بياننا، فهو الخالد بخلود جده أمير المؤمنين عليه السلام.[2]

## خامساً: الشريف الرضي قدوة للمؤمنين الموالين

أغتنم الفرصة ونحن في هذه الرحاب المقدسة الطاهرة أن أشير إلى جوانـب القدوة لنا في هذه الشخصية النادرة. فإنه كان يريد للطـالبيين، وهـو نقيبـهم ومؤدبهم، أن يكونوا أفضل العباد، وأن يحاكوا آبـاءهم الطـاهرين في إيمـانهم واستقامتهم وهديهم. ولهذا كان عندما يُرْفَعُ إليه طالبيٌّ جَنَى يوفيه حقـه مـن التعزير ثم يضيف إليه تعزيراً آخر. فيُسْأَلُ عن ذلك فيجيب بأن هذا سلالة منتجَبة من محمد وعلي وفاطمة فيجب أن يكون عمله يليق بهـم وأن يكـون قـدوة للآخرين.[3]

---

١- الكشكول للشيخ يوسف البحراني ٣١٦/١.

٢- يلاحظ حقائق التأويل (المقدمة) ص٨٤-٨٥.

٣- حقائق التأويل في متشابه التنزيل (المقدمة) ص٦٣.

ويقول لبعض القائمين بالأمور:

لا تَنْظُرِ الباغِي لِقَرْبَى وَارْمِـــهِ بالذّلّ واقْطَعْ ما عَلَيهِ يُعَــــوِّلُ
والعَفْوُ مَكْرُمَةٌ فَإِنْ أَغْرَى بِـــها مُتَغافِلٌ قالَ الرجـــالُ مُغَفَّــلُ [1]

فيجب ونحن أتينا هنا يجمعنا حبنا ورغبتنا في عطاء أمير المؤمنـــين عليه السلام أن نكون لائقين به ونحاسب أنفسنا بمقاييسه عليه السلام. يجب على الطالبـــة العزيـــزة أن تهذب نفسها من كل منقصة قبل الحضور إلى درس علي لأنه هو الكمــــال ولا يرضى منا النقص، فعلى التلميذة المؤمنة أن تلتفت إلى قولها وعملها وصحبتـــــها للآخرين لتكون سيرتها على نهج علي، وهذا درس لنا جميعاً أن نستشعر أننا أتينـــا هنا لنكون بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فيجب أن نكـــون في مســـتوى شـــرف الإضافة والانتساب لائقين لأن نكون تلاميذَ له، وإلاّ كان علمنا وبـــالاً علينـــا. ينبغي مجاهدة النفس وتحقيق صفائها لينفذ إليها نور علي.

**جعلنا الله ممن يقتدي بمثل هذه السيرة المباركة وأعاننا على أنفسنا**

---

١ – حقائق التأويل (المقدمة) ص٦٣.

# سهام التشكيك

**أولا: سند نهج البلاغة**

**ثانيا: التشكيك في نسبة نهج البلاغة**

**ثالثا: أسباب التشكيك**

أ- أسباب مفتعلة أو ثانوية    ب- أسباب حقيقية أو أساسية

١- احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على من تولى الحكم قبله ومعارضته الواضحة لهم

٢- جهلهم بشخصية الإمام أو بغضهم له مع معرفتهم بمقامه

**رابعا: الرد على التشكيكات**

**خامسا: بعض ما ألف حول نهج البلاغة وحول الشبه المثارة**

**سادسا: مستدركات نهج البلاغة**

**سابعا: نهج البلاغة والضجة العلمية والفكرية**

**ثامنا: موضوعات (نهج البلاغة) وأفكاره**

**تاسعا: القرآن ونهج البلاغة سيرة واحدة**

**وبعد.. خاتمة**

## مدخل

كتاب كأن الله رصـــع لفظــه بجوهر آيات الكتـــاب المـــنزل
حوى حكما كالدر تنطق صادقا فلا فرق إلا أنه غير مـــنزل [1]

# أولا: سند نهج البلاغة

### أ- مقصد الشريف الرضي

وهو أن ينظم هذا الكلم في عقد واحد و لم يكن من قصده وهمه أن يكـون باحثا عن مصادر الكتاب التي كانت ثرية بها مكتبته ومكتبة أخيه ومكتبات بغداد عاصمة العلم آنذاك.

### ب- الشريف الرضي موضع الثقة والعدالة

وذلك ما تعرفناه -في الدرس السابق- في هذه الشخصية الفذة من الثقـــة ومزيد الإيمان والخشية من الله أن يفتري أو يتقول على جده أمير المؤمنـــين عليه السلام قولا لم يقله.

### ج- مصادر نهج البلاغة

إن صح أنها نقطة ضعف تسجل على السيد الشريف فنيا حيـــث أنـــه لم يذكر المصادر التي أخذ منها الكتاب [2] (كما يعتاد عليه الباحثون الآن) إلا أنهـــا

---

١- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢٤٥/١، و لم ينسبهما إلى قائل.

٢- قال السيد الأمين في كتابه (أعيان الشيعة) ٥٤٠/١، "منها (أي بواعث التشـــكيك في نهـــج البلاغة) إنه ليس فيها أسانيد، (والجواب) لأن جامعه لما كان من العلماء الثقات الخيرين وجب قبـول قوله في أنه أخذ ما جمعه من كتب العلماء المعتبرة و لم يكن من قصده من جمعه أن تؤخذ منه الأحكام

والحمد لله قد تداركها الباحثون بعده وأشبعوا البحث فيها بما لا مزيد عليه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

## ثانيا: التشكيك في نسبة نهج البلاغة

طرأ التشكيك على هذا الكتاب العجيب منذ زمن طويـــــل، وقيـــل أول المشككين هو ابن خلكان وقيل غيره، واستمر التشكيك ولعله إلى يومنا هذا.

## ثالثا: أسباب التشكيك

### *أ- أسباب مفتعلة أو ثانوية*

١- الجمل والمصطلحات غير المعهودة

من جملة ما لاحظوا أن هذا الكتاب قد حوى جملا ومصطلحات فلســفية وعلمية يقولون بأنها لم تعهد في ذلك الزمن.

٢- المواضيع العلمية

في حديثه عن الله والمعاد وجملة من الشؤون العقدية، نلاحظ بأنه لم يعــهد عند متكلم أن حام حولها أو تكلم بمثلها فجعلوا ذلك نقطة ضعف وأن هذا أمــر منتحل باعتبار أنه يعبر عن ظواهر لم تعرف إلا في العصر العباسي من جهات علم الكلام أو ما إلى ذلك.

٣- الأسلوب

---

ومسائل الحلال والحرام ليذكر أسانيده وإنما قصد جمع مختارات كلام له حظه في الفصاحة والبلاغــة والمضامين العالية لينتفع قراؤه بذلك. ولو علم الشريف الرضي أنه سيجيء زمان ينكر فيــه بعــض الناس أن نهج البلاغة من كلام علي ويدعي فيه الركة وهو لا يعرف جامعه فينسبه إلى غيره لاجتــهد في ذكر أسانيده وذكر الكتب التي انتخبه منها كما أنه أشار إلى بعضها.

بما فيه من سجع وبما فيه من جوانب بلاغية عديدة، وما فيه من إطالة وإطناب لم يعهد في خطب الخطباء آنذاك، فجعلوا ذلك من الطعن والوهن في هذا الكتاب.

٤- حديثه عن علم الغيب ووصفه لمخلوقات لم يرها.

هذه بعض أسباب التشكيك بالإضافة إلى أمور كثيرة أوصلوها إلى أربعة عشر أمرا أو أكثر.

وتحكي هذه التشكيكات عن أنهم لم يدركوا و لم يعرفوا مقام أمير المؤمنين ﷺ لا سيما ومبناهم على أنه صحابي كسائر الصحابة وترتيبه الرابع في الفضل عند الكثير.

## ب- أسباب حقيقية أو أساسية

١- احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على من تولى الحكم ومعارضته الواضحة لهم:

فقد كان صريحا وواضحا في أحقيته بالإمامة وأنه الوصي. وقد احتج على من ملك الأمر دونه وانتقدهم بعبارات واضحة وصريحة تجلت في خطبته (الشقشقية)، التي لا يقر قرار لأعداء أمير المؤمنين ﷺ بالاستماع إليها، لأنه إذا تمت نسبتها إليه فإما أن يخطئوه وإما أن يخطئوا من خطأهم أمير المؤمنين ﷺ. وتخطئة أولئك لا تجوز عندهم، وتخطئة أمير المؤمنين ﷺ قد يجرؤون عليها، ولكن البعض منهم لا يود أن يصرح بذلك. فلهذا يسعون جاهدين إلى نفيها وأنها لم تصدر منه. ولهذا توجه علماؤنا بالذات إلى هذه النقطة بنحو أخص وأثبتوا المصادر التي اشتملت على هذه الخطبة في كتب كتبت قبل حياة الشريف الرضي أو قبل تدوينه للكتاب، أو لا أقل، من معاصريه بل من أساتذته.[1]

---

١- قال السيد الأمين في (أعيان الشيعة) ١/٥٤٠ ما نصه: وإذا تأملنا بعين البصيرة والإنصاف

٢- جهلهم بشخصية الإمام أو بغضهم له مع معرفتهم بمقامه.

## رابعا: الرد على التشكيكات

١- التخبط في التشكيك

جملة منهم يقولون أن المرتضى هو الذي انتحل هذا الكتاب، وآخرون يقولون اشترك فيه الرضي والمرتضى، وآخرون قد يضيفون آخرين. فلماذا كل هذا؟

٢- اعتراف الشريف الرضي نفسه: فهو يعترف أنه جامع الكتاب.

٣- إرشاده في كتبه إلى ما دونه في نهج البلاغة.

وهذا من دلائل الصدق والانسجام، أن ينسب في كثير من كتبه، في (المجازات النبوية) أو في (حقائق التأويل) أو غيرها جملة من الكلمات والبحوث أنه قد شرحها في (نهج البلاغة)، بل إن بعض معاصريه يرشدون ويشرحون بعض ما ورد في (نهج البلاغة) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

٤- بعد أسلوب الرضي عن أسلوب أمير المؤمنين عليه السلام.

---

وجدنا أن الباعث لهؤلاء على إنكار نهج البلاغة كله أو بعضه إنما هو اشتماله على ما ما يعدونه قدحا في الصحابة المقدسين عن كل قدح كالذي اشتملت عليه الخطبة الشقشقية وغيرها، واشتماله على ما يظهر منه التألم ممن تقدمه في الخلافة وإظهار أنه أحق بها منهم، هذا هو الباعث لهم على الإنكار لا أقل ولا أكثر، وقد أوضح عن هذا المعنى أمير البيان شكيب أرسلان في كلام له في مجمع معه أفاضل دمشق المشهورين حين زارها بعد رجوعه من أوربا بعد الحرب العامة الثانية فجرى ذكر نهج البلاغة فقال أحدهم إنه موضوع على لسان علي ووافقه الباقون والأمير شكيب ساكت فسألوه عن رأيه في ذلك فقال إذا كان موضوعا فمن هو واضعه هل هو الشريف الرضي؟ قالوا: نعم، قال إن الشريف الرضي لو قسم أربعين رجلا ما استطاع أن يأتي بخطبة واحدة قصيرة من خطب نهج البلاغة أو جملة من جمله، نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب دون شك ولكن الذي أوجب الشك فيه اشتماله على القدح في الصحابة الذين هم مقدسون في أنظار الناس.

حتى أن ابن أبي الحديد جعل من الحماقة والغفلة والمكابرة والعصبية أن ينبري أحد فيقول بأن (نهج البلاغة) منتحل وقد قال بملء فيه -وهو العالم الأديب- إننا نعرف مقاييس الشعر وكلمات الشعراء وأنفاسهم وانسجامهم ونميز بين شعر ينسب لفلان وشعر ينسب لآخر، وأن هذا دخيل وهذا صحيح لمعرفتنا لأذواقهم ولمذاهبهم الشعرية. فكذلك عندما نقرأ كلما أو خطبة أو كتابة للرضي نفسه نعرف نفسه ونعرف أسلوبه وأنه شتان مابين ما ضمنه في نهج البلاغة (من كلام الأمير (عليه السلام)) وبين ما كتبه لنفسه ومن عندياته. وسبحان الله أي داع أن يفتخر الرضي بهذا النوع من الكلم وينسبه لغيره؟ لماذا لا ينسبه لنفسه؟ [1]

٥- وجود مصادر قبل النهج ذكرت بعض ما في النهج:

كما نبينه هنا إن شاء الله تعالى.

## خامسا: بعض ما ألف حول مصادر نهج البلاغة وحول الشبه المثارة

والكتب في هذا المجال كثيرة جدا ومن جملتها:

١- (ما هو نهج البلاغة) للعالم الجليل السيد هبة الدين الشهرستاني [2] رحمه الله. وكتابه هذا كراس صغير ولكنه استوعب الحديث عن الشبه الموردة وردها ردا علميا رصينا.

٢- (نهج البلاغة لمن؟) للشيخ محمد حسين آل ياسين. تعرض فيه إلى أن جملة من المقالات نشرت في بعض المجلات فطلبت إليه مجلة (البلاغ) العراقية

---

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٨/١ وهو رأي جدير بالنظر والتأمل.

٢ - وقد كان من الأفذاذ وهو بالإضافة إلى علمه وفقاهته وكثرة مؤلفاته، أيضا ممن شغل مناصب كبيرة في العراق لعله منصب وزارة التعليم وله مكتبة ضخمة عند مرقد الإمام الكاظم (عليه السلام) باسم مكتبة الجوادين ، وهو صاحب كتاب (نهضة الحسين) و (الهيئة والإسلام).

الحديث عن ذلك. وأفاض القول في النقاط المطروحة للبحث والتي أثارها من حاول التشكيك.

٣- (مصادر نهج البلاغة) للعلامة الشيخ عبدالله نعمة [1]. وهو كتاب جليل ويتجلى فيه جهد علمي كبير. وقد بين فيه جملة من المصادر ورد كثيرا من الشبه ولاحظ تأريخها وبدايتها ومن أسس عليها وأصلها وفرع عليها. كما أجاب على كثير من الشبه والإشكالات.

٤- (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) للعلامة الخطيب السيد عبدالزهراء الحسيني ويكاد يكون موسوعة تجمع بين كثير من الأمور، ففيه الاستدراك والدفاع والمعارف والعلوم الجليلة. وهو جدير بالرجوع إليه والقراءة المتأنية، وقد أوفى الغرض بما ذكر من مصادر وأسانيد، وكأنما أكمل جهد الشريف الرضي. وأشار إلى مؤلفات ومجاميع ذكرت جملا كثيرة مما في نهج البلاغة ألفت قبل سنة ٤٠٠ هـ (سنة انتشار أو كتابة نهج البلاغة)، وكذلك إلى أعلام دونوا خطبا وأشاروا إلى كلمات من كلم أمير المؤمنين عليه السلام قبل الشريف الرضي، فمن ذلك:

أ- المفيد وتوفي سنة ٤١٣ هـ.

ب- القاضي أبو حنيفة المصري صاحب كتاب (دعائم الإسلام)، وتوفي سنة ٣٦٣ هـ.

ج- المسعودي الذي توفي سنة ٣٤٦ هـ وذلك قبل وفاة السيد الرضي.

د- أبو حنيفة الدينوري الذي توفي حدود سنة ٢٩٠ هـ.

وكذلك آخرون وقد جاءت أكثر من ١١٤ مصدرا كلها قبل سنة ٤٠٠هـ.

---

١- أحد علماء لبنان المعاصرين وصاحب كتاب (فلاسفة الشيعة) و (روح التشيع) و (عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة) وكتب أخرى في مجالات عدة.

٥- (مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه) لآية الله الشيخ هادي كاشف الغطاء.

## سادسا: مستدركات نهج البلاغة

فإن ما أثبته الشريف الرضي في (نهج البلاغة) لم يكن كل ما أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام كما صرح الشريف الرضي نفسه بأنه انتقاه واختاره، وقد يقف على الخطبة فينقلها أو ينقل شيئا منها، ثم يقف عليها برواية أخرى فيوردها ثانية لا ختلاف الروايتين أو يختار. ولهذا كان الشيخ محمد مهدي شمس الدين المعاصر لا يكتم هذا التبرم أو هذه الرغبة الملحة بأنه ليت السيد أكمل للبشرية هذا النفع بأن دون كل كلم أمير المؤمنين في مختلف المجالات. ومما يهون الخطب شيئا وجود مستدركات لنهج البلاغة يتمم بعضها بعضا، فمن ذلك:

١- ما كتب مستقلا في مجالات أخرى تتعلق بالدعاء (كالصحيفة العلوية والتحفة المرتضوية) [١] و (الصحيفة العلوية الثانية) [٢] وما فيها وكبعض خطب الجمعة و (ألفين كلمة من حكم أمير المؤمنين عليه السلام) وغير ذلك.

٢- (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة) في ٨ مجلدات للشيخ محمد باقر المحمودي. [٣]

٣- (مستدرك نهج البلاغة) لآية الله الشيخ هادي كاشف الغطاء.

---

١- للشيخ عبدالله السماهيجي من كبار علماء البحرين وقد جمع فيها ما صحت عنده روايته من الدعوات. مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٨١/١.

٢- للشيخ الميرزا حسين النوري وقد استدرك فيها ما فات السماهيجي من أدعية أمير المؤمنين ومناجاته. مصادر نهج البلاغة وأسانيده /٨٣.

٣ - هو أحد المحققين المعاصرين وممن له اهتمام بالغ بتحقيق التراث السني الذي يتعلق بأهل البيت G وقد حقق من (تأريخ ابن عساكر) ما يخص الإمام عليا وابنيه الإمامين الحسنين(ع) ، كما حقق (شواهد التنزيل) للحسكاني، وغيرها.

وغير ذلك كثير.

## سابعا: نهج البلاغة والضجة الفكرية والعلمية

هذا الكتاب في واقع الأمر أحدث ضجة ومن بعض حسناتها المهمة أنها عادت ضجة علمية ضخمة، لماذا؟ لأن الحق لابد أن يظهر وإن حاول الجاحدون إطفاء نور الله {ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون} [1]. فنجد أنه قد انبرت للدفاع ولإثبات أمر نهج البلاغة أقلام وأفكار وعقول متفاوتة تختلف في المذهب ولكنها تتحد في النتيجة، فمن كراسة إلى كتاب ضخم في عدة أجزاء كالموسوعة، كلها بيان لهذا الأمر الثابت بما لا يبقي ذرة واحدة من تشكيك، وإن الحر تكفيه الإشارة والمعاند لا تنفعه ألف عبارة، حتى أن بعضهم يأخذ به الهوى والنصب فينال حتى من الشراح لهذا النهج العظيم.

نعم، أحدث ضجة علمية وإلى الآن لم تهدأ. يضاف إلى ذلك ما أثاره من أفكار سواء كان في مجال الفلسفة أو في المعارف الأخرى، فانبرت الأقلام والأفكار للتحليل والتعليل لما كتب، وكما يقول الخطيب السيد عبد الزهراء حفظه الله إنه لو لاحظنا المصادر التي ترجع إلى هذه الأمور لاستطعنا أن نؤلف مكتبة ضخمة باسم (مكتبة نهج البلاغة) [2]. إذن لنا أن نقف في هذا الموقف بكل وثوق بأن هذا الأثر لم يكن أثرا عاديا، بل كلما أوغل الإنسان فيه أصابه العجب بل لا يكاد ينقطع عجبه.

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا

---

١- التوبة -٣٢.

٢- مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١/ ٢٠٠، وقد نقل تحت عنوان (مكتبة نهج البلاغة) مقتطفات قيمة من كلمات الدكتور زكي مبارك.

## ثامنا: موضوعات نهج البلاغة وأفكاره

سار نهج البلاغة سيرة القرآن في هداية البشر وتربيتهم، تحدث في الإلهيات والفلسفة وعلم الكلام وما إلى ذلك. تحدث عن الإنسان وأسرار خلقته وما يحمل من نوازع وعواطف وخواص وما في هذه التركيبة من صنع الله وإبداعه وإعجازه. تكلم عن الآخرة والدنيا، تكلم عن الحرب والسلم، تحدث عن القرآن والفقه والحديث والنبوة والتأريخ وأشار إلى الأصول، تكلم عن الطير والهواء والأرض والسماء والبر والبحر، تكلم عن كل شيء، وهذا كله جانب، ومواعظه وزواجره ونواهيه وأوامره جانب آخر. وقد أحسن الباحثون صنعا في أنهم يستخرجون موضوعات نهج البلاغة ويصنفونها تصنيفا فنيا بما ينسبون كل شيء إلى بابه، تماما كما تأمل الباحثون والمستشرقون منهم فكتبوا في موضوعات القرآن الكريم.

ويقصر الإنسان عن إدراك هذه الحقيقة. كيف يتأتى لإنسان تعرف عيشته وحياته وجميع شؤونه وأنه عاش في وسط معه كثيرون وسبقه كثيرون أكبر منه سنا وجاء بعده من جاء في عصر العلم وازدهاره، هذا وأمير المؤمنين عليه السلام عاش معهم، لهم صلة برسول الله صلى الله عليه وآله كما له على حد سواء، ولكن لا نجد لهم شيئا يذكر، يقول ابن أبي الحديد لو أحصينا ما لغيره وقايسناه بما له عليه السلام لما وجدنا لغيره شيئا، سدسا أو عشرا ولا شيء من هذا. هذا من جهة الكم فما بالكم من جهة الكيف، لم نعهد لعمر أن تحدث في شيء يتعلق بالآخرة ولا بأسرار خلقة الإنسان ولا لأبي بكر ولا لعثمان شيئا من هذا، ناهيك بالفصاحة وكون الكلمات والمعاني أسيرة خاضعة خاشعة له عليه السلام. أنا لا أشك أن المدد من النبي بل من الله تعالى، تماما كما أن القرآن علم الله الذي أنزل على قلب محمد.

## تاسعا: القرآن ونهج البلاغة سيرة واحدة

١- التشكيك فيهما

فقد قال القائلون بأن القرآن ليس لله وقد قال القائلون بأن نهج البلاغة ليس لعلي. إن هذا ليس ببعيد عن الأسرار من التماثل أو التشابه بين القرآن الكريم ونهج البلاغة حتى في اتهامهما معا.

٢- وحدة موضوعاتهما

فقد حذا النهج حذو القرآن تماما لا يفارقه في اتجاهاته في البحث ومناحيه لهداية البشر وتربيتهم كما مر، وصدق القائل وهو الإمام علي نفسه (هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق) [1]. والواقع أننا لا نريد أن نغالي في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام وكفى بأنه يحمل أسرار القرآن كاملة لا يشذ عنه شيء منها.

٣- الاستفادة منهما للجميع

اقتضت حكمة القرآن أن يستفيد منه كل من قرأ منه، كذلك أيضا يستفيد من نهج البلاغة كل من قرأ منه، ففي حديث واحد يأخذ بيده أمير المؤمنين عليه السلام إلى مواطن عدة من الحكمة البالغة ومن الهدى والسداد.

٤- كشف العلم والزمن عن أسرارهما

كلما تقدم العلم جلى شيئا من حقائق القرآن، كذلك أيضا شاء الله أن يهب نهج البلاغة ذلك.

وبعد.. فذلكم نهج ابلاغة.. شعاع من نور علي.. الذي هو نفس رسول الله، يحيط بكثير من الأسرار الإلهية، أوتي فصل الخطاب، أبو الشجاعة، أبو العبقرية النادرة الذي تقصر حتى كلمة العبقرية أن تعبر عنه، وكل هذا ما لا يفقهونه وما لا يفهمونه أو يفهمونه ولكن لا يحبون أن يذيعوه أو يعترفوا به.

وتلكم هي الحقيقة مشرقة كالشمس ما ضرها من جادل وشكك فيها..

---

١- وسائل الشيعة ١٨/٢٠.

وذلكم هو الطود الشامخ لم يعبا بسهام التشكيك.

## خاتمة

نهج البلاغة نهـــج العلـــم والعمـــل
فاسلكه يا صاح تبلغ غاية الأمـــــل
كم فيه من حكم بالحق محكمـــــة
تحيي القلوب ومن حكم ومن مثـــل
ألفاظـــه درر أغنـــت بحليتــــــها
أهل الفضائل عن حلي وعن حلــــل
ومن معانيه أنوار الهـــدى ســـطعت
فانجاب عنها ظلام الزيغ والزلــــــل
وكيف لا وهو نهج طاب منهجـــــه
هدى إليه أمير المؤمنـــين علـــي [1]

---

١ — منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ١/٢٤٤.

# بحض الصدى

**أولا: الاهتمام العجيب والعناية التامة بهذا الكتاب الجليل.**

**ثانيا: مظاهر الاهتمام:**

١- الحفظ. ٢- النظم. ٣- الشرح. ٤- الدراسات الأخرى.

٥- البحوث التي تدور حول نهج البلاغة في مجالات أخرى.

٦- عقد المؤتمرات حول هذا الكتاب.

٧ - الفهارس. ٨ - مكتبة نهج البلاغة.

**ثالثا: هل يستدل بنهج البلاغة فقهيا؟**

**رابعا: منهجنا في دراسة نهج البلاغة إن شاء الله تعالى.**

**خامسا: بعض المصادر للبحث.**

## مدخل

نهج البلاغة روضـــة ممطـــورة بالنور من سبحات وجه البـــاري
أو حكمة قدسية جليـــت بهـــا مــــرآة ذات الله للنظـــــار
أو نور عرفـــان تـــلألأ هاديـــا للعـــالمين منـــاهج الأبـــــرار

تضمن هذه الحلقة حول نهج البلاغة جملة من الإحصائيات والمعلومات عن هذا النهج العظيم لتكون تتميما للحلقة السابقة.

## أولا: الاهتمام العجيب والعناية التامة بهذا الكتاب الجليل

وإن هذا الاهتمام وهذه العناية لهما على غرار ونسق الاهتمام بكتـــاب الله الأعظم فالقرآن الكريم لا يزال وسيبقى مصدرا للبحث وإعمال النظر في شـــتى المجالات، ولا يقدر العادون إحصاء التفاسير والدراسات التي تدور حول كتـــاب الله الأعظم، وكذلك هنا، نجد الاهتمام العجيب حول هذا الكتـــاب لا يـــزال وسيبقى.

## ثانيا: مظاهر الاهتمام

### ١ - الحفظ

فإن جملة من الحفظة اشتغلوا بحفظه كاملا على نسق كتاب الله الأعظـــم، وذكرت شخصيات عديدة ممن يحفظ النهج كاملا قديما وحديثا مـــن العلمـــاء والخطباء، ولا شك أن ذلك مظهر من مظاهر الاهتمام. [1]

---

١- قال في البداية والنهاية ١٢/٢٦٠: محمد الفارقي أبو عبدالله الواعظ يقال إنه كان يحفظ نهـــج البلاغة ويعبر ألفاظه.

## ٢ – النظم

كثير من جمل وكلمات وأفكار النهج نظمت شعرا سواء كان ذلك باللغة العربية أوبلغات أخرى كالفارسية والتركية وغيرها. ومن شواهد ذلك ما في تتميم كتاب (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) لمؤلفه العظيم الميرزا حبيب الله الخوئي. فإن من تممه ذكر بعد كل ترجمة للكلمات القصار أو لبعض الخطب نظما فارسيا لهذه الكلمات القصار أو الحكم التي يوردها [1]. ذلك باعتبار سرعة حفظ الشعر وكونه أسهل وبما يضفي عليه من وقع خاص وإن كان لا يرقى قطعا لبلاغة وفصاحة النهج ذاته. وقد كان ذلك معهودا في عهد رسول الله ﷺ أن ينظم حديثه. [2]

---

وذكر الشيخ الأميني في الغدير ١٨٦/٤ جملة من حفاظه وهم القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني فإنه كان يكتب (نهج البلاغة) من حفظه، والفارقي، والسيد محمد اليماني المكي الحائري، والشيخ محمد حسين مروة، وهو من عجائب الحفاظ.

كما ذكر الشيخ الطهراني في الكرام البررة ١٥٤/١ أن الشيخ المولى أكبر زمان الكرماني كان حافظا لنهج البلاغة.

وجاء في مجلة (العرفان) مج٤٤ ج٣ ص٢٨٢ عن الدكتور زكي مبارك أنه يحفظ نهج البلاغة، كما ذكر الشيخ اليعقوبي في البابليات ١٨٢/٢ في ترجمة الشيخ مهدي اليعقوبي: ولا أغالي إذا قلت إنه كان يحفظ ثلاثة أرباع نهج البلاغة بما عليها من شروح ابن أبي الحديد وغيره.

وأضاف السيد الخطيب الحسيني في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) ٢٥٦/١ كلا من الخطيب السيد صالح الحلي والأستاذ معن العجلي إلا القاصعة والوصية وعهد مالك الأشتر، والشيخ حسن حلو.

وجاء في (مذكرات الشيخ بهلول السياسية) ص٢٤ أنه يحفظ أكثر خطب نهج البلاغة، والشيخ بهلول من النوادر العجيبة الغريبة في شؤونه وأطواره.

١ – وقد نظم بالفارسية أكثر من نظم كما جاء في (مصادر نهج البلاغة) ٢٥٧/١، كما نظم جملة معانيه وحكمه (المتنبي) وقد جمع السيد الخطيب الحسيني شطرا من ذلك، واقرأ في كتابه (مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي عليه السلام في شعر أبي الطيب المتنبي).

٢ – فمن حديث قيس بن عاصم: قلت يا نبي الله عظنا موعظة ننتفع بها فإنا قوم نعبر في البرية فقال رسول الله (ص): يا قيس إن مع العز ذلا، وإن مع الحياة موتا، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيبا وعلى كل شيء رقيبا، وإن لكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا ولكل أجل كتابا، وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريما أكرمك، وإن

## ٣- الشرح

وإذا أتينا للشرح والشروح فحدث عن البحر ولا حرج، إلى درجة أن الشيخ حسين جمعة العاملي اللبناني كتب كتابا حول شروح نهج البلاغة فقط وأوصلها إلى ٢١٠ شروح. وأعتقد وقد يعتقد هو أيضا بأنه لم يأت على الشروح بأسرها، فقد يكون في الهند أو أطراف إيران، وعند العرب وغيرهم من الشروح ما لم يطلع عليها أحد.

وكم من ذخائر ونفائس ذهبت طعمة للنار أو حيوانات البحر لا سيما جراء الحروب والفتن في العالم الإسلامي أو غيره كما جرى في بغداد وغيرها كثيرا قديما وحديثا. ولهذا نقول إن هذا الكم الضخم من الشروح قد لا يكون كلها، بالإضافة إلى أن القافلة لم تنقطع والركب بعد سائر لشرح هذا الكتاب العظيم.

أنماط الشروح:

١-قد يكون شرحا لفظيا أويذكر شيئا من المعنى والفائدة للقاريء كما يتجلى ذلك في بعض الشروح المختصرة كشرح الشيخ محمد عبده مفتي الديار

---

كان لئيما أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإنه إن صلح آنست به وإن فسد لا تستوحش إلا منه وهو فعلك، فقال يا نبي الله أحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندخره فأمر النبي (ص) من يأتيه بحسان، قال قيس: فأقبلت أفكر فيما أشبه هذه العظة من الشعر فاستتب لي القول قبل مجيئ حسان فقلت يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحسب أنها توافق ما تريد فقال النبي(ص) قل يا قيس، فقلت:

تخير خليطا من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من أن تعده ... ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... ومن قبله إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا بينهم ثم يرحل

البحار ٧٤/١١٠.

المصرية وعالمها الشهير.

٢-قد يكون شرحا علميا مميزا كما يتضح في شرح الشيخ ميثم البحراني فإنه عني كثيرا بالنواحي العقلية والفلسفية، ولهذا الشيخ الجليل ثلاثة شروح حول نهج البلاغة وهذا من مظاهر الاهتمام.

٣- قد يكون شرحا يتجه إلى ما في الكتاب من معارف عامة كما يتجلى في (منهاج البراعة) وكتاب ابن أبي الحديد.

وهناك أنماط متعددة كل يتوجه وجهة معينة، وإن كان من أبرزها بصفة عامة (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد الواقع في ٢٠ مجلدا (أو قد يطبع في ١٠ أو ٥)، فهذه الموسوعة من أنفس الشروح التي عنيت بهذا (الكلم الطيب) ولا يعني الثناء على المؤلف إغفال الاشتباه والضلال والتعصب للباطل عنده، وقد قيل عن هذا (نعم المؤلف لولا عناد المؤلف) [1]. ولست راغبا الآن في إفاضة الحديث في هذه النقطة، وإنما ذكرناه كشرح من الشروح المميزة فإن فيه متعة في الأدب ومتعة في التأريخ وإبداعا في الاعتقاد ومجالات كثيرة، إلا أنه مع بالغ الأسف أذهب كثيرا من هذه الطيبات بكثير من التعصب والعناد كما يقف على ذلك المتأمل والباحث.

## ٤ - الدراسات الأخرى

وهي لا تعني -بالدقة- الشرح، وإنما هي استجلاء الفكرة حول موضوع ما فتستوحى من كلمات وآراء الإمام عليه السلام. ونلاحظ في هذه الدراسات أشتاتا وأشكالا، فمن جملتها الدراسات القانونية والدراسات السياسية ككتاب (الراعي والرعية) للمحامي الكبير والأستاذ الشهير توفيق الفكيكي رحمه الله، فإنه كتب في هذا الكتاب دراسة مستوفاة حول عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر (رض) وبين فيه

---

١ - للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

مقدار النظرة الإسلامية لسياسة الحكم وقد كان بحق كتابا رائعا في زمانه.

وكذلك الدراسات الأخرى التي أولاها الباحثون لهذا الكتاب العظيم مثل (دراسات في نهج البلاغة) للشيخ محمد مهدي شمس الدين، و (في رحاب نهج البلاغة) للشيخ المطهري، ودراسات أخرى عديدة. هذا بعض ما تقع عليه أعيننا من الدراسات التي كتبت بالعربية وإلا فالدراسات الأخرى كثيرة جدا.

## ٥ – البحوث حول نهج البلاغة في مجالات أخرى

فنجد أنه قد ينبري مجموعة ليعنوا بالأمثال –مثلا– في نهج البلاغة، وهنا أيضا كتب كثيرة وبحوث عديدة جاءت في الغالب ضمن مقالات في المجلات كما للعلامة الشيخ عبدالهادي الفضلي في بعض المجلات قديما، وكذلك لأستاذي الشيخ محمد الغروي كتابات في هذا المجال ككتاب (الأمثال العلوية).[1]

## ٦ – عقد المؤتمرات حول هذا الكتاب

وذلك للبحث فيه والمشاركة والإسهام، كل ذي اختصاص من واقع اختصاصه يتناول بحثا في نهج البلاغة. وقد تكرر ذلك في تأريخنا، وفي الفترة الأخيرة (قبل ١٠ سنوات أو أقل) عقد مؤتمر في طهران تكرر أيضا. وقد عني الباحثون في هذه المؤتمرات بنواح عديدة، وكتبت دراسات في هذا المجال لمناسبات كمرور ألفية على الشريف الرضي أو لدواع أخرى.

## ٧ – الفهارس

والتي جاد بها أفذاذ وقدموا خدمة كبيرة يشكرون عليها، ومن جملة ذلك:

١– كتاب (تصنيف نهج البلاغة) للأستاذ لبيب بيضون السوري، فإنه من

---

١– وله أيضا ( الأمثال النبوية ).

أوسع ما كتب حول تصنيف نهج البلاغة واختار تصنيف الموضوعات فجمعها وضمها إلى بعضها البعض وجعل عناوين لها بما يريح الباحث كثيرا فيما لو أراد الاطلاع على بحوث نهج البلاغة والأفكار فيه.

٢- (المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة):[١] وهو للسيد كاظم المحمدي والشيخ محمد الدشتي ويقع في أكثر من ١٤٠٠ صفحة، وقد رتب على نسق المعاجم اللغوية، أي بمعرفة مادة الكلمة (جذرها) يمكن استخراجها واستخراج الجمل التي تقع فيها. مثلا كلمات (خالق ومخلوق) تكون تحت مادة (خلق) فتستخرج هي والجمل التي تقع فيها، وهذا بالطبع يوفر الجهد كثيرا.[٢]

٣- فهارس نهج البلاغة، للدكتور صبحي الصالح ألحقها به: وإن من الإنصاف أن الإنسان يقدر على عمله بغض النظر عن الاختلاف معه في المعتقد والمذهب، فقد خدم نهج البلاغة بهذا الكتاب وله جهد كبير يقدر لأجله ويثنى عليه، وإن كان لم يستوف جميع النواحي إلا أنها مشاركة فعالة.

## ٨- مكتبة نهج البلاغة

ففي مجال الرد والانتصار لأمير المؤمنين عليه السلام وفي مجال النقد والطعن ومجال الأفكار والتحليلات وأمور أخرى في الواقع لو ضممناها إلى بعضها البعض نجدها مجالا خصبا وثريا للغاية، وكما يسمي ذلك السيد عبد الزهراء الحسيني (مكتبة نهج البلاغة)، ومن باب المثال، حينما يذكرون موضوع الإشكال والإيراد على أن الإمام عليه السلام قد ذكر عن نفسه أنه الوصي وجعلوا ذلك طعنا في نهج البلاغة وأنه منتحل، فينبري الباحثون ليؤكدوا على حقيقة الوصاية وما جاء فيها من

---

١ – على نسق (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.
وقد شاء الله لهذا الكتاب أن يخدم بمثل ما يخدم به كتاب الله الكريم.

٢ – واليوم تتوفر برامج بالكمبيوتر يوجد فيها النهج وبعض شروحه ليمكن الوصول إلى معلومات فيها بشكل أسرع.

أحاديث ومعارف وشعر، فتكون دراسة كاملة عن الوصاية فقط، أو مثلاً حديث أمير المؤمنين عليه السلام ونقده اللاذع لجملة من الحكام والصحابة، فجعلوا ذلك سبباً للطعن في نهج البلاغة، فينبري الباحثون لبحث المسألة من جهة الاعتقاد والتأريخ وأمر الصحبة وجهات أخرى لتتكون دراسة واسعة في هذه الجهة فقط، فإذا لاحظنا الإشكالات والشبه والرد عليها في المقالات والمجلات والكتب الصغيرة والموسوعات نجد أنها مظهر كبير من مظاهر العناية والالتفات، تماماً وليس ببعيد عن الاهتمام الكبير حول شخصية صاحب النهج أمير المؤمنين عليه السلام فما أكثرَ الاهتمام والاختلافَ فيه (والاختلاف في الشخص دليل عظمته) وأظهر مظهر لذلك هو عليه السلام وكذلك حال كتابه فكان مجالاً لإثراء البحث إلى ما لا نهاية.

ولا يفوتني أن أشيد بإكبار بالموسوعة القيمة التي جاد بها فكر وقلم الخطيب السيد عبدالزهراء الحسيني حفظه الله، أعني كتابه (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) الذي يتمثل فيه الجهد العلمي والإخلاص وروحية المؤلف المؤمنة وبذل الوقت الثمين في هذا الكتاب بحثاً وتنقيباً وجمع الشوارد والشواهد شعراً ونثراً، وهو جدير بالقراءة والدرس والتملي مما فيه من أفكار. كما أن السيد عبدالزهراء له كتاب (مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي عليه السلام في شعر أبي الطيب المتنبي)، وقد كان مشاركة منه في مؤتمر طهران عن نهج البلاغة.

## ثالثاً: هل يستدل بنهج البلاغة فقهياً؟

وأعود هنا لبحث المسألة لارتباطها بعنوان البحث ارتباطاً وثيقاً.

فمن خلال تتبع جملة من الآراء حول (نهج البلاغة) لاحظت من يرى صحة صدوره عن الإمام عليه السلام وقد يعبر عن بعضه بـ (قطيعة الصدور) وربما استُفِيدَ من كلام بعض آخر أنه (متواتر) فلنستعرض جملة من كلماتهم.

قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: "وإلا فبعد شهادة مثل النجاشي المعاصر للشريفين والمتخرج عليهما وشهادة ابن شهرآشوب والشيخ الطوسي

وكل تلك الطبقة المعاصرة لهما بل وجل من تأخر عنهما إلى أن انتهى الأمر إلى الشيخ الراوندي وابن أبي الحديد والشيخ ميثم البحراني وهؤلاء الثلاثة شراح النهج وهم بالمكان الذي هم فيه من سعة الفضل وغزارة المادة وهم في قرن واحد فمع إطباقهم وإطباق من قبلهم وبعدهم على أن ما في النهج كله لأمير المؤمنين -سلام الله عليه- وأن جامعه هو الشريف الرضي وإرسالهم ذلك كأحد القضايا الضرورية فهل يكون التردد أو الجحود في واحدة منهما إلا عنادا ومكابرة" [1]

وقال أيضا: "أما أن جميع ما فيه لأمير المؤمنين ليس إلا فذاك -عند أهله المعنيين بهذا الأمر وهم علماء الإمامية شكر الله مساعيهم- أجلى من الشمس وكلها مروية بطرق وثيقة عن أساطين هذه الفرقة من أساتيذ السيد الرضي ومشايخه كالشيخ المفيد وابن قولويه وابن بابويه وأبي يعقوب الكليني ونظرائهم ومن أصول هؤلاء جمع السيد ما جمع وانتخب في نهجه ما انتخب وهم المصادر والمصائر له على أن أكثرها يوجد في غير كتب الإمامية ممن تقدم على السيد من جهابذة التأريخ وأساطين العربية"

وقال السيد الأمين: "وهذا الكتاب قد حوى من نفائس الكلام ما استحق به أن يسمى نهج البلاغة واشتهر به في جميع الأقطار والأمصار والأعصار اشتهار الشمس في رائعة النهار، له منه عليه شواهد، وهو كسائر كلام علي كما قيل عنه أنه بعد كلام النبي(ص)فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق لا يرتاب في ذلك إلا أمثال من يريد التشكيك في الشمس الضاحية" [2]

ويعبر السيد محمد سعيد الحكيم عن النهج بأنه "يدل على نفسه بنفسه"

ومن أجمع الكلمات ما ذكره الشيخ هادي كاشف الغطاء: "إن الشيعة على كثرة فرقهم واختلاف طرقهم متفقون متسالمون على أن ما في نهج البلاغة

---

١- المراجعات الريحانية ٢/١١١-١١٢ وله كلام نحو هذا في ١/٥٤.

٢- أعيان الشيعة ١/٥٤٠.

هو من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) اعتمادا على رواية الشريف ودرايته ووثاقته، والجميع على اختلاف العصور وتعدد القرون لم يختلجهم في أمره ريب ولا اعتراهم في شأنه شك ولم يخامرهم ظن أو وهم في أن فيه وضعا أو به تدليسا حتى كاد أن يكون إنكار نسبته إليه (ع) عندهم من إنكار الضروريات وجحد البديهيات، اللهم إلا شاذ منهم لا يعرف ما خالف في نسبة بعضه إليه (ع) ولعل جماعة من أكابر علماء أهل السنة والجماعة ومؤرخيهم -إن لم يكن أكثرهم- يوافقون على صحة تلك النسبة ولا يبدون أدنى خلاف في ذلك والمخالف من متقدميهم في نسبة بعضه إليه قليل نادر، وإنما نشأ التشكيك والخلاف من ناشئة جديدة تسعى لنقض الحقائق الراهنة تحت ستار طلبها فأخذوا يتشبثون لنفي ذلك بكل وسيلة ويتوصلون إليه بكل ذريعة.

والخلاصة أن اعتقادنا في كتاب نهج البلاغة أن جميع ما فيه من الخطب والكتب والوصايا والحكم والآداب حاله كحال ما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أهل بيته في جوامع الأخبار الصحيحة وفي الكتب الدينية المعتبرة، وإن منه ما هو قطعي الصدور ومنه ما يدخله أقسام الحديث المعروفة.

وأما مؤلفه الشريف فاعتقادنا فيه أنه متره عن كل ما يشين الرواة ويقدح في عدالتهم وأنه لم ينشئ شيئا من نفسه وأدخله في النهج كما أنه لم يدخل فيه شيئا يعلم أنه لغير أمير المؤمنين، بل لم يكن كحاطب ليل فهو لا يروي شيئا إلا بعد التثبت ولا ينقله إلا على من يعتمد عليه من الرواة وأهل السير والتأريخ، فجميع ما في النهج هو من كلام مولانا أمير المؤمنين (ع) على رواية الثقة العدل ولا دخيلة فيه ولا وضع" [1]

وقال ابن أبي الحديد: "لا يخلو إما أن يكون كل (نهج البلاغة) مصنوعا منحولا أو بعضه والأول باطل بالضرورة لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون كثيرا منه وليسوا

---

١- مستدرك نهج البلاغة /١٩٠-١٩١.

من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك".

ثم أخذ في بيان الأمر الثاني فمما قال: "وأنت إذا تأملت (نهج البلاغة) وجدته كله ماء واحدا ونفسا واحدا وأسلوبا واحدا كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض في الماهية وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان بعض (نهج البلاغة) منحولا وبعضه صحيحا لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بالبرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام ..." [1]

ولاحظت صنفا آخر من العلماء يعبر عن (نهج البلاغة) بقوله: "فالقول بأنه لا وجه للتشكيك في نهج البلاغة إن أريد به المجموع من حيث المجموع فصحيح، وإما إن أريد به الجميع على نحو استيعاب الجمل والكلمات بأسرها ففيه إشكال" [2]

وبعد.. فالاستدلال بـ (نهج البلاغة) فقهيا يعتمد على المبنى فمن قال بالتواتر وقطيعة الصدور عول على ذلك ومن لم يقل فهو وإن صحح الكتاب إلا أنه قد يرى أن للاستدلال الفقهي منهاجا خاصا كما أشار إلى ذلك السيد العلامة الفاني في قوله: "ولكننا لما رأينا أن الفقيه النابه يأبى عن الاستناد في الأحكام الشرعية والعاقل في ترتيب آثار الصدق إلى ما ليس جامعا لجميع شرائط الحجية يكون بذلك حجة في نظر الفقيه ودليلا قاطعا أجبنا وقلنا إن الدقة في مضامين النهج والاستضاءة بأنوار علوم علي (ع) وحكمه ومعارفه تغني طالب الكمال عن التعرض لأسناد هذا الكتاب، لأن التعرف للحقائق شيء والاستدلال به على الحكم الشرعي شيء آخر" [3]

---

١- شرح نهج البلاغة ١٠/١٢٨-١٢٩.

٢- عبدالله بن عباس /٤٥٤ (ضمن لكل سؤال جواب).

٣- عبدالله بن عباس /٤٥٤ (ضمن لكل سؤال جواب).

وعلى ضوء ذلك تعامل نصوصه على نسق ما يتعامل به مع الروايـــات في مجاميع الحديث وكما يقول السيد العلامة الفاني: "وكما أنه توجـــد في الكـــافي الشريف الأخبار المرسلة فكذلك في نهج البلاغة ولذا نـــرى اعـــتراف السـيد بالإرسال في جملة من الموارد وربما يذكر السند ونراه بحسب الاصطلاح الرجـالي الفقهي" [١]

ويقول الشيخ عبدالله نعمة: "فإن حال نهج البلاغة حال المرويـــات عـــن رسول الله (ص) في جوامع الأخبار وكتب الحديث منه ما هو قطعي الصـــدور ومنه ما يدخل في أقسام الحديث المعروفة كالصحيح والموثق والحسن والمرســـل وغيرها، لكن ينبغي أن لا نغفل عن أن هذه الأقسام لا يمكن لنا استفادها مـــن نفس نهج البلاغة لأن الرضي(ر.ه) لم يسند شيئا مما ذكره فيه بل جاء به مرسلا وإنما نستفيد ذلك من خارج النهج" [٢]

أقول:

١ - إن المسألة بالتالي تندرج في حجية مرسل الثقة —وهذا بالطبع فيمـا لم يسند- والرأي فيها مختلف عند الفقهاء وقد أشبع البحث فيها الشيخ المامقـاني في كتابه (مقباس الهداية).[٣]

٢ - إن الجهد المضني والعمل الكبير لإثبات أسانيد النهج مما يستحق كـل إجلال وإكبار.

٣ - إن تشخيص المتواتر وقطعي الصدور من النهج يستلزم بسطة في العلم والبحث نعم قد نقف على المتواتر في ذات النهج مما تكرر قوله وذكره كثـيرا في خطب الإمام (عليه السلام) كما في جملة من مسائل الاعتقاد فيسوغ لذلك الاستدلال بـه

---

١- عبدالله بن عباس /٤٥٤ (ضمن لكل سؤال جواب).

٢- مصادر نهج البلاغة /٢٨.

٣- ١/٣٣٨-٣٦٦.

فيها وتبقى المواطن الأخرى على حسب تصنيفها والتعامل معها طبق القواعد المقررة والآراء المختارة.

رابعا: منهجنا في دراستنا في نهج البلاغة إن شاء الله تعالى:

الدراسة إجمالا دراسة موضوعية، ففي هذا الكتاب أفكار تشمل الدنيا والدين وتكفل سعادة الإنسان، فيه بحوث كثيرة عن العقائد والأصول الخمسة والملائكة والجهاد والموت وغير ذلك فيه بحوث في التأريخ وسيرة الأنبياء(ص) وجيلهم، فيه بحوث عن القرآن والحديث النبوي والأخلاق وسيرة الحياة وعجائب المخلوقات، فيه الحكم القصيرة والخطب الطويلة والمراسلات والمكاتبات والعهود وغير ذلك، فننسب كل موضوع إلى جهته ونلاحظ ما يقترن به ونجعل حديثنا مبتدأ من الأصول الخمسة مستوحاة من أفكار الإمام عليه السلام ثم نشرع بالأولى فالأولى كحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وتأريخه وتأريخ أهل البيت (ع) والخلاف والخلافة والإمامة، إلا أنه كما أعتقد أن هذا الأمر لو قضينا عمرنا فيه -ونعم ما يقضى العمر فيه- لما استطعنا استيفاءه والتملي منه، ولكننا سنختصر ما أمكن ونعطي الفكرة الواضحة الموجزة، ولي من نظر الأخوات والأخوة ما يسدد أو يكمل في هذه الفكرة.

## رابعا: بعض المصادر للبحث

وهي كثيرة وأشير إلى بعض ما هو متيسر لدينا للاستفادة منه.

### أ – الشروح

١- شرح ابن أبي الحديد.

٢- منهاج البراعة للميرزا حبيب الله الخوئي.

٣- شرح الشيخ محمد عبده.

٤- شرح الشيخ محمد جواد مغنية (في ظلال نهج البلاغة)، وهو لطيف خفيف يتعرض لنواح اجتماعية وسياسية.

٥- شرح الشيخ ميثم البحراني الذي يمتاز بعمقه بطبع المؤلف كفيلسوف.

ب - الدراسات:

١- دراسات في نهج البلاغة. ٢- قضايا الحرب والسلم.

٣- حركة التأريخ. ٤- عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر.

وهذه كلها للشيخ محمد مهدي شمس الدين.

٥- في رحاب نهج البلاغة، للشيخ المطهري.

٦- دراسات أخرى في ضمن (أعيان الشيعة) أو (المجالس السنية) أو (دين وتمدين) للحومائي فإنه على النمط الذي ذكر (الله ومحمد وعلي) فيعرض فيما يرتبط بالإمام عليه السلام جملة من أفكار الإمام وسياسته وحكمته، وهو كتاب أدبي راق إلا أن في ثناياه بعض الأمور التي ينبغي للباحث أن يكون على حذر في دراستها.

# تأسيس الإمام لعلم الكلام

**أولا: علم الكلام:**

أ- تعريفه. ب- فائدته ج- مكانته وشرفه.

**ثانيا: دور العقل في القضايا الاعتقادية.**

**ثالثا: التشيع والفلسفة أو علم الكلام.**

**رابعا: شبه المخالفين.**

**خامسا: {وتلك حجتنا}.**

**سادسا: القرآن الكريم ونهج البلاغة: أساليب متفقة لإثبات العقائد.**

## أولا: علم الكلام

### أ- تعريفه

هو العلم الذي يبحث فيه عن إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها.

### ب- فائدته

١- معرفة أصول الدين بنهج علمي قائم على الدليل والبرهان.

٢- القدرة على إثبات قواعد العقائد وإبطال الشبهات حولها بالحجة والدليل.

### ج- مكانته وشرفه

يقول ابن أبي الحديد: "وقد علمت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات [١] فكان هو أشرف العلوم ومن كلامه عليه السلام اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ" [٢].

## ثانيا: دور العقل في القضايا الاعتقادية

لا إشكال في أهمية العقل في القضايا الاعتقادية، والوجدان يؤكد ذلك. ومع بالغ الأسف نجد طبقة حتى من المثقفين والكتاب البارزين يتنكرون لهذا الدور المهم ويريدون أن تستند جميع أفكارنا إلى الدليل النقلي فقط (الكتاب

---

١- وهو الله جل وعلا.

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد طبعة ١٩٧٩م - المجلد الأول ص٣٥-٣٦.

الكريم والسنة المطهرة)، بمعنى أنه حينما نؤمن بالله تبارك وتعالى ربا فإننا في جميع القضايا لا نعمل الدليل العقلي على الإطلاق بل نأخذ جميع القضايا كالمسلمات بل يعتبرون الاستدلال العقلي تفاهة وتضييعا للعمر فيما لا يحسن، ومن الواضح أن هذه المقولة قد تلقى قبولا في الأذهان لتأطيرها بإطار يرتبط في ظاهر الأمر بالله تعالى وتتريهه وبرسوله ﷺ، والواقع أن هذه المقولة تخالف هدى أمير المؤمنين عليه السلام كما يتجلى ذلك بوضوح في طرق معالجته لقضايا الاعتقاد في نهجه الخالد، والشيء الآخر أن نفس الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ يحتاج إلى الدليل العقلي كما هو واضح، فقبل الإيمان بإله واجب الوجود يلطف بعباده فيبعث لهم الأنبياء يوحي إليهم ويصدق دعواهم بالمعجز لا يمكن الاستدلال على ذلك بمحض الدعوى وأن الله أوحى إلي في كتابه فهل هذا إلا عين المتنازع فيه وهو رتبة ثانية بعد الإيمان بالواجب الباعث، ومن هنا كان العقل الأصل الأصيل في انطلاقة الاستدلال في أصول الاعتقاد، نعم يمكن الإفادة من القرآن والحديث كهاديين ومرشدين وموقظين مكامن الفطرة لا أن يجعل مرتكز الدليل عليهما.

وسنرى ذلك في هدى أمير المؤمنين عليه السلام فيما نستقبل من دروس إن شاء الله تعالى.

## ثالثا: التشيع والفلسفة أو علم الكلام

يلاحظ عبر التأريخ أن للفكر الشيعي امتيازا خاصا في علم العقائد والفلسفة، كما يلاحظ أن الشيعة تخالف الآخرين في نظرتهم وأفكارهم حول هذا العلم، وقد شهد بذلك حتى المخالفون ونعرض هنا نماذج من ذلك.

١- يقول الأستاذ أحمد زكي صالح: [1] "إن من الجلي الواضح لدى كل

---

١ - من مقال له في (رسالة الإسلام) التي كانت تصدر في مصر. ذكر ذلك الشيخ أسد حيدر في كتابه (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) ص٤٢٦ نقلا عن الشيخ المظفر في كتابه (حياة الإمام

من درس علم الكلام أن فرقة الشيعة كانت أنشط الفرق الإسلامية حركة وكانت أول من أسس المذاهب الدينية على أسس فلسفية حتىّ أن البعض ينسب فلسفة خاصة الى الإمام علي عليه السلام".

٢- يقول الدكتور أحمد أمين المصري: "ولذلك كانت الفلسفة بالتشيع ألصق منها بالتسنن نرى ذلك في العهد الفاطمي والعهد البويهي وحتى في العصور الأخيرة كانت فارس أكثر الأقطار عناية بدراسة الفلسفة الإسلامية ونشر كتبها ولما جاء جمال الدين الأفغاني مصر في عصرنا الحديث -وكان فيه نزعة تشيع وقد تعلم الفلسفة الإسلامية بهذه الأقطار الفارسية- كان هو الذي نشر هذه الحركة في مصر" (٢)

إذن التأريخ يتحدث والمخالفون يقرون ونهج البلاغة يشهد بأن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) هو واضع أسس هذا العلم الشريف عبر خطبه يوم كانت الحاجة تدعو إلى ذلك لاسيما في الكوفة إذ كانت مهدا لحضارات وثقافات كثيرة فطرح الإمام أفكاره الفلسفية العقائدية وهي ليست نظريات توصل إليها عالم مهما كان عظيما بل هي فكر الله وعلمه الذي أودعه عليا عليه السلام عن طريق الإلهام، ثم أخذ الشيعة هذا العلم عن إمامهم الأعظم عليه السلام وواكبوا هذه الحركة المباركة.

## رابعا: }وتلك حجتنا{:

وبعد..{فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا} لقد قالوا إن ما تعرض له الإمام عليه السلام في نهجه العظيم -وبالذات حول هذا العلم- كان مخالفا لما

---

الصادق) ص٢٠٢.

٢ - ظهر الإسلام، لأحمد أمين المصري ج١. نقله الشيخ المطهري في كتابه (في رحاب نهج البلاغة) ص٤٣.

هو مألوف آنذاك عند الصحابة وفي عصره بل فيما بعده من العصور، فهناك المصطلحات والأفكار التي لم تطرح إلا في فترات متأخرة من نضج الفلسفة حيث شاع استخدامها، بل إنهم قاسوا الإمام عليه السلام بغيره من الصحابة فقالوا إنه قد كان عصرهم واحدا وحياتهم واحدة، وثقافته وعلمه كسائر الصحابة بل إن بعضهم أعلم منه (كما يزعمون) ولهذا يستبعدون هذه الأفكار عنه عليه السلام.

فنقول لهم إننا في مقام الرد نرشد إلى المقام العظيم والامتياز الخاص الفريد الذي ناله أمير المؤمنين عليه السلام وأنه في عالم والآخرون في عالم آخر، وذلك يتجلى في مجال العلم وجميع مجالات الإبداع، فإنما يأتي بمعجزة نهج البلاغة من قال فيه الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) [1]. فهو الذي امتاز بالمعارف الإلهية الخاصة فلا عجب لو جاد قلمه ولسانه ووجوده المقدس بشيء آخر لم يعهد في حياة الصحابة وفي زمانهم، فعندما يعبر الإمام عليه السلام عن (الأين) و(الأزل) و (المدى) وغير ذلك ويطرح مصطلحات وأفكارا لم تعهد إلا في فترات متأخرة من بروز الفلسفة فهذا دليل على أنها أخذت منه فإن كل مصطلح وفكرة لابد أن هناك من يبدأ بها، لا أنه يستغرب ويستبعد ذلك عن الإمام عليه السلام لأن فلان لم يقل خطبة كخطب أمير المؤمنين عليه السلام، إن هذا لدليل ضعيف لا يمكن أن يركن إليه إلا في حساب الجهل أو العناد.

إنما يأتي بنهج البلاغة من على منبر الحق يتحدى كل من حوله، وحوله خصومه وأعداؤه الذين يحصون عليه أنفاسه ويعدون عليه كلماته ويرصدون كل شيء ينطق به ومع ذلك كان يأمر أنصاره بالسؤال ويتحدى أعداءه قائلا: (سلوني قبل أن تفقدوني) [2]. وهذا الأمر بالسؤال أو التحدي لم يخص جانبا دون آخر بل شمل كل علم، في العقائد والفقه والنحو والفلك وكل معرفة، بل إن ابن أبي الحديد لاحظ انتماء وانتساب كل العلوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام فهو

---

١ – وسائل الشيعة ج١٨، ص٢٠.

٢ – الوسائل ٩٨/١١.

مصدرها ومنبعها وأخذ بتعداد هذه العلوم وتفصيل ذلك فذكر علم العقائد والفقه والتفسير والتصوف أو علم الحقيقة والنحو، وذكر الكمالات فتحدث عن الشجاعة (سيد الأبطال) والسخاء والحلم والصفح والجهاد (سيف الله الغالب) والخلق الرفيع ولين الجانب وشدة التواضع والزهد والعبادة وتعلقه بالقرآن الكريم والرأي والتدبير والسياسة وشدتها في ذات الله تعالى [1]. بل يتعدى ابن أبي طالب كل هذا ليكون مصدرا لكل الكمالات وإمامها الأول، فإنما يتحدث عن الشجاعة من قال فيه جبرئيل عليه السلام بأمر الله تعالى: (لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا علي) [2]. إنما يتحدث عن الشجاعة من يخوض غمار الحرب (حتى يطأ صماخها بأخمصه) كما تحدثت الصديقة الزهراء(ع)، ولا يتحدث عن الشجاعة من قال فيهما ابن أبي الحديد:

عذرتكما إن الحمام لمبغض     وإن بقاء النفس للنفس محبوب

ويذكر بفرارهما في مواطن الحرب ومواطن الحرج والعناء، (وفاقد الشيء لا يعطيه)، ويقاس على ذلك إبداع الإمام عليه السلام في الخطابة والوعظ والإرشاد وكل معرفة بل كل كمال فهو الفاتح والمؤسس.

## خامسا: القرآن الكريم ونهج البلاغة: أساليب متفقة لإثبات العقائد:

القرآن الكريم فيه تبيان {لكل شيء} و (علي مع القرآن) وهو عدل له في حديث (الثقلين)، إذن فهو الوجود البارز في المدرسة الإلهية الكبرى ومعلمه الأول هو كتاب الله تعالى وتقدس فلا غرابة بعد ذلك إذا أتى بما لم يعهد عند أحد. ومن هنا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه واستدلالاته وبرهنته حول هذا العلم

---

١ - شرح النهج لابن أبي الحديد ١/٣٥-٤٦.

٢ - البحار ٤٠/٨٧.

(علم العقائد) بالذات نهج نهج القرآن الكريم و لم يشذ عن شيء من الأنماط التي اتخذها القرآن الكريم للاستدلال على المعارف الإلهية سواء كان ذلك في أدلة النفس أو الآفاق أو العقل [1] وما تعرض له من إيقاف البشر على السر المبتكر والإبداع والإعجاز في خلق الله والاستدلال بواقع الإنسان من جانب إبداع خلقه بل من جانب عجزه وسائر ما في الكون من عظات وعبر ودلائل وشواهد، فنجد كل ذلك في نهج البلاغة على نسق ما هو في القرآن الأعظم، وهذه الناحية (المدرسة الإلهية الكبرى) رصدت ولوحظت في حياة جميع الأئمة (ع) ولنا أن نأخذ شاهدا من حفيد أمير المؤمنين الإمام الصادق (ع) والذي يعتبر ممثلا له في تأسيس الأفكار الإسلامية، فنجد أن الصادق عليه السلام لم يتتلمذ على يد أحد، وفي علم الكيمياء -مثلا- لم يكن له أستاذ ولا مختبرات ومع ذلك فهو يطرح النظريات الكيميائية الدقيقة الثابتة على رسله كما يتحدث مالك الكلام حتى يكتب أحد تلامذته وهو جابر بن حيان ألف صفحة في الكيمياء [2]. ونضيف إلى ذلك ما يتعلق بالطب وعلم التشريح كما في كتاب المفضل بن عمر وغير ذلك كثير مما هو مشهور وواضح. إذن فلا مصدر لهذه المعارف عند الأئمة وعند أبي الأئمة (ع) إلا الإلهام الإلهي. ومن هنا سر إعجاز علي عليه السلام فكان كالنجم... بل هو فوق النجم... بل هو شمس... بل هو سماء وغيره أرض بل غيره لا شيء... بل هو أسمى من كل تعبير وأعظم من كل وصف.

---

١ - {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}. سورة فصلت - ٥٣.

٢- يمكن الاطلاع على كتاب (الإمام الصادق ملهم الكيمياء) للدكتور محمد يحيى الهاشمي.

# الذات المقدسة

أولا: تعريف الذات المقدسة.

ثانيا: العقول قاصرة عن إدراك الكنه.

ثالثا: قال سيد الموحدين (عليه السلام).

رابعا: شواهد على عجزنا.

خامسا: جوانب بلاغية وعلمية في هذه النصوص الشريفة.

مطاف الخاتمة.

خاتمة المطاف.

تنبيه.

## مدخل

يا واهب العقل لك المحامد | إلى جنابك انتهى المقاصد
يا من هو اختفى لفرط نوره | الظاهر الباطن في ظهوره [1]

## أولا: تعريف الذات المقدسة

الله اسم علم على الذات المقدسة المستجمعة لصفات الجلال والجمال. ولا يقصد من هذا التعريف أنه يطابق القواعد العلمية والمنطقية بل هو أشبه بالتعريف الاسمي كما في علم المنطق، كما أنه ليس تعريفا حقيقيا دقيقا لأن التعريف الحقيقي الدقيق لشيء يستدعي الوقوف على حقيقته وأبعاده وجميع شؤونه، والإنسان عاجز تماما عن ذلك فيما يتعلق بالله تعالى وتنزه.

## ثانيا: العقول قاصرة عن إدراك الكنه

الكنه بمعنى الحقيقة، والعقل في واقعه مخلوق لله ومحدود في قدرته الإدراكية فهو في عجز ذاتي عن أن يحيط بتلك الأبعاد غير المتناهية، بل إن العقل عاجز عن أن يحيط بأسرار إبداع الخلق في السماوات والأرض وما بينهما -كما هو واضح- فكيف يحيط علما بخالق الخلق ومبدعه. وعجز الإنسان ليس فقط عن تعريف الله تعالى بدقة بل عجزه عن الإحاطة بسائر الشؤون الإلهية كالقدرة والعلم والخلق والرزق والإحياء والإماتة والتشريع والحساب والجنة والنار والإبداع في الخلق.

---

١ - المولى الملا هادي السبزواري.

## ثالثا: قال سيد الموحدين عليه السلام

نعرض فيما يلي بعض ماقاله سيد الموحدين علي عليه السلام حول هذه النقطة (العقول قاصرة عن إدراك الكنه). وتنبغي مراجعة هذه الخطب بكاملها وبعض الشروح حولها للتوسع قدر الإمكان.

أ- قال عليه السلام: [1]

(الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن):

(بعد الهمم): نهايتها علوا، في قبال (غوص الفطن) أي نهايتها عمقا. يقول عليه السلام إن بعد الهمم لا يمكن أن يدرك الله تعالى لأن ما يدركه العقل أشياء من جنسه وفي مجال ما يمكن أن يفقه فيه. أما إذا كان الشيء بمنأى بعيد من أن يفهم فإن العقل لا يدركه. وكذلك غوص الفطن فهي عاجزة عن أن تدرك الذات المقدسة مهما جهدت في ذلك، ولماذا هذا العجز؟

ذكر الإمام عليه السلام عددا من أسباب ذلك:

(الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود): ولذلك فإن من يريد وصفه يكون في تمام العجز إذ كيف يوصف من لا تحد حقيقته.

(ولا وقت معدود ولا أجل ممدود): فهذه الذات خارجة عن الزمان والمكان وما يستطيع العقل إدراكه إنما هو في حدود الزمان والمكان بطبيعة الحال. ولكن إذا عجزت العقول عن إدراك الله فكيف يعرف ليشكر ويعبد؟ هذا ما بادر الإمام عليه السلام إلى تبيانه قائلا:

(فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان أرضه):

---

١- خ١، ص٣٩. يمكن مراجعة (منهاج البراعة) ١/٢٩٣ وكذلك شرح الشيخ ميثم البحراني (ره) ١/١٠٦ للاطلاع أكثر على شرح هذه الخطبة الشريفة.

نعم لا يمكن أن يدركه العقل ولكنه يتعرف على آثاره إجمالا، فإنما هذه الخلائق والرياح والجبال مظاهر من مظاهر الإبداع يمكن أن تكون شواهد ومنافذ للتعرف على الذات المقدسة.

ب – وقال عليه السلام: [1]

(الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور): أي علمها من باطنها بل هو في أعماقها لأن روح الخلق منه والمخلوقات أثر له، فهو مصدر لخلقها ومصدر لبقاء وجودها، وخفيات الأمور بطبعها وتعريفها لا يمكن أن يطلع عليها فلا شك أن من أوجد فيها السر والإبداع والخفاء هو أخفى منها. فكيف يعرف إذن؟

(ودلت عليه أعلام الظهور): أي الأدلة الظاهرة، فله من الشواهد على ذاته المقدسة وهيمنته المطلقة ما يذعن له عقل كل عاقل وفكر كل مفكر اعترافا بأنه هو الواحد الأحد.

(وامتنع على عين البصير) لاستحالة إبصاره إذ {ليس كمثله شيء} [2] والذي يرى يجب أن يكون في جهة وفي وقت ما، والله تعالى خارج عن الزمان والمكان، ولكن إذا لم تبصره العين فهل يعني هذا أنه لا وجود له؟ يجيب عليه السلام:

(فلا عين من لم يره تنكره): أي صاحب العين التي لم تره يجب أن لا ينكره إذ أن وجودها في ذاتها أثر من آثاره ودليل عليه.

(ولا قلب من أثبته يبصره): ولا يخفى ما في هذه المقابلة من جهة بلاغية. فلا العين الناظرة التي لم تره يحق لها إنكاره ولا القلب الذي أثبته رآه، وأثبته أي جزم بوجوده.

(سبق في العلو فلا شيء أعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه، فلا

---

١ – خ٤٩، ص٨٧.

٢ – الشورى – ١١.

استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به): فهو {معهم أينما كانوا}[1] وهذه المعية والقرب ليس مساواتهم في المكان به، بل هو في علوه وهذا العلو ليس بعدا عنهم بل هو محيط هم رغم علوه.

(لم يطلع العقول على تحديد صفته): فهذا العقل المركب قاصر عن إدراك المركب المبدع له فقد حجب العقول عن إدراكه.

(ولم يحجبها عن واجب معرفته): لماذا؟

(فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود).

(تعالى الله عما يقوله المشبهون به والجاحدون له): أي أيها العبد لا تفكر في ذات الله فإن ما يحوم حول فكرك من شبه إنما هي على صور ما ترى من المحسوسات والماديات مما هو في مجال إدراكك ولكن الله تعالى {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} لذلك ثق تماما أيها العبد أن ما تراه من صور ليست هي الله تعالى. ويقول أيها الجاحد إن عدم إدراكك لله ليس دليل عدم وجوده إذ تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلبك أي أنك أيها الجاحد مقر بالله تعالى في قرارة نفسك.

ج —وقال عليه السلام:[2]

(لا تقع الأوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية): يؤكد الإمام عليه السلام هذه الناحية أن الأوهام والأفكار لا يمكنها وصفه، لماذا؟ لأنها -كما مر- إذا كانت تجهل كنهه وحقيقته فكيف تصفه. قد يفاجأ الإنسان بجهاز ضخم لا يعرف لم هو فضلا عن أن يعرف دقائق تركيبه فيكون حذرا في التعامل معه. فكذلك -ولله المثل الأعلى- ذاته المقدسة لا يمكن وصفها لاستحالة

---

١ - المجادلة - ٧.

٢ - خ٨٥، ص١١٥.

الإحاطة بها وإدراك أبعادها.

## رابعا: شواهد على عجزنا

وهي شواهد نحياها في واقعنا وندرك أبعادها وشيئا من أمورها ومع ذلك لا نقف على حقيقتها وأسرارها فكيف نطمع أن نقف على حقيقة خالقها ومبدعها. ونأخذ شاهدا من كلام أمير المؤمنين نفسه عليه السلام في وصفه للطاووس. يقول عليه السلام: [1] (وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية وأحيانا صفرة عسجدية. فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن أو تبلغه قرائح العقول أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين! وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه والألسنة أن تصفه. فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا وأعجز الألسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته).

تلاحظن أنه قد أشار إلى الطاووس وهو ليس أعظم مخلوقات الله بل أشار إلى أقل أجزائه شعرة واحدة منه بل أشار إلى صفة واحدة لهذه الشعرة وهي اللون ليبين عظمة الخالق وأن كل شيء يدل عليه تعالى وتقدس. فما بالك لو ذكر فسيولوجيته وتشريحه وما في عقله مركز هدايته، وأحشائه وأسرارها واستقامة جهاز التغذية عنده فلو أفاض في ذلك لأتى بكتاب كهذا الكتاب. وفي هذا النص الشريف من الاستدلالات به الشيء الكثير وإنما ذكرنا موضع الشاهد من حديثنا. وكم من شواهد أخرى في أنفسنا فعقولنا وأرواحنا وغرائزنا وهي فينا ومع ذلك لا نستطيع تحليلها وتجزأتها والوقوف على أسرارها.

---

١- خ١٦٥، ص٢٣٥ التي أولها (ابتدعهم خلقا عجيبا). وموضع الشاهد في ص٢٣٨.

## خامساً: جوانبُ بلاغيةٌ وعلميةٌ في هذه النصوصِ الشريفة

١ - (بُعْدُ الهمم): فإن الأصلَ (الهممُ البعيدة)، الموصوفُ تَلِيه الصفةُ ولكنه ﷺ أضافَ المصدرَ (بُعْد) إلى الموصوفِ (الهمم) لأن موضعَ الشاهدِ هو في البُعْـدِ وأنه عاجزٌ عن إدراكِ اللهِ تعالى فليس الشاهدُ في الهِمَمِ بل في بُعْدِهَـا ولذلـك قَـدَّمَ البُعْد. وكذلك الحال في (غوص الفطن).

٢ - (غوصُ الفطن): فإن فيه استعارةٌ إذ شَبَّهَ العلومَ العقليةَ والعوالِمَ الإلهيـةَ بالبحارِ المتلاطمةِ والإنسانُ سابحٌ يغوصُ باحثـاً عـن ضالتِـه مـن الجواهـرِ واللؤلـؤ وهي هنا الأسرارُ الإلهيةُ وحقيقةُ الذاتِ المقدسةِ ولكنه لا ينالُ ذلك كما قدمنا.

٣ - (ووتّدَ بالصخورِ مَيَدَانَ أرضِه): والمقصودُ بـالصخورِ الجبـالُ والميـدانُ التحـركُ بتمـايل. وهـي إشـارةٌ إلى حركـةِ الأرضِ وأنـه مـن أجْـلِ أن لا تميـلَ في حركتِها ثبّتَها اللهُ بالجبال. وهذا التعبيرُ والإشارةُ مستعارة مـن القـرآنِ الكريـمِ إذ يقولُ تعالى: ﴿وألْقَى في الأرضِ رَوَاسِيَ أنْ تَمِيدَ بكم﴾.[1]

---

١ - النحل - ١٥.

## مطاف الخاتمة

قال ابنُ أبي الحديد من شعرِ المناجاة: [1]

فــــوا اللهِ لا موســــى ولا عيســــى المســـيحُ ولامحمــــدْ
علمـــوا ولا جـــبريلُ وهْـــو إلى محـــلِّ القـــدسِ يَصْعَـــدْ
كـــلا ولا النفـــسُ البســـيطةُ لا ولا العقـــلُ المُجَـــرَّدْ
مـــن كُنْـــهِ ذاتِـــكَ غـــيرَ أنـــك واحِـــدِيُّ الـــذاتِ سَـــرْمَدْ
وجـــدُوا إضافـــاتٍ وسَـــلْباً والحقيقـــةُ ليـــس توجَـــدْ [2]
ورأوا وجـــوداً واجبـــاً يَفْنـــى الزمـــانُ وليـــس ينفَـــدْ
فلتخسَـــيءِ الحكمـــاءُ عـــن حَـــرَمٍ لـــه الأمـــلاكُ تســـجُدْ
مـــن أنـــت يارسْـــطو ومـــن أفْـــلاطُ قبلـــك يـــا مُبَلَّـــدْ
ومـــنِ ابـــنُ ســـينا حـــينَ قـــرَّرَ مـــابنيتَ لـــه وشـــيَّدْ

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣/٥٠.

٢ - أي أنهم بفضل الله تعالى علموا الصفاتِ الثبوتية والسلبية ولكنهم ما علموا الذات المقدسة التي لها هذه الصفات.

هـــل أنتـــمُ إلاّ الفـــراش رأى الشـــهابَ وقـــد تَوَقَّـــدْ
فَدَنَـــا فـــأحْرَقَ نفســـهُ ولـــو اهْتَـــدَى رشـــداً لأَبْعَـــدْ

## خاتمةُ المطاف

عن أبي حمزةَ رضي الله عنه عن زينِ العابدين وسيدِ الساجدين عليه السلام قال: (يا أبـا حمـزةَ إن الله لا يوصَـفُ بمحدوديـة، عَظُـمَ ربُّنـا عـن الصفــة، فكيـف يوصَـفُ بمحدوديةٍ من لا يحَدُّ ولا تدركُه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير).
(١)

## تنبيه

يجب أن نعيشَ جميعاً مع الإمامِ عليه السلام فكراً وروحاً وحيـاةً مـن أجـلِ تحقيـقِ الفائدةِ القُصوى من هذا الدرسِ الشريفِ لنيلِ الكمـالات. وهنـاك أسبابٌ مهمـةٌ للتوفيق. فأولها وجوهرُها الإخلاصُ في العمل. ومنها أن تأتي الطالبـاتُ العزيـزاتُ على وُضُوءٍ فإنه ليس أمراً عادياً أن يأتي الإنسانُ ليتحدثَ أو يَسمعَ كلامـاً حـول أميرِ المؤمنينَ عليه السلام. تَذَكَّرْنَ أننا نتعلمُ التوحيد، نتعلـمُ سيِّدَ العلـومِ علـى يَـدِ سَيِّدِ الأوصياءِ عليٍّ عليه السلام وبابِ مدينةِ علمِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن ينبغي أن يُلاحَظَ للدرسِ قدسيتُه واحترامُه ومن ذلك التهيؤُ له بالحضورِ والمراجعةِ والحفظِ والتتبعِ قدر الإمكان. وكذلك الإصغاءُ للدرسِ وتركُ الأحاديثِ وعدمُ الاشتغال بما يمسُّ قدسيتَه أو يصـرفُ الطالبـةَ العزيـزةَ عـن الانتبـاه. وهـذه المسائلُ فيما أعتقد متروكةٌ للتفـاعلِ الخـاصِّ مـع أمـيرِ المؤمنـين عليه السلام لأنـه روحُنـا ووجودُنا ودنيانا وآخرتُنا. فلْنَجْعَلْ هذا الدرسَ وهذا الإخلاصَ طريقاً للوصولِ إلى أميرِ المؤمنين عليه السلام.

---

١- أصول الكافي ١/ص١٠٠. والآية الكريمة في سورة الأنعام - ١٠٣.

# التوحيد

أولاً : ضيق الخناق

ثانياً : أقسام التوحيد

ثالثاً : الواحد والأحد

رابعاً : قال إمام الموحدين (صلوات الله وسلامه عليه)

خامساً : (وقالت النصارى)

خاتمة

# مدخل

قال أمير المؤمنين عليه السلام

(التَّوْحِيْدُ ألاَّ تَتَوَهَّمَه)

## أولاً : ضيق الخناق

وهو تعبير أصولي يعني أن الحديث والتعبير عن الذات المقدسة، عن الله تبارك وتعالى يكون غير واف وغير واضح لأن العقل والإدراك لا يستطيع الإحاطة بالله تعالى وحتى عقول الأنبياء والأوصياء والأولياء وإدراكهم. هذا العجز يكون في اللغة نفسها بالإضافة إلى المتكلم. ولذلك تتخذ في التعبير عن الذات المقدسة أساليب متعددة حتى يقرب المعنى المقصود إلى الذهن. وابتداء ننبه أن ما نسمعه من بعض التعبيرات حول الذات المقدسة قد نتوهم فيها ما لا يصح على الله تعالى وتقدس.

## ثانياً : أقسام التوحيد

للتوحيد أقسام عدة لخصت في أربعة أقسام أو أربع مراتب وهي:

أ) توحيد الذات: فهو واحد لا شريك له.

ب) توحيد الصفات: فصفاته عين ذاته ولا يشاركه فيها أحد.

ج) توحيد الأفعال: في تفرده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والقدرة وغيرها.

د) توحيد العبادة: في قبال الرياء والعجب وما إلى ذلك مما يكون مظهره عبادة غير الله، وسوف يأتي بيان كل هذا إن شاء الله تعالى.

## ثالثاً: الواحد و الأحد

فمن صفاته تعالى الواحد والأحد، ويرى البعض أنه لاداعي للاعتناء بالفرق بين الكلمتين مادامتا تشيران إليه تعالى وتقدس، بينما يرى البعض الآخر أن الواحد في قبال لاثنين، بينما الأحد في قبال المركب أي من أجزاء مضافاً إلى فوارق أخرى ذكرت في كتب اللغة وغيرها.

## رابعاً : قال إمام الموحدين (عليه السلام)

ولنا هنا بعض الملاحظات حول ما نذكره من كلامه (عليه السلام):

- إن الخطبة الواحدة فيها عدة بحوث تماماً كالسورة الواحدة التي تتناول جهات عدة في البحث.

- ما نذكره هو نماذج فقط وليست كل ما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) حول موضوع درسنا التوحيد.

- هذه النصوص الشريفة ونحوها وما فيها من أفكار وحقائق يمكن أن نصنفها حسب أقسام التوحيد الأربعة التي ذكرناها.

- تعدد الأساليب وتفنن أمير المؤمنين (عليه السلام) في إثبات حقيقة التوحيد، فتارة يستخدم حقيقة أنه لا يحتاج إلى أنيس وليس له والد أو ولد، وتارة يستخدم عجز الإدراك العقلي وتارة يشير إلى أنه لوكانت هناك آلهة غيره سبحانه لكانت لهم أنبياء ورسل إلى الناس، وهذا التنوع في الأساليب ناتج من أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وعلي (عليه السلام) أعلم بها، فإلى جملة من كلماته الشريفة:

أ) قال (عليه السلام): [1]

(وكَمَالُ التَّصْدِيْقِ بِهِ تَوْحِيْدُه): يعبر الإمام (عليه السلام) بكلمة (كمال) أي أن

---

١ - خ١، ص٣٩.

الاعتقاد با لله يجب أن يكون كاملاً وأما الاعتقاد المنقوص فلا يحقق الهدف لأن النتيجة تتبع أضعف المقدمات، أي أن نتيجة الاعتقاد الناقص تتبع هذا النقص لأنه أضعف مقدمة. ويرى بعض الشراح والمفسرين أن التصديق ينقسم إلى قسمين: تصديق كامل وتصديق ناقص وكذلك التوحيد، و قوله (عليه السلام) (توحيده) جاء مطلقاً ليدلل على توحيده في كل اعتبار فيوحده بأنه هو الرب والخالق والمعبود والفعال لما يريد ويوحده في أي جهة أخرى. واختُلِفَ في تفسير هذا فقال البعض إن التصديق الناقص هو الاعتقاد فقط بأن ا لله واجب الوجود فهذا اعتقاد صحيح ولكن ليس كاملاً فيجب أن يضاف إليه معرفته تعالى بالبراهين والأدلة، وبعضهم يرى أن إثباته فقط (الجزم بوجوده) هو تصديق ناقص والكمال أن ينفي ما سواه في مقام الألوهية.

(وكَمَالُ تَوْحِيْدِهِ الإِخْلاَصُ لَه): يشعر هذا بتقسيم التوحيد أيضاً إلى توحيد ناقص وتوحيد تام، فالتام هو الاعتقاد به ونفي الشريك عنه، والناقص هو الاعتقاد به وبشريك معه، إلا أن الشيخ محمد جواد مُغْنِيَة يرى أن هذا من الخطأ في التفسير لأن الشرك من أقبح مواطن الإلحاد، فيرى الشيخ مُغْنِيَة أن المقصود بالإخلاص ليس عدم الشرك لأن الشرك ينافي التوحيد كله ولا ينافي كماله فقط، وإذن فما هو الإخلاص الذي يحقق كمال التوحيد؟ فسر بعضهم الإخلاص بأنه الإخلاص في العبادة وأن عدمه ينافي كمال توحيده تعالى ولا ينافي التوحيد كله بعكس الشرك الذي ينافي التوحيد كله. وهنا تذهب العقول مذاهب بعيدة فبعضهم يرى أن هذا التعبير عن (الإخلاص) هو إشارة إلى العرفان الإسلامي و الفناء في ا لله بحيث لا يرى العبد في الوجود إلا ا لله سبحانه، وما يعنينا هنا أن الإمام (عليه السلام) قد جاء بهاتين الكلمتين ليشير إلى أن هذه المعارف حول التوحيد بينها وشائج مترابطة.

ب) وتحدث عن تَوَحُّدِ ا لله تعالى، فقال (عليه السلام): [١]

---

١ - خ١، ص٤٠.

(مُتَوَحِّدٌ إذْ لا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ ولا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ)

أننا في تعابيرنا ننطلق من واقعنا، فكوننا ماديين يستدعي أننا نتعامل مع القضايا والأفكار من منطلق مادي فنقيسها بواقعنا، وفي هذا المثال يستشعر الإنسان أنه إذا ذهبت زوجته أو فقد ولده حتى بمرض فضلاً عن الموت فإنه يستوحش لذلك، والإنسان يستأنس حينما يعود إليه صديقه المسافر أو المسجون، وهذه ونظائرها من صفات المخلوق صاحب المشاعر والغرائز والأحاسيس التي ركبها الله تعالى فيه، وأما الله تبارك وتعالى فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [1] فما نحسه في أنفسنا أو نتصوره فيها فإنه لا يصح على الله تعالى، فهو واحد متوحد لا شريك له ولا سكن من زوجة أو ولد ولا هو يأنس بملائكته في سماواته أو حملة عرشه وكرسيه -جل وعلا- أو أي شيء آخر، ولنا أن نذكر مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو مثال القدرة الإلهية والعلم الإلهي فإنه (عليه السلام) وكما قال: (حَتَّى أَلْقَى اللهَ لا تَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ولا تَفَرُّقُهُم عنِي وَحْشَةً)[2]. هذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام) فكيف بالله تعالى الذي هو الغَنِى المطلق والكمال المطلق.

ج) وبين معنى الوحدة في حقه تعالى، فقال (عليه السلام): [3]

(كُلُّ مُسَمًّى بالوحْدَةِ غَيْرِهِ قَلِيل): وفي هذا ما عبرنا عنه بضيق الخناق، فإن كلمة (الوحدة) تنطبق على الشخص الذي يكون في بلاد وحده أو في سجن وحده أو كحديث أن أبا ذر يحشر أمة وحده أو المؤمن يمشي وحده. وتنطبق هذه اللفظة على الله تعالى وتقدس ولكن -ويا لروعة التعبي!- يقول (عليه السلام) بأن غيره إذا وصف بالوحدة فإنها تعني القلة والتي تحتاج إلى كثرة تؤازرها، أما الله سبحانه فهو الواحد الحقيقي الذي لا يحتاج إلى كثرة، فكلمة الوحدة في حقه تعني التفرد و الاستقلال والتوحيد الكامل.

---

١ - الشورى -١١.

٢ - كتاب رقم٣٦، ص٤٠٩.

٣ - خ٦٥،ص ٩٦.

د) وقال (عليه السلام): [1]

(لَمْ يُولَدْ): استدلال على الوحدانية بحقيقة التوالد، فإن الغالب في التناسل أن يكون عن طريق التوالد، فالمولود -إنساناً أو حيواناً- محتاج إلى من يقوم بتغذيته ورعايته، أما الله سبحانه لتنزهه عن الحاجة فإنه (لَمْ يُولَدْ).

(سُبْحَانَهُ): وهنا شاهد على روعة أمير المؤمنين في قوله (سُبْحَانَهُ) فبمجرد أن قال لم (يولد) فَصَلَ الكلام وقرنها بالتنزيه لأن الله تعالى حي في قلبه ووجوده.

(فَيَكُونَ فِي العِزِّ مُشَارَكاً) :لأنه سيكون له أب له شأن الأبوة والهيمنة فتكون العزة منقوصة وليست كاملة وحاشا ساحة الجلال والجمال أن يطرأ عليه نقص من النقائص.

(ولَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً)) : لأن في هذا أسباباً لعروض الحاجة للغير.

هـ) وتحدث عن معنى (الواحد) تعالى، فقال (عليه السلام): [2]

(وَاحِدٌ لا بِعَدَد): فعندما يقال (الواحد) يرتسم في أذهاننا مباشرة (الاثنان والثلاثة)، أما بالنسبة لله تعالى فإنه عنوان الوحدة الكاملة التي لا تحتاج إلى رديف أو زيادة، وهذه نقطة مهمة جداً ولهذا تكرر هذا التعبير في كلامه (عليه السلام).

و) وتحدث منزهاً الله تعالى عن وقوع الحال، فقال (عليه السلام): [3]

(مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ): فمن واقعنا أن نسأل عن مزاج الشخص وصحته وكيف عمله فيلاحظ في ذلك الزيادة والنقيصة والتبدل وغير ذلك، أما الله سبحانه فمنزه عن أن تطرأ عليه الأحوال والكيفيات كاللون الذاتي والجهر و

---

١ - خ١٢٨، ص ٢٦٥.
٢ - خ١٨٥، ص ٢٦٩.
٣ - خ١٨٦، ص٢٧٢.

الإخفات للقراءة أو أنه ثخين أو رقيق، والاعتقاد بانتفاء الكيفيات عنه هو كمال من التوحيد.

ز) وقال عليه السلام: [1]

(يَعُوْدُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لا شيءَ مَعَهُ): وقوله (يعود) من ضيق الخناق أيضاً في أفهامنا فقد نتصور أنه ذهب عنها ثم عاد إليها، ولكن المعنى أنه قبل الدنيا ومعها وبعدها على حد سواء وهو لا يحتاج إليها أو يرتبط بها وبما يعرض عليها من فناء وتحول، بل يعود كما هو دائماً بلا زمان أو مكان.

ح) وفي الوصية الخالدة إلى نجله الحسن المجتبى عليهما السلام التي كتبها له من حاضرين، قال عليه السلام: [2]

(واعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيْكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ ولَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وسُلْطَانِهِ ولَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وصِفَاتِهِ ولَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لا يُضَادُّهُ في مُلْكِهِ أَحَدٌ ولا يَزُولُ أَبَداً ولَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلا أَوَّلِيَّةٍ وآخِرٌ بَعْدَ فَنَاءِ الأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَة):

وهو استدلال عجيب حقاً، إذ يقرر الإمام (صلى الله تعالى عليه) أن قوافل من الأنبياء كوكبة إثر كوكبة وفي مدد مختلفة جاءت إلى الناس بدعوة واحدة مجمع عليها وهي أنهم -أي الأنبياء- يقرون بالله رباً وينزهونه ويعترفون بأنه ليس لهم من الأمر شيء، ولم يأتِ نبي من قبل إله آخر مما يدلل صراحة أنه لا إله إلا الله تعالى وتقدس، هذا من جانب الأنبياء وكذلك هو الأمر من جانب الخلق فهو في انسجامه وإبدعه يدلل على أن مبدعه واحد ولو كان له شريك لظهرت آثار هذا الشريك.

وكلمة الأمير عليه السلام التي افتتحنا بها الدرس: (التَّوْحِيْدُ أَلاَّ تَتَوَهَّمَهُ) هي

---

١ - خ١٨٦، ص ٢٧٦.

٢ - ص٣٩١-٤٠٦، وموضع الشاهد ص٣٩٦.

جامعة لهذه المعاني، فخواطر الإنسان حول ا لله تبارك وتعالى التي يجسدها الإنسان في أنها واحد في قبال الاثنين أو يجسدها في أنه لابد أن يكون له خالق أو أنه يجري عليه نظام التوالد و الكيفيات، كل هذه الخواطر إنما هي توهمات بتأثير مادية الإنسان، وهنا ينبه أمير المؤمنين (عليه السلام) أن هذه التوهمات تتنافى مع التوحيد، نعم يضيق فكر الإنسان دون الوقوف على حقيقة الذات المقدسة، ولهذا جاء النهي عن التفكر في ذات ا لله ولكن تفكروا في مخلوقات ا لله تعالى.

## خامساً: (وقالت النصارى)

بأن الرب و الابن وروح القدس أقانيم ثلاثة إله واحد، وهذه من المقولات الغريبة ومع بالغ الأسف نجد أن المفكرين المحدثين من النصارى المسيحيين يحاولون تصحيحها وتبريرها وهي في الواقع تستعصي على التصحيح وتأبى إلا الغلط فكيف يجتمع آلهة ثلاثة كل منهم له وجوده المستقل ليكونوا إلهاً واحداً، بل يقولون بأنه صحيح أن العلم لا يقر ذلك ولكن الدين يقره، وهذا أسلوب فيه مغالطة يهدف إلى اتهام الدين بأنه مجموعة خرافات لا تنسجم مع العقل والعلم. وهذا يذكرنا بجملة فارسية تستعمل لبيان فداحة الخطأ والاشتباه الكبير لبعض المغفلين، وهذه الجملة هي:

حسن و حسين هرستاش دختران معاوية، وترجمتها الحسن والحسين ثلاثتهم بنات معاوية، فأنى تستقيم هذه المقولة؟!

## خاتمة

إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إن ا لله واحد؟... فحمل الناس عليه، قالوا يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم . ثم قال : ((يا أَعْرَابِيُّ إِنَّ القَوْلَ فِي أَنَّ ا للهَ واحِدٌ على أَرْبَعَةِ أَقْسَام: فوَجْهَانِ مِنْهَا لا يَجُوْزَانِ عَلَى ا للهِ عَزَّ وجَلَّ ووَجْهَانِ

يَثْبُتَانِ فيه، فأمَّا اللذان لا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ فقولُ القَائِلِ: وَاحِدٌ يَقْصِدُ بِهِ بابَ الأعداد فهذا ما لا يَجُوزُ لأنَّ ما لا ثَانِيَ له لا يَدْخُلُ فِي بَابِ الأَعْدَادِ أمَا تَرَى أنَّهُ كَفَرَ مَنْ قالَ: ثالثُ ثلاثة، وقولُ القائلِ هو وَاحِدٌ مِنَ الناسِ يريدُ بِهِ النوعَ مِنَ الجنسِ فهذا ما لا يَجُوزُ عَلَيْهِ لأنَّهُ تَشْبِيهٌ، وجَلَّ رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ وتعالى، وأمَّا الوَجْهَان اللذان يَثْبُتَانِ فيهِ فقولُ القائل: هو وَاحِدٌ ليسَ لهُ في الأشياء شِبْه، كذلكَ رَبُّنا، وقولُ القائلَ: إنَّهُ عَزَّ وجَلَّ أحَدِيُّ المعنى، يعني بأنَّهُ لا يَنْقَسِمُ في وجودٍ ولا عقلٍ ولا وَهْمٍ، كَذلك رَبُّنا عَزَّ وجَلَّ) [1]

﴿شَهِدَ ا للهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ والمَلاَئِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيْزُ الحَكِيم﴾ [2]

---

١ – التوحيد، للشيخ الصدوق، ص٨٣-٨٤.

٢ – آل عمران – ١٨.

# الصفات الإلهية

## مدخل

قال سيد الموحدين عليه السلام:

(الحمدُ لله الذي أظْهَرَ من آثارِ سلطانِه وجلالِ كبريائِه ما حَيَّرَ مُقَلَ العقولِ من عجائبِ قدرتِه ورَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النفوسِ عن عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِه).

## أولاً: (وبحر عميق فلا تلجوه)

إن بحث الصفات بحر عميق متلاطم الأمواج فهو يتحدث عما يليق وكيف يليق بالذات المقدسة الإلهية. ولما كانت الذات الإلهية في حد ذاتها لا يُعلم كنهُها ولا يتأتّى للعقل الوقوفُ على ساحلها فكيف يمكن الولوج إلى أعماقها وأسرارها. يركز الإمام عليه السلام على عجز الإنسان وقصوره الذاتي عن إدراك ما يشاهد أو ما لا يشاهد من المخلوقات كحديثه عليه السلام عن ملك الموت عليه السلام فإن الإنسان يجهل وصف هذه الذات المخلوقة ومعرفة أسرارها وشؤونها فكيف يصف ويحيط بخالقها بل لا قياس في المقام أصلاً. وكفى بهذا اعترافاً بعجزنا. بل يذكر الإمام عليه السلام أن الأولياء والمقربين وُصِفُوا بالراسخين في العلم لاعترافهم بقصور أفكارهم وإدراكاتهم عن الإحاطة بصفات ا لله تبارك تعالى.

## ثانياً: أقسام الصفات

صفات الذات المقدسة تُقَسَّمُ إلى صفات ثبوتية وهي صفات الجمال والكمال، وصفات سلبية وهي صفات الجلال.

والصفات الثبوتية تُقَسَّمُ أيضاً إلى قسمين:

أ - الصفات الثبوتية الذاتية أو صفات الذات.

ب - الصفات الثبوتية الفعلية أو صفات الأفعال، ويعبر عنها بالصفات الثبوتية الإضافية.

وهذا التقسيم هو بملاحظة ما يليق بالذات المقدسة وما لا يليق بحسب ما نتعلمه من أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي علّم الناس التوحيد وعرّفهم على الله التعريف الممكن لعقولهم أن تدركه أو تدرك شيئاً منه.

وهنا تفصيلات أخرى في هذا التقسيم كإرجاع بعض الصفات لبعضها مثل علاقة الإرادة بالعلم وغير ذلك مما لا يهمنا التعرض له هنا.

## ثالثاً: مقياسٌ دقيق

صفات الذات كثيرة من أهمها العلم والقدرة والحياة والإرادة والغنى، وكذلك صفات الأفعال ومنها الخلق والرزق.

وهنا مقياس دقيق للتفريق بين صفات الأفعال وصفات الذات، فمن ذلك:

١ - يلاحظ في صفات البشر أن الصفة شيء والموصوف شيء آخر، فإذا وُصِفَ شخص بأنه شاعر أو مهندس فمن الواضح أن هذا الشخص (الموصوف) شيء والشعر أو الهندسة (الصفة) شيء آخر، وهذا جليٌّ جداً.

بينما في حق الذات المقدسة لا نجد هذا، بل نجد أن صفات الذات ليست شيئاً آخر غير الذات فهنا الصفة والموصوف شيء واحد أي صفاته (الذاتية) هي عين ذاته.

بينما صفات الأفعال صفات إضافية كما قدمنا.

٢ - وقد يكون هذا الأمر تتميماً أو توضيحاً للأمر الأول، وهو أن صفات الذات لا تنفك عن الذات. فلا يمكن تصور أن الله موجود ولكنه غير عالم أو غير قادر. بينما يمكن تصور الله تعالى موجوداً دون صفة من صفة الأفعال. مثلاً كان الله ولا سماء ولا أرض ولا كائن، إذن كان الله موجوداً ولم يكن خالقاً ثم خلق فكان خالقاً.

٣ - صفات الذات لا يمكن وصف الله بعكسها فلا يقال علم الله هذا

الأمر ولم يعلم هذا الأمر، أو قدر على هذا ولم يقدر على هذا. بينما صفات الأفعال يمكن وصف الله تعالى بعكسها فيصح أن يقال بأن الله تعالى رزق فلاناً ولم يرزقني بستاناً مثلاً. أو أن الله خلق هذا الولد لي ولم يخلق لي ولداً آخر.

## رابعاً: قال إمام الموحدين عليه السلام

أ - قال عليه السلام: [1]

(الحمدُ لله الذي أظهرَ من آثارِ سلطانه وجلال كبريائه ما حيَّر مُقَلَ العقولِ من عجائب قدرته):

المُقَل جمع مقلة وهي شحمة العين التي فيها السواد والبياض ونسبتها إلى العقول من باب الاستعارة فليس للعقول عيون تبصر، وإنما المراد أن العقول لديها القدرة على النظر الفكري أي الإدراك ومع ذلك فهي حائرة أمام آثار سلطانه وجلال كبريائه.

(ورَدَعَ خطراتِ هَمَاهِمِ النفوسِ عن عرفان كُنْهِ صفته):

الهماهم يعني ما يهم النفس أي همومها في طلب العلم، فيقول لها بلسان الحال والواقع بأنها تعود خاسئة حسيرة عاجزة عن الوصول إلى كنه صفاته تبارك وتعالى.

ب - وقال عليه السلام: [2]

(الذي ليس لصفتِه حَدٌّ محدودٌ ولا نعتٌ موجود):

وهذه النقطة يجعلها الإمام عليه السلام ركيزةً في تعليم الناس طريقة التعامل مع الله بأننا نجهل كنهه وحقيقته وصفاته ولذلك لا يمكننا الإحاطة به تعالى وتقدس.

---

١ - خ١٩٥، ص٣٠٨.

٢ - خ١، ص٣٩.

(وكمالُ الإخلاصِ له نفيُ الصفاتِ عنه):

ماذا يعني الإمام عليه السلام بهذه العبارة؟! كيف ننفي الصفاتِ عنه رغم أنه وَصَفَ نفسه في كتابه ووصفه رسوله ووليُّه (صلى الله تعالى عليهما وآلهما) بأفضل الصفات؟! نعم لا يراد من هذا ما قد يُتوهم من ظاهر العبارة بل يراد ما بيَّنْته العبارة التي بعد هذه العبارة مباشرةً بقوله عليه السلام:

(لشهادةِ كلِّ صفةٍ أنها غيرُ الموصوف وشهادةِ كلِّ موصوفٍ أنه غيرُ الصفة):

فقد بينا أن قولنا: فلان المهندس أو الشاعر، فيه فلان (الموصوف) شيء والشِعْر أو الهندسة (الصفة) شيء آخر ويمكن تَعَقُّلُ الموصوف مستقلاً دون الصفة كما يمكن تعقل الصفة مستقلة دون الموصوف فكل منهما معنى قائم بذاته. ويا لروعة أمير المؤمنين عليه السلام في تعبيره (لشهادة) فهو يقول أن مجرد لفظ (صفة) و(موصوف) شهادة منهما أنهما ليسا شيئاً واحداً، وحتى في الإعراب النحوي عندنا صفة وموصوف، بينما الصفات الذاتية لله تعالى هي عين ذاته ولا يمكن أن تكون هناك إثنينية: صفة وموصوف، وما المانع من الاثنينية؟ يجيب عليه السلام:

(فَمَنْ وَصَفَ الله سُبْحَانَهُ فقَدْ قَرَنَهُ، ومَنْ قَرَنَهُ فقَدْ ثَنَّاهُ، ومَنْ ثَنَّاهُ فقد جَزَّأَهُ ومَنْ جَزَّأَهُ فقَدْ جَهِلَه).

لأنه وصفه بما لا يصح عليه فالذي يتجزأ إلى شيئين أو أكثر إنما هو الجسم المخلوق، تعالى الله الخالق وتقدس.

(ومَنْ جَهِلَهُ فقَدْ أَشَارَ إِلَيه):

فيشير إليه بما هو موصوف مستقل عن صفاته تعالى.

(ومَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فقَدْ حَدَّه):

فيأخذ الإمام عليه السلام في بيان المفارقات التي تترتب على هذا التصور الخاطيء.

إذن (نفيُ الصفات عنه) يعني عدم جعلها مستقلة عن ذاته جلّ وعلا. فالواقع أنه ليست هناك صفات متعددة فهو عالم بما هو حيٌّ وحيٌّ بما هو قادر وهذه الكمالات مجتمعة هي الذات المقدسة.

وهنا ثلاثة آراء:

١ - أن كل صفات الله حادثة. يعني كان الله ولم يكن معه أو فيه شيء من صفاته ثم حدثت، وهذا الرأي لبعض أهل السنة وهو منبوذ، والرأيان الرئيسان هما:

٢ - أن صفاته تعالى هي عين ذاته ولا اثنينية في المقام كما قال سيد الموحدين ومن علّم الناس التوحيد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. وقد أخذ بهذا الرأي العَدْلية الذين هم الإمامية والمعتزلة.

٣ - أن صفاته ليست حادثة بل هي قديمة ولكنها مستقلة عن ذاته فليست هي عين ذاته. وهو رأي الأشاعرة الذين هم الكثرة الكاثرة من المسلمين في مجال الاعتقاد.

أي أن الصفات التسع أو الثمان بالإضافة إلى الله تعالى كلها قدماء وتعدد القدماء تعدد في الآلهة فإذا كان النصارى قالوا بآلهة ثلاثة فقد قال هؤلاء بآلهة تسعة. ولا نقول أنهم يعتقدون بآلهة تسعة إنما ذلك لازِمُ مقولتهم.

ولهذا قال الفخر الرازي العالم الشهير:

" إن النصارَى أثبتوا ثلاثةَ قدماءَ وأصحابنا أثبتوا تسعة ". [1]

إخوانَنا الأدْنَيْنَ مِنّا ارْفقُوا ... لقد رقيتُمْ مُرْتَقىً صعباً
إنْ ثَلَّثتْ قومٌ أقانِيمَهُمْ ... فإنكمْ تُسَّعْتُمُ الربا [2]

---

١ - معالم الفلسفة الإسلامية، للشيخ محمد جواد مغنية، ص١١٧.

٢ - الغدير ٣/٢٩٣.

## خاتمة:

سمع الإمام الصادق (عليه السلام) رجلاً يُكَبِّر (يقول: الله أكبر) فسأله الإمام (عليه السلام): أكبر من أي شيء؟ فقال الرجل: أكبر من كل شيء، فقال الإمام (عليه السلام): كان الله ولم يكن شيء معه، فإذن أكبر من كل شيء؟ (يعني لم يكن هناك شيء حتى يكون أكبر منه) فقال الرجل: فماذا أقول؟ فقال (عليه السلام): قل الله أكبر من أن يوصف [1]. يعني اعْتَقِدْ بهذا المعنى وإن كان قول (الله أكبر من كل شيء) صحيح ولكن يعَلِّمُه الإمام (عليه السلام) أنَّ الأَلْيَقَ بالله تعالى حينما نقول (الله أكبر) أن نعتقد أنه أكبر من أن يوصف، والاعتراف بالعجز وصف من الأوصاف بل هو نهاية قدرة الإنسان.

## مصادر للبحث

١- (في ظلال نهج البلاغة) للشيخ محمد جواد مغنية، شرح الخطبة الأولى وكلامه واضح وجدير بالرجوع إليه.

٢- (عقائد الإمامية) للشيخ المظفر، في بحثه للصفات.

٣- (معالم التوحيد) للشيخ السبحاني، في بحث بساطة ذاته تعالى.

٤- (خلاصة علم الكلام) للشيخ الفضلي في هذا المجال أيضاً.

---

١- في ظلال نهج البلاغة ٢٧٩/١.

# تنزيه الذات المقدسة

**أثر واقعنا على فهمنا للصفات الإلهية**

**قال سيد الموحدين (عليه السلام)**

# أ ثر واقعنا على فهمنا للصفات الإلهية

قال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم:

(اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الوَصْفِ الجَمِيل)

إننا بطبعنا العادي ونظراً لكوننا ماديين نميل دائماً إلى المحسوس ونقيس الأمور على واقعنا فلا نتعقل مثلاً أن يكون السمع بلا حاسة، لماذا؟ لأننا وما حولنا من حيوانات نحسها نسمع بحاسة هي الأذن. وهذه الناحية هي في الواقع قصور ذاتي فينا. ولو طبقنا هذه المادية وهذا القصور في فهمنا لصفات الله تعالى لكان ربنا مثلنا تعالى الله وتقدس. وهو تعالى (ليس كمثله شيء). وعلى هذا فإن نسبة السمع والبصر والكلام نسبة صحيحة وصادقة ولكن ينبغي فهمها من منطلق ما يليق بالله تعالى وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام على هذه الناحية كثيراً كما رأينا ونرى في كلامه عليه السلام.

## قال سيد الموحدين عليه السلام:

١- قال عليه السلام: [1]

(وكلُّ سميعٍ غيرَهُ يَصَمُّ عن لطيفِ الأصواتِ ويُصِمُّهُ كبيرُها ويذهب عنه ما بَعُدَ منها):

هناك أصواتٌ للنمل في المكان البعيد في الأرض، وأصوات لحيوانات في قعر البحار، وأصوات لطيور في أجواء السماء البعيدة وهذه لا ندركها ولا نحسها. كذلك الإنسان، الصوت القوي يُصِمُّ آذانه وقد تصل الحالة إلى أنه لا يستطيع تمييز الصوت وفهمه وهذا أمر مشاهَدٌ بالتجربة. إذن الإنسان وكل سامع من المخلوقات له حدان أدنى وأعلى لمدى قدرته على السمع وهذا نقص في المخلوق

---

١ - خ٦٥، ص٩٦.

والخالق منزه عنه. وكذلك هو الأمر في مجال البصر ومداه، يقول (عليه السلام):

(وكلُّ بصيرٍ غيره يعمى عن خفيِّ الألوان ولطيفِ الأجسام):

وهذا ما نعرفه اليوم من وجود المخلوقات التي لا ترى بالعين المجردة ونحتاج لنراها إلى المجهر. بل يقررون أن ثمة أجساماً تعيش في النار وبعضها يعيش في الجليد وغير ذلك وهي ذات ألوان ولكن لا تقع عليها أعيننا ولكن الله أحاط بكل هذه الأمور فهو خالقها. وأتصور أن الإمام (عليه السلام) في حديثه هذا عن السمع والبصر في حق الله تعالى أراد إعلام الناس على قدر عقولهم ومن واقع تجاربهم وأن الله تعالى فوق هذه المدرَكات والمدرِكات من مخلوقاته.

٢ - وتحدث (عليه السلام) عن صفات الله تعالى فقال: [1]

(لا تقع الأوهامُ له على صفة): وقد بيَّنا فيما سبق من الدروس أن هذا لا يعني عدم وصف الله تعالى وأنه خالٍ من الصفات فقد وصف نفسَه ووصفه رسولُه ووصفه أمير المؤمنين عليهما وآلهما الصلاة والسلام، وإنما المعنى -كما سبق- استحالة الصفة بعنوان أنه شيء غير الذات المقدسة فيلزم التركيب والتجزيء وهذا ما لا يصح.

(ولا تُعْقَدُ القلوبُ منه على كيفيَّةٍ): لأن معرفة كيفيته تستدعي إحاطةَ ممكنِ الوجود بواجبِ الوجود، والقاصرِ بالكاملِ وهذا غير معقول.

(ولا تنالُه التجزئةُ والتبعيضُ): يمكن تفسير هذه العبارة الشريفة بعنوان نفي التجسيم كما سيأتي إن شاء الله تعالى، كما يمكن تفسيرها بعنوان أن صفاته عين ذاته. فلو جزأنا الصفات عن الذات أو جعلنا كل صفة منفصلة عن الأخرى لجزأنا الله تعالى وبعضناه وذلك يستدعي التركيب، والتركيب يستدعي مركِّباً إلى آخر هذه اللوازم الفاسدة، تعالى الله علوَّاً كبيراً.

---

١ - خ٨٥، ص١١٥.

ولهذا قال (عليه السلام) في آخر هذه الفقرة الشريفة:

(ولا تحيط به الأبصارُ والقلوب): الأبصار كوسيلةٍ للشيء المنظور لا تحيط به وإنما ترى آثار سلطانه وقدرته. والقلوبُ وإنْ انعقدت على معرفته ووجوب وجوده وتوحيده، فهذا شيءٌ وأما الإحاطة به فشيءٌ آخر. وكيف تحيط به وهي بعض ما خلق.

٣ – وتحدث حول اطلاع الله تعالى عل أعمال العباد، فقال (عليه السلام): [١]

(إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العبادُ مقترفون في ليلِهم ونهارِهم): فهو مطلعٌ على العباد ليلاً ونهاراً ولا فرق لديه لأنه العالم النافذ ولأنه منفصل عن الزمان. ولهذا قال بعد هذه العبارة:

(لَطُفَ به خبْراً وأحاطَ به علماً): واللطف: هو الرقة الخاصة التي تستوجب النفوذ والتوغل في أعماق الشيء الدقيق. وهو شبيه بما نعرف الآن –و لله المثل الأعلى– بعالم الأشعة التي تمكننا من التصوير من العلو إلى قيعان البحار وأعماق وخفايا الأرض. وهذا اللطف والدقة في العلم والإحاطة شيء معجز من جانب. ومن جانب آخر فإن هذه الإحاطة تستوعب كل خلق الله تعالى بأعداده الهائلة من إنسان وجان وملك وحيوان وغير ذلك وهذا إعجاز آخر.

(أعضاؤكم شهودُه): وهذه الأعضاء ليست مصادر علمه تعالى وتقدس بل هو الذي جعلها شهوداً وأنطقها سواء كان النطق هذا الذي نعرفه أو أنها تحفظ آثار الجريمة التي تنطبع عليها. ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الذي أَنْطَقَ كُلَّ شيءٍ وهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مرةٍ وإِلَيْهِ تُرْجَعُون﴾ [٢].

(وضمائرُكم عيونُه): وهذا لطف في التعبير لأن الضمير بطبعه يناسبه الكتمان بينما العيون شاخصة بارزة، وإنما جمع بينهما الإمام (عليه السلام) ليخبر بأن الله

---

١ – خ١٩٩، ص٣١٨.
٢ – فُصِّلَتْ – ٢١.

تعالى لا يُفرّقُ عنده حال العبد في السر أو العلانية.

(وخلواتُكم عِيَانُه): يرتكب الإنسان إثماً في خلواته بعيداً عن الناس لكن هذه الخلوة هي عِيانٌ عند الله أي معايَنة ومشاهَدة.

٤ - وقال عليه السلام: [١]

(ليس في الأشياءِ بوالِجٍ، ولا عنها بخارِجٍ): ولتقريب حجم المخلوقات والمعلومات فلنأخذ قريتنا هذه وما فيها من البناء والبشر والمخلوقات والماء والنخيل والأرض والسماء فنجد أنها دنيا واسعة وما هي إلاّ قطرة صغيرة في بحر محيط بالنسبة لخلق الله. ومع ذلك فإنه الله مستغنٍ بعيدٌ ليس بداخلٍ فيها كما أنه، في بُعدِه، معها ومحيطٌ بها.

٥ - ووصف عليه السلام ملك الموت. وهذا أسلوب لأمير المؤمنين عليه السلام إذْ يدلل بعجزنا عن الإحاطة بالمخلوقات على عجزنا عن الإحاطة بخالقها ومبدعها، وقد رأينا فيما سبق مثالاً آخر من هذا في وصفه عليه السلام للطاووس. فيقول هنا في وصف ملك الموت: [٢]

(هل تَحُسُّ بِهِ إذا دَخَلَ مَنْزِلاً أَمْ هَلْ تَرَاهُ إذا توفّى أحداً): فقد جاء في الروايات أنه يتفقد البيوت كل يوم وإذا قبض روح أحدهم قال إن لي معكم عودات [٣]. ثم يترقى الإمام عليه السلام في بيان عجزنا عن وصف هذا الملك بقوله عليه السلام:

(بل كيف يتوفّى الجنينَ في بطنِ أمِّه! أَ يَلِجُ عليهِ مِنْ جَوَارِحِها أَمِ الروحُ أجابتْه بإذنِ ربِّها؟): ثم يَخلُصُ الإمام عليه السلام إلى الدرسِ من ذلك بقوله عليه السلام:

(كيفَ يصِفُ إلهَه مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مخلوقٍ مِثْلِه).

---

١ - خ١٨٦، ص٢٧٤.

٢ - خ١١٢، ص١٦٧.

٣- بحار الأنوار ٦/١٤١-١٤٣ وَ ١٦٩، ومنهاج البراعة ٨/٣٧.

## خاتمة

تحدثنا عن بعض صفاته تعالى وتقدس وأن نسبتها إليه تعالى صحيحة صادقة ولكن ليس كما نتصور ونعايش في واقعنا. وهذا ينطبق على غير الصفات مما يتعلق با لله تبارك وتعالى كما نقرأ في القرآن الكريم، مثلاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ا للهُ المُعَوِّقِيْنَ مِنْكُم﴾ [1]. فإن (قد) هنا كما نعلم من اللغة تفيد أنه قد يعلم وقد لا يعلم. ولكن يجب حملها على غير هذا المعنى لأنه لا يليق با لله تعالى وتقدس، ويذكر في النحو أن (قد) تفيد التكثير وقد تفيد التوكيد، كما أن كان وأمثالها من أفعال يذكرون أنها مع ا لله تكون مسلوبة الدلالة على الزمان. ولهذا فإن أستاذنا العمران حفظه ا لله وأيده يرتب على أمثال هذه الأمور آثاراً حتى في الإعراب لكي يتلاءم وجلال ا لله وما يليق به تبارك وتعالى. فمثلاً، في قوله تعالى: ﴿وكَانَ ا للهُ عليماً حكيماً﴾ [2] لا يُعرِبُ كلمة (حكيماً) بحسب ظاهرها (خبراً لكان) لأن هذا يستلزم أنه تعالى كان جاهلاً - ونستغفر ا لله لهذه الكلمة- ثم عَلِم، بل يعربها حالاً أي أن حال ا لله في كينونته هي العلم دائماً وأبداً. لذلك يجب تفسير مثل هذه الألفاظ بما يليق به تعالى، وهذا ما عبَّرنا عنه سابقاً بضيق الخناق.

---

١ - الأحزاب - ١٨.

٢ - النساء - ١٧.

# صفة العدل

أولاً: تعريف العدل لغةً واصطلاحاً

ثانياً: مجالات العدل

ثالثاً: لماذا خُصَّ العدلُ ليكون الأصلَ الثاني من أصول الدين

رابعاً: من فكر وتربية أمير المؤمنين عليه السلام

هكذا أدَّبنا أمير المؤمنين عليه السلام

# مدخل

قال أمير المؤمنين وسيِّد الموحدين صلوات الله وسلامه عليه

**(التوحيدُ ألاّ تتوهَّمَهُ، والعدلُ ألاّ تتّهِمَه)**

## أولاً: تعريف العدل

العدلُ لغـةً: هـو التسـوية بـين الاثنـين ويرى بعضهـم أنـه مـرادف لكلمـة (القسط). والعدل مصدر فإطلاقه على الله أي أنه ذو عدل أي عادل.

واصطلاحاً: يُعرَّفُ في علم الكلام بأنه تنزيـه البـاري جـلَّ وعـلا عـن فعـل القبيح وعن الإخلال بالواجب. وهذه التسمية بالنظر إلى أن جميع مـا يصـدر عنـه تعالى متصف بالعدل بما يليق به تعالى لذلك جـاء العـدل وصفـاً واسمـاً مـن أسمائـه تعالى.

## ثانياً: مجالات العدل

فهي لا تنحصر في دائرة من الدوائر كالعدل في التشـريع مثـلاً، بـل تشـمل جميع الدوائر وكل ما ندرك وما لا ندرك في عالم التكوين وعالم التشريع. ونقصـد بعالم التكوين أن الله فيما خلق وفيما يميت ويحيي وما يتعلـق بالسـماوات العُلـى والأرضين السُفلى وما يتعلق بالجنة والنار والمعاد وكل شيء في الوجود فإنـه علـى بنية العدل واستقامته التي لا يشذ عنها شيء. فتركيبة الإنسان بما فيهـا مـن غرائـز وطاقات وقوى ولحم وعظم مبتنية على العدل. وكذلك هو الأمر في عالم الملائكة والجن والمخلوقات كلها.

ونقصد بعالم التشريع الأحكام الشرعية إذْ نؤمن أنها منبعثة من عدل وهـذا يريحنا كثيراً عن معرفة أسرار التشريع وما يظهر أنه تمييز مثلاً بين الرجل والمرأة في الميراث فقد يُظن أنه حَيْفٌ وظلم ولكن لكوننا نؤمن بأنه تعالى عـادل فإننـا نؤمـن

بعدالة التشريعات الصادرة عنه سواءً فهمنا أسرارها أم لم نفهمها. ومن ذلك أيضاً شرف السيادة والانتماء لرسول الله ﷺ وأن السادة لهم حق في الخمس وليس في الزكاة. وكذلك الأمر في القصاص والشهادة وأحكام المرأة، فإننا على يقين بعدالة هذه التشريعات فهمنا أسرارها أم لم نفهمها.

## ثالثاً: لماذا خُصَّ العدلُ ليكون الأصلَ الثاني من أصول الدين؟

العدل بالنظر التحقيقي صفة من صفات الأفعال كسائر الصفات. وأصول الدين أساساً ثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد. فيدخلالعدل وجميع الصفات تحت التوحيد لأن التوحيد جامع لكل ما يتعلق بالله ومن ذلك توحيده في صفاته. وتدخل الإمامة تحت النبوة لأنها امتداد لها وتشترك معها في شروطها وأمورها إلا ما اختص بالنبوة كالوحي مثلاً. فلماذا إذن نرى تقسيماً آخر يجعل أصول الدين خمسة فيضيف لها العدل والإمامة؟ والجواب أن ذلك بسبب اختلاف المسلمين في العدل والإمامة إلى فرقتين. فبالنسبة للعدل قالت إحدى الفرقتين وهم الأشاعرة الذين هم غالبية السنة: أن الحَسَنَ ما حسَّنَه الشرعُ، والقَبيحَ ما قبَّحَه الشرعُ. فجميع الأمور يجوز صدورها عن الله تعالى وتكون عدلاً حتى لو لم تتفق مع العقول السليمة والفطرة المستقيمة. ويمثلون لذلك بأنه لو أدخل الله سيِّدَ رسلِه النارَ لكان ذلك عدلاً، ولو أدخل أشدَّ أعدائِه المتكبرين جنتَه لكان ذلك عدلاً. بينما قالت الإمامية والمعتزلة بأن هناك حُسناً عقلياً وقُبحاً عقلياً، والله لا يصدر منه إلاّ الجميل الذي يوافق العقل السليم والفطرة المستقيمة والوجدان، ولذلك توصف الإمامية والمعتزلة بالعدلية.

## رابعاً: من فكر وتربية أمير المؤمنين عليه السلام

١ – قال عليه السلام:

(والعدلُ ألاّ تتهمه): فالمؤمن الذي هو على بصيرة من أمر ربه يثق بعدالته في كل الأمور فيما يعلم وفيما لا يعلم، وفيما يرضى وفيما لا يرضى وتلك منزلة كبيرة تلتقي مع منزلة التسليم لله تعالى وتقدس. فقد يفقد الإنسان ما يظن أنه سرُّ سعادته كأن يفقد ولده الوحيد فيتبرم ويقول أي حكمة وأي عدل في أن يحرم الله عبداً مسكيناً من ولده الوحيد ومصدر خيره ونفعه الظاهري، وقد يحرم الإنسان من وجاهةٍ كانت له فيسقط في نظر المجتمع، وقد يحرم نعمة من النعم، ولكنه إذا عرف أن الله عدل سلّم له وانقاد ورضي بقضائه. ولو كان الله ظالماً – ونستغفر الله لهذه الكلمة– للزم أن يكون هناك دوافع تدعوه للظلم تعالى الله وتنزه. فإما أن يكون محتاجاً للظلم، ولكن الله هو الغنيُّ المطلق، وأما أن يكون عمله هذا عبثاً، ولكنه الحكيم الذي لا يعبث، وأما أن يكون ظلمه جهلاً، ولكنه العالم بكل شيء. وحيث امتنعت جميع الدوافع للظلم لأنها لا تليق بجلاله إذن ثبت استحالة الظلم منه سبحانه وتعالى [1]. إذن الله سبحانه عدلٌ في تكوينه، وعدلٌ في تشريعه، وعدلٌ في كلِ أمره فيجب التسليم له سواءً عرفنا أسرار ذلك أم لم نعرفه. ﴿فلا وربِّكَ لا يُؤْمِنونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهم ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيْماً﴾ [2].

٢ – وعن عدل الله تعالى في الآخرة، قال عليه السلام: [3]

(إذا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وحَقَّتْ بجَلائِلِها القِيَامَةُ، ولَحِقَ بكُلِّ مَنْسَكٍ أهْلُهُ، وبكُلِّ معبودٍ عَبَدَتُه، وبكَلِّ مطاعٍ أهْلُ طاعَتِهِ، فلمْ يُجْزَ في عَدْلِهِ وقِسْطِهِ يومئذٍ خَرْقُ بَصَرٍ في الهَوَاءِ ولا هَمْسُ قَدَمٍ في الأَرْضِ إلاّ بِحَقِّه):

يقول عليه السلام بأن هذه الدنيا مليئة بالفوضى والآثام والمظالم، أما إذا قامت القيامة بما فيها من أهوال ولحِق كل أناسٍ بإمامهم سواءً كان إمامَ باطلٍ أو حقٍ،

---

١ – يراجع في ذلك (عقائد الإمامية) للشيخ محمد رضا المظفر، في مبحث العدل.

٢ – النساء – ٦٥.

٣ – خ٢٢٣، ص٣٤٥.

فعندها لا يكون ظلم حتى بمقدار لا يكاد يُحَسُّ كخرق البصر في الهواء أو همس القدم في الأرض.

(فكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وعَلائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ):

كم: خبرية لبيان الكثرة، أي أنه يمكن التضليل والتزوير في الدنيا والاحتجاج بحجج واهية وأعذار ضعيفة، أما في الآخرة فتتكشف الحقائق ولا تنفع هذه الحجج والأعذار. فهو يوم العدل الذي ينتصر فيه للمغلوب وللمظلوم في الدنيا. و (يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم). [1]

وعن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في رسالة بعث بها إلى هارون العباسي من مطامير السجن: (يَا هَارُونُ اعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ يَنْقَضِي عَنِّي يَوْمٌ مِنَ البَلاءِ إلاَّ وقَدِ انْقَضَى عَنْكَ يَوْمٌ مِنَ الرَّخَاءِ حَتَّى نَفْنَى جَمِيعاً إلى يَوْمٍ لَيْسَ لَهُ انْقِضَاءٌ وهُنَاكَ يَخْسَرُ المُبْطِلُون)[2]. نعم تمر الحياة وتنتهي، على الظالم والمظلوم، على السجين والسجّان، على من في القصر وعلى من في الكوخ، ثم يكون الملتقى عند الله تعالى...

## هكذا أدّبنا أمير المؤمنين عليه السلام

فقد جاء عنه عليه السلام: "اللّهُمَّ احْمِلْني على عَفْوِكَ ولا تَحْمِلْني على عَدلِك" فإذا كان إمامنا عليه السلام الذي كان من عدله ما جاء عنه: (واللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيْمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِها عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُها جُلْبَ شَعِيْرَةٍ ما فَعَلْتُه) [3] ومع ذلك يبتهل بلسان العبودية الصادقة يسأل الله أن يعامله بعفوه لا بعدله لأن الحَمْلَ على العدل ثقيل، وهذا درس وعِظَةٌ لنا للكف عن كل ذنب

---

١ – نهج البلاغة ص٥١١، الكلمة رقم ٢٤١.

٢ – البداية والنهاية ج١٠، ص١٨٣، تأريخ بغداد. نقلاً عن (حياة الإمام الكاظم عليه السلام) لباقر شريف القرشي، ج٢، ص٥٠٠.

٣ – نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢٤، ص٣٤٧.

خوفاً من عدل الله وحكومته.

نسأل الله أن يعيننا على أنفسنا ويعاملنا بعفوه بحق من نتشرف بالانتماء إليه صلوات الله وسلامه عليه.

# الحكمة والروية

أولاً: تعريف الحكمة وعلاقتها بالروِيَّة

ثانياً: أسلوب الإمام عليه السلام في التدليل على الحكمة

ثالثاً: دلائل الحكمة

رابعاً: الروِيَّة

خاتمة وخلاصة

## مدخل

قال سيِّد الحكماء والموحدين عليه السلام:

(وأَرَانا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ وعَجَائِبِ ما نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِه)

## أولاً: تعريف الحكمة وعلاقتها بالروية

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه وهي بذلك مزيد التفكر والرويَّة وإمعان النظر، وأما في حق الله فهو حكيم لا يحتاج إلى رويَّة، وهذا ما سيتجلى إن شاء الله تعالى خلال الدرس مستوحىً من نهج البلاغة الذي هو دائرة المعارف الإلهية الكبرى.

## ثانياً: أسلوب الإمام عليه السلام في التدليل على الحكمة

يستدل الإمام عليه السلام على الحكمة في الأمور المحسوسة من خلال آثار الإبداع والإتقان في الخلق المحسوس، ثم يستدل عليه السلام بذلك على الحكمة في الأمور غير المحسوسة وغير المدركة سواءً كان ذلك في عالم التشريع أو عالم التكوين. وقد أكّد أمير المؤمنين عليه السلام على هذا النمط من الاستدلال كثيراً فمن ذلك ما يلي:

## ثالثاً: دلائل الحكمة

١ - تحدث عن دلائل الحكمة في الخلق، فقال عليه السلام: [1]

(وأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ وعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ... فَصَارَ كُلُّ ما خَلَقَ حُجَّةً لَهُ ودَلِيْلاً عَلَيه):

---

١ - خ٩١، ص١٢٦.

يستدل الإمام عليه السلام بآثار الصنع وعجيب الإتقان في الخلق على حكمة الخالق.

(وإنْ كَانَ خَلْقاً صَامتاً فحُجَّتُهُ بالتَّدْبِيْرِ نَاطِقَة، ودلالَتُهُ على المُبْدِعِ قَائِمَة):
هذه المخلوقات المتقنة وإن كانت أرضاً جامدةً أو سماءً أو أي شيء مما يصنف أنه جماد، إلاّ أنه ناطق بلسان آخر معبِّراً دالاًّ على آثار الحكمة. هذا شيءٌ، والشيءُ الآخر أن نواحي الإبداع هذه هي فقط ما تقع عليه أعيننا أو تلمسه أيدينا أو تدركه مشاعرنا الخاصة فكيف لو عرفنا كنهها ونفذنا إلى أعماقها واستطلعنا سرَّها واستخبرنا حقيقتها لكان في ذلك من الدلائل ما هو أجلى وأعظم وأهم ولكن في حدود ما ندرك فإنه دلالة كبيرة على الملكوت والقدرة والحكمة ودلالة على المبدع. والمبدع هو من ينشيء الأمر ابتداءً على غير مثالٍ سابقٍ يحتذيه ويقفوه، وهذا مظهرٌ آخر للإعجاز.

٢ - وقال عليه السلام: [١]

(قدَّرَ ما خلقَ):

تستخدم (ما) غالباً لغير العاقل في مقابلة (من) التي تستخدم غالباً للعاقل. واستخدام الإمام عليه السلام (ما) هنا من باب التغليب بالنظر إلى أن المخلوقات المرئية وغير المرئية التي تصنَّف في قسم غير العاقل هي أكثر من التي تصنَّف في قسم العاقل. فالمعنى إذن قدَّر كل ما خلق لاشتمال (ما) على العاقل وغير العاقل.

(فأَحْكَمَ تقديرَه):

أي جعل له مقداره الخاص به ﴿وأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْزُون﴾ [٢] أي لكل شيء مقداره أو تركيبته، وهذا ما يكشف عنه العلم وإن كنا لسنا بحاجة إلى الاقتصار عليه في الاستدلال على الخالق ولكنه من آثار التعرف على الله تعالى.

---

١ - خ٩١، ص١٢٧.

٢- الحجر - ١٩.

فنرى عالم الفضاء وما فيه من الأبعاد وعلاقة الأجرام فيه. كبعد الشمس عن الأرض ودرجة حرارة الشمس وأنه لو اختلف هذا البعد وهذه الحرارة لانعدمت الحياة على الأرض، وكذلك تركيب الثمار وطبقات الأرض من نسبٍ ثابتة من المواد، إلى ما شاء الله من المخلوقات.

(ودبَّرَهُ فأَلْطَفَ تَدْبِيْرَه):

أي كان في غاية الدقة بحيث لا يتأتّى لغير الله الحكيم المطلق هذا التدبير الدقيق المتقن.

(ووَجَّهَهُ لِوُجْهَتِهِ فلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِه):

وهذه رائعة فكرية تضاف إلى كل روائع أمير المؤمنين (عليه السلام) والمعنى واضح من سير الخلق إلى الهدف وعلى الطريق الذي رسمه الله له.

٣ – وقال (عليه السلام) مستدلاً ببعض الخلق على حكمة الخالق: [١]

متحدثاً عن الخفّاش، كما يتحدَّثُ عنهُ مَنْ خَلَقَه، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ليس خالقاً ولكنه لسان الخالق، أو كما يحلو للشيخ محمد جواد مغنية أن يعبِّر بأن الله تعالى هو المؤلف وعلي (عليه السلام) هو المخرج. وهذا كاشف عن شيء من عظمة أمير المؤمنين (عليه السلام) في التدليل على إعجاز الله وإبداعه وحكمته، وإن كانت هذه الخطبة قصيرة إلاّ أنها أحاطت بما يفي بالغرض مما يتعلق بهذا الحيوان الذي يعجز الإنسان (غير أمير المؤمنين (عليه السلام)) من أن يحيط بوصفه. فقال (عليه السلام):

(الحمدُ للهِ الذي انْحَسَرَتِ الأوصافُ عن كنهِ معرفتِه...):

روعةٌ في الاستهلال وبراعة، وهو فنٌّ من فنون البلاغة.

(ومن لطائفِ صنعتِه، وعجائبِ خلقتِهِ ما أرانا...):

---

١ – خ١٥٥، ص٢١٦.

دلائلُ وشواهدُ واضحةٌ جليَّةٌ لنا.

(في هذه الخفافيش التي يقبضُها الضياءُ الباسطُ لكلِّ شيءٍ، ويبسطُها الظلامُ القابضُ لكلِّ حيٍّ): وهنا ينحو الإمام عليه السلام منحىً آخر ليقول إن خاصية الضياء أنه يبسط الأشياء، والظلام يقبض الأحياء. وأما الخفافيش هذه فإن الضياءَ يقبضها والظلام يبسطها. وبغض النظر عن النواحي الفنية والبلاغية التي يبرزها الإمام عليه السلام دونما تكلف وهذه المقابلة وغيرها – فإنه عليه السلام يأخذ في الوصف مدللاً على إبداع الله وحكمته وأن هذا لا تليق نسبته إلى المصادفة أو العشوائية. ولو أخذ الإنسان عيِّنةً من هذه الخفافيش وشرَّحها وقارنها بما يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو الصادق المصدَّق، لرأى مدى الانطباق وجمال الوصف بل قد يقع بصره على ما لايستطيع وصفَه. ولهذا قلنا إن الإمام عليه السلام هو لسان الله المعبِّر. ولا يعني هذا أنه خبر هذه المخلوقات ودرسها بل قد يكون رآها كما يراها غيره ولكنه العلم والإحاطة الإلهية.

٤ – وأفاض عليه السلام في صفة خلق من الحيوان مستدلاً بذلك على بديع الصنع وإتقان الخلق وجليل الحكمة. [١]

٥ – وبين عجز الخلق، فقال عليه السلام: [٢]

(ولو اجتمع جميعُ حَيَوانِها... ومتبلِّدةِ أممِها وأكياسِها على إحداثِ بعوضةٍ ما قَدَرَتْ على إحداثِها ولا عرفتْ كيف السبيلُ إلى إيجادِها): وهذا النوع من التحدي هو على غرار ما تحدَّى به القرآنُ الأممَ أن تأتي بمثل القرآن الكريم.

## رابعاً: الروية

قلنا إن الحكمة تتلازم مع ما تحتاجه من الرويَّةِ والتأمُّلِ ومزيدِ التفكير، لكن

---

١ – في خ١٨٥، ص٢٧٠.

٢ – خ١٨٦، ص٢٧٥.

ا لله سبحانه وتعالى مع بالغ حكمته وكما يصفه الإمام (عليه السلام) بأنه لا يحتاج إلى روية.

١ – وفي هذه الناحية قال (عليه السلام): [1]

(أنشأَ الخلقَ إنشاءً وابتدأَهُ ابتداءً بلا روِيَّةٍ أَجَالَها ولا تجربةٍ استفادَها):

نعم نحن نفكِّر في الأمور ونتأمل ثم نقرر وقد نخطيء وقد نصيب، وكلما كان الأمر عظيماً احتاج إلى روِيَّةٍ وتفكيرٍ أكثر. ولكن ا لله تعالى مع عظم خلقه وجلال حكمته فإنه لم يحتج إلى روِيَّةٍ وتفكيرٍ حين أبدع الخلق ولم يستفِدْ من تجربةٍ سابقة. وما أروعَ قوله (عليه السلام):

(ولا حركةٍ أحدثَها، ولا همامةِ نفسٍ اضطرب فيها).

٢ – وقال (عليه السلام) عن الروية: [2]

(خلقَ الخلقَ من غيرِ روِيَّة):

لماذا ؟ لأن هذه المخلوقات لا تحتاج في خلقها إلى تعقلٍ منه، وإن كانت هي عين العقل، ولا تحتاج إلى تعليلٍ من جهته وإن كانت معلَّلةً بتمام الحكمة.

(إذْ كانتِ الروِيَّاتُ لا تليقُ إلاَّ بذوي الضمائر، وليس بذي ضميرٍ في نفسِه): إن إجالةَ الفكرِ تكون عند من يختلف عليه الحال، عند من يقلب الأمر ظهراً لبطن مرةً بعد أخرى وقد يستجدُّ له شيءٌ وقد يستفيد من تجربةٍ ويصحح أخطاءه. وا لله تعالى منزَّهٌ عن كل ذلك، فلا يظهر له علمٌ كان قد جهله وهذه أيضاً عقيدتنا في البداء فليس هو علمٌ بعد جهلٍ بل هو إظهار بعد إخفاء. وهذا ينطبق على باقي الصفات كما تحدث (عليه السلام) في مواطنَ أخرى من أنه تعالى (متكلمٌ بلا روِيَّة) وغير ذلك.

---

١ – خ١، ص٤٠.

٢ – خ١٠٨، ص١٥٥.

## خاتمة وخلاصة

يجمل الإمام عليه السلام هذه الأمور بقوله: [1]

(المقدر لجميع الأمور بلا رويةٍ ولا ضمير):

وذلك في عالمِ التكوينِ والتشريع على حدٍّ سواء وقد جاءت هذه الجملة الشريفة نتيجةً منطقية حتمية لما سبقها في هذه الخطبة الجليلة.

---

١ - خ٢١٣، ص٣٣٠.

# صفات الجمال والكمال

**أولاً: حقيقة السمع والبصر**

**ثانياً: أسباب التصور الخاطيء لصفات الكمال والجلال:**

١ - قيود المادية ٢ - الجمود على ظواهر الألفاظ

٣ - دور السياسة

**ثالثاً: المقولة الحق**

**والنتيجة**

## مدخل

قال مولانا وسيدنا أمير المؤمنين وسيد الموحدين (عليه السلام):

**﴿لا تُدرِكُهُ الحواسُّ فتحسّه، ولا تلمسُهُ الأيدي فتمسّه، ولا يتغيرُ بحال، ولا يتبدّلُ في الأحوال﴾**

الحديث في هذا اليوم ختام ما يتعلق بالإلــهيات في هـذا الـدرس الشـريف، ويدور حول جملةٍ من صفات الجمال والكمال، فنأتي بما يتعلق بموضوع كلام ا لله تعالى وخلق القرآن والصفات الأخرى كالسمع والبصر وغـير ذلـك مما وقـع فيه النزاع وصار مثاراً للجدل عبر تأريخ المذاهب الإسلامية.

## أولاً: حقيقة السمع والبصر

السمع والبصرمن صفات الذات، ولعلَّ هذه الفكرة تتبلـور وتتضح حينمـا نتطلق من رأي الإمامية في حقيقة هذه الصفات. فلا يصح القـول بأنـه يسـمع إذا دعاه أحد (سمع ا لله لمن حمده) وإذا لم يدعه فإنه لا يسمع. فحقيقـة السـمع علمـه بالأشياء المسموعة، وحقيقة البصر علمه بالأشياء المبصَـرة، مـن دون توسـط آلـة ولا أداة ولا جارحة. إذن السمع والبصر مظهر وبعد من أبعاد العلـم، والعلـم مـن صفات الذات وبالتالي فإن السمع والبصر من صفات الذات.

ولكن إذا كان السمع والبصر مظاهر لصفة العلم فلماذا خُصَّا بالذكر؟

من ضمن التعليلات والتفسيرات لهـذا التخصيـص الجنبـة الترهيبيـة بالنسـبة للعبد والتركيز على أن ا لله تعالى يعلم السرَّ وأخفى ويطلع على السرائر والضمـائر وهذا مثار للإنسان كي يرعوي ويرجع عمَّـا يهم أن يأتي به من عمل غير لائق.

## ثانياً: أسباب التصور الخاطيء لصفات الكمال والجمال

فقد لوحظ هذا التصور الخاطيء عند الفرق الإسلامية بشكل انْجَرَّ معه إلى

مفارقات كثيرة كما سيمر خلال البحث إن شاء الله تعالى. ومن أسباب ذلك ما يلي:

### ١- قيود المادية

وقد أشرنا في أحاديثَ سابقة أن الإنسان لا يكاد ينفك عن ماديته، وهذه المادية تنحو به دائماً إلى أن يفهم المعقول بلباس المحسوس، فلا يكاد يدرك المعقولات إلاّ حين تمثّل له بمثالٍ ويريد للمعاني الإلهية أن تتجسد، والمعاني الإلهية معان تأبى عن التمثيل والتجسيم وشؤون المحسوس. فنحن محكومون بلغتنا وببيئتنا فيما ندرك ونخبر عنه وفيما نشبه به، ولهذا نحن مثلاً في دور الطفولة نتصور إلهنا بموجود كبير يلبس الثياب البيض في السماوات العلى متربع على عرشه، وهكذا توحي لنا أوهامنا وتصوراتنا وبيئتنا أو أي سبب من الأسباب.

### ٢- الجمود على ظواهر الألفاظ

فهم يخضعون ألفاظ القرآن الكريم إلى تصوراتهم ومن هنا وقعت المشكلة. فالقرآن الكريم قطعي السند وهذه الألفاظ -السمع والبصر واليد والوجه ونحوها- صدرت حتماً عن الله تعالى. ولكنهم اعتقدوا أن لله يداً وساقاً وعرشاً والتزموا بالمعنى الظاهر المخالف لتقديس الله وتنزيهه عما لا يليق به تبارك وتعالى. بل يرون أن الدين والورع هو الجمود عليها ولكنهم للتنزيه قالوا بأن له يداً وساقاً وغير ذلك ولكنها بالشكل الذي يليق بجلاله وسيأتي نقض ذلك من فكر أمير المؤمنين عليه السلام. وقد أشرنا فيما مضى إلى أن الألفاظ القرآنية مع إعجازها البشر إلاّ أنها لم تخرج عن إطار اللغة بكاملها، والمعاني الكبيرة الشامخة تستعصي عن أن تصاغ بشكل واضح في هذا الإطار اللغوي. فإذا جمدنا على ظواهر الألفاظ جرّنا ذلك إلى القول بما لا يليق بالله تعالى وتقدس. فمثلاً نقرأ قوله تعالى:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [1] فحينما نأخذ ﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾ بظاهرها مما درسناه في اللغة أن (قد) إذا دخلت على المضارع تفيد التقليل، عندها يكون المعنى أنه يعلم أحياناً وأحياناً لا يعلم، وهذا محالٌ على الله وهو فهمٌ فاسد باطل جرَّه الجمودُ على ظواهر الألفاظ. إذن لابدَّ للعقل من مدخل وقد قدَّمنا في الأحاديث الأولى أن أساس البحث العلمي في العقائد والفلسفة وعلم الكلام هو دليل العقل. والآيات والروايات تعاضد العقل وترشد إلى ما يرشد إليه، وأمَّا تعطيله فسيكون على حساب الدين والفكر وسيكون سبباً لنسبة ما لا يليق إلى الله تعالى. ومن ناحيةٍ أخرى أنه حتى من منطلق لغوي فإن باب المجاز والكنايات في اللغة العربية مفتوح على مصراعيه. فلا يقول أحدٌ أن قول العرب: (فلان مهزول الفصيل، فلان جبان الكلب، فلان كثير الرماد، فلان كثير الدخان) أن هذه الألفاظ تعني ظاهرها. بل المعنى الذي كانوا يقصدونه أنها كنايات عن الكرم. بل إن المعنى الظاهر لا يحوم حول أذهانهم أصلاً فإن مدلولها اللفظي المطابقي قد يسوغ (كوجود الرماد بالفعل دليل على الإطعام) وقد لا يسوغ هذا المدلول اللفظي المطابقي (كأن لا يوجد رماد) ولكن المدلول الالتزامي (وهو الكرم هنا) هو الذي يسوغ دائماً وهو المقصود.

## ٣- دور السياسة

ومن الغريب أن الجمود على الألفاظ وتنحية العقل وإقصائِه كان في ذات الوقت الذي قُبِلَتْ فيه السياسة المضللة في هذه القضايا. فقد صارت المعارف الإلهية الشامخة محلاً لأن يعبث فيها (المتوكل) و(المأمون) ومن جاء بعدهم ويسخرون العقول والأقلام والشعراء والناس إلى أفكارهم، ويكون المقياس للولاء والعداء هو تبني هذه الأفكار. فذهب كثير من قيمة المعارف الإسلامية بسبب التدخل المشين للسياسة الحاكمة وألقت تبعاتها الوخيمة على فكر المسلمين، ولعل هذه الآثار وكذلك تلك الأسباب باقية إلى الآن ﴿واتقوا فتنةً لا تصيبنَّ الذين

---

١ - النور - ٦٣.

ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديدُ العقاب﴾ [1]. ولذلك يُشكَلُ على أحمد بن حنبل أنه هنا بالذات قد تخلّى عن مبناه. فقد كان مبناه عدم الخوض في المسائل التي لم يأتِ فيها نصٌّ في الشرع وأن الحديث عنها بدعة في حين أنه عالج موضوع خلق القرآن بهذا النوع من المعالجة و لم يلتزم بمبناه. وإن كان ينسب له أنه في نهاية أمره عدل عن خوضه في موضوع خلق القرآن لعدم ورود نص فيه، وإلاّ فإنه كان يكفّر من لا يقول بمقالته.

## ثالثاً: المقولة الحق

١- قال عليه السلام مبيناً الاعتقاد الحق في الله تعالى: [2]

(والخالقِ لا بمعنى حركةٍ ونَصَب):

وقد أشرنا إلى ذلك في الأحاديث السابقة فلا حركة ولا جهد ولا عناء في خلقه للسماوات والأرض وما فيها ومن عليها.

(والسميعِ لا بأداة): إثبات السمع من جانب، ونفي الأداة سواءٌ كانت أذناً أو غيرها لأن الأداة من صفات المخلوق لا الخالق.

(والبصيرِ لا بتفريقِ آلة): فسَّر البعضُ هذه الجملة أن الإنسان عندما يريد الإبصار يفرق جفنيه ليبصر، ولكن الله تعالى مستغنٍ عن أداة الإبصار، مع ثبوت البصر له كمظهر من مظاهر العلم أي أنه عليم بالأشياء المبصرَة كما مرّ.

(والشاهدِ لا بمماسة): فالله حاضر مع الأشياء كلّها في كلّ زمان ومكان ولكن ليس ملامساً ومماساً لها. ومن هنا قال بعض العلماء أنه لا تعقل الجسمية في حقِّ الله تعالى لأن الله يقول: ﴿وهو معكم أينما تكونوا والله بما تعملون بصير﴾

---

١ - الأنفال - ٢٥.

٢ - خ١٥٢، ص٢١٢.

[1] والجسم لا يشغل أكثر من مكان واحد في نفس الوقت.

٢- وقد سأله ذعلبُ اليماني: هل رأيت ربَّك يا أمير المؤمنين؟ فقال (عليه السلام): أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال: وكيف تراه ؟ فقال (عليه السلام):

(لا تدرِكُهُ العيونُ بمشاهدةِ العِيانِ، ولكن تدرِكُـهُ القلـوبُ بحقـائقِ الإيمـان. قريبٌ من الأشياء غيرَ ملابس، بعيدٌ منها غيرَ مبـاين، متكلـمٌ لا برويِّـةٍ، مريـدٌ لا بهمة، صانعٌ لا بجارحة).[2]

فهو منزه عن كلِّ هذه الأمور، بل حتـى إدراك القلـوب لـه ليـس رؤيـةً أو إحاطةً بل هو نوعٌ من الوجدان بل إنه يعني التصديق والإذعان.

٣- وقال (عليه السلام): [3]

(والحمدُ للهِ قبل أن يكون كرسيٌّ أو عرشٌ أو سماءٌ أو أرض...):

بغـض النظـر عـن أن يكـون معـاني الكرسـي والعـرش هـي معـاني العلـم والإحاطة أو غير ذلك .

(الذي كلَّمَ موسى تكليماً وأراه مـن آياتِـهِ عظيماً، بلا جوارحَ ولا أدواتٍ، ولا نطقٍ ولا لهوات): يمهد الإمام (عليه السلام) للموضوع بذكـر الكـلام وإثباتـه في حـقِّ الله تعالى ويضرب لذلك مثالاً وهو تكليم الله تعالى لموسى تكليمـاً، ثـم ينفـي أن يكـون لله تعـالى في هـذا الكـلام أي أداة يـحتاجها المخلـوق للكـلام كاللسـان والشفتين واللهوات (وهي جمع لهاة) فهو ينفي الجارحة أصلاً لا أنه يثبتها ثم يقول أن هذه الجارحة بشكل يليق با لله تعالى. لأن هذه الجوارح لو وجدت أصلاً لكان الله مركَّباً منها فيحتاج إلى مركِّب فيكون مخلوقاً ممكنَ الوجود، لا خالقاً واجبَ الوجود. ولا عجبَ أن تصدر هذه الرائعة من علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي علَّم

١ - الحديد - ٤.
٢ - خ١٧٩، ص٢٥٨.
٣ - خ١٨٢، ص٢٦٢.

الناس التوحيد، وإلا فهم لا يفقهون شيئاً ولا يهتدون إلاّ به عليه السلام. ولينظر الإنسان الحر وليقارن بين ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام وبين ما قدَّمه غيره، إن كانوا قدَّموا شيئاً.

ثم يقول عليه السلام كعادته في روائعه فيقرن تنزيه الله تعالى عن المخلوقين بالتدليل على عجزهم عن وصفه بعجزهم عن وصف مخلوقاته، فيقول عليه السلام:

(بل إنْ كنتَ صادقاً أيها المتكلِّفُ لوصفِ ربِّك فَصِفْ جبريلَ وميكائيلَ وجنودَ الملائكةِ المقرَّبينَ، في حُجُرَاتِ القدسِ مُرْجَحِنِّينَ [1]، متولِّهةً عقولُهم أن يحدُّوا أحسنَ الخالقينَ. فإنما يُدرَكُ بالصفاتِ ذوو الهيئاتِ والأدواتِ...): وتماماً كما قدمنا أن من يجيل الرأي ويتروَّى فيما يمارس، ومن تعرض عليه الحالات يفكر ويتأمَّل، ويخطيء ويصيب، وكذلك لا يوصَف إلاّ من له هيئة وله أدوات يمارس بها، وكل هذه الأمور منزه عنها الله ولهذا لا يمكن حدُّه أو وصفه، وهذه الكلمات من معلم التوحيد هي تفصيل لما أفاده الله تعالى في كتابه ﴿لا تدركُه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير﴾ [2].

٤- وتحدث عن تنزيه الله تعالى، فقال عليه السلام: [3]

(ولا تدركُهُ الحواسُّ فتحسَّهُ، ولا تلمسُهُ الأيدي فتمسَّهُ، ولا يتغيرُ بحالٍ، ولا يتبدَّلُ في الأحوال): يتحدث الإمام عليه السلام عن الجسمية ثم -كعادته- ينحو منحى القرآن في تشعب مواضيعه فيتحدث عن السمع والبصر والكلام والحب والبغض والإرادة وغير ذلك فيقول عليه السلام:

(يخبر لا بلسانٍ ولهواتٍ، ويسمعُ لا بخروقٍ وأدواتٍ، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفَّظُ ويريد ولا يُضْمِر. يحبُّ ويرضى من غيرِ رِقَّة، ويبغَضُ

---

١- المُرْجَحِنُّ -كالمُقْشَعِرّ- المائلُ بثقله والمتحرك يميناً وشمالاً.

٢ - الأنعام - ١٠٣.

٣ - خ١٨٦، ص٢٧٤.

ويغضَبُ من غيرِ مَشَقّة): إذن فالإطلاق اللفظي لهذه الأوصاف يشمل الخالق والمخلوق فالجميع يسمع ويبصر ويتكلم ويريد ويحب ويبغض ويرضى ويغضب، ولكن الفرق بين هذه الصفات في حق الخالق عنها في حق المخلوق هو الفرق بين واجب الوجود وممكن الوجود، فيتنزّهُ تعالى عن اللسان واللهوات وأداة السمع ويتنزّه عن التلفظ والتحفظ والإضمار في النفس والرقة والمشقة. وكل هذه عوارض على المخلوق. ولهذا تفسر محبة الله للخلق ورضاه بمعنى الثواب، وبغضه وسخطه بمعنى العقاب ولهذا أجمل الإمام في الأخير بقوله عليه السلام:

(يقولُ لمن أرادَ كونَه: ﴿كنْ فيكون﴾ لا بصوتٍ يُقرَعُ ولا بنداءٍ يُسمعُ وإنما كلامه عليه السلام فعلٌ منه أنشأه ومثّله، لم يكن من قبلِ ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً): تلاحِظْنَ أن الإمام عليه السلام يوسع دائرة معنى الكلام ليكون الكلام بمعنى الفعل والوجود. وكمثالٍ على ذلك ﴿إن الله يبشركِ بكلمةٍ منه اسمُهُ المسيحُ عيسى بنُ مريم﴾ [1] فمعنى عيسى كلمة الله أي أن وجوده دالٌّ على الله تعالى فكلام الله هنا هو إيجاده لعيسى عليه السلام. ويتحدث الإمام عليه السلام عن الكلام ليكون بمعنى العلم لا بمعنى هذه الحروف والألفاظ. ومن هنا دخلت هذه المشكلة على الفكر الإسلامي وجرّت ويلاتِها على الأمة الإسلامية حينما تصوروا أن الله يتكلم مثلما نتكلم نحن فإذا كان الله قديماً وجب أن يكون كلامه قديماً لأنه صفة من صفاته وانحدر هذا الفكر إلى منحدرات سحيقة سخيفة كما سنعرض في النتيجة.

## والنتيجة

النتيجة أن المادية والجمود ودور السياسة لعبت بالمعارف الإسلامية وأوصلتها إلى منحدرات سحيقة جداً، ففي مجال خلق القرآن وصل الأمر إلى أن قالوا بأن الحروف والقلم الذي استخدمه الخطاط يكون قديماً بل كذلك جلد

---

١ - آل عمران - ٤٥.

الماعز الذي يكتب عليه يكون قديماً كقِدَمِ الله [1] ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾ [2]. بل إنهم يكفّرون من لا يقول بمقولتهم وينعون على من يناقش فإنه من باب السؤال المحرم. وكم من فرقٍ بين هذا الفكر وما يقوله نجلُ أمير المؤمنين الباقرُ عليه السلام: ﴿إنه سميعٌ بصيرٌ، يسمع بما يُبصر ويُبصر بما يسمع﴾ [3] لأن السمع والبصر ما هما إلاّ مظاهر للعلم والإحاطة وكلها شيء واحد.

وفي مجال التجسيم وصل الإنحدار إلى أن قالوا بأن الله له يد وساق ووجه ولحية بل وغير ذلك. بل يصل الأمر في التجسيم إلى الفكاهة والتندر فقوله تعالى ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [4] وهم يقولون أن له غير الوجه يداً وساقاً وجوارحَ إذن كلُّ شيء من هذا يهلك ويبقى الوجه فقط. في حين أنه من لطف التعبير في الآية أنْ جاءت كلمة ﴿ذو﴾ مرفوعة على أنها صفة لكلمة ﴿وجه﴾ في حين أن المناسب أن يقول (ذي) مجرورة على أنها صفة لكلمة ﴿ربِّك﴾ لوكان المعنى أن الوجه هو مانعرفه كجزء من جسم ﴿ربك﴾ ويبقى هذا الجزء دون بقية الأجزاء، ولكن حيث جاء المعنى أن الوجه هو الموصوف بأنه ذو الجلال دلَّ هذا أن الوجه هو ذات الله تعالى فكل شيءٍ هالكٌ إلاّ الله تعالى. وما أعجب ما يذكره السيوطي [5] في تفسيره لقوله تعالى ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد﴾ [6] من أن جهنم تنادي بملء فيها ﴿هل من مزيد﴾ فلا يشبعها شيء حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط، قط بعزتك وكرمك وجلالِك. وهذه مهزلة في الفكر. ولهذا كانت كلمة للشيخ الفضلي في كتابه (خلاصة علم الكلام) أنه جدير بالباحثين السنّة أن ينزهوا

---

١- معالم الفلسفة الإسلامية /١١٠.

٢ - الإسراء - ٤٣.

٣ - الكافي ١٠٨/١. وقد ذكره السيد عبدالله شبر في (حق اليقين) ٣٦/١.

٤ - الرحمن - ٢٧.

٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٠٧/٦.

٦ - سورة ق - ٣٠.

المجاميع الحديثية الكبيرة كالبخاري ومسلم وغيرهما عن هذا النوع من الفكر ويلتقوا مع فكرة أهل البيت عليهم السلام وما قرّره أمير المؤمنين عليه السلام بأن الله تعالى (لا تدركه العيونُ بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوبُ بحقائق الإيمان). وقد صدق من قال بأن أمير المؤمنين عليه السلام هو معلّم التوحيد، ومن تجنب هذا الهدى فقد تنكب الصراط والجادة، ومن تنكب الجادة لم يأمن العثار.

# النبوة

## آدم عليه السلام

مدخل

تعريف النبوة

أصل الإنسان

رأي الإسلام

﴿إِنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُراب﴾

قال سيد العارفين عليه السلام

## مدخل

قال سيد العارفين ومولى الموحدين (صلوات الله وسلامه عليه):

**(فَبَعَثَ فيهم رُسُلَه، ووَاتَرَ إليهم أنبياءَه لِيستأدُوهم ميثاقَ فِطرتِه، ويُذَكِّروهُمْ مَنْسِيَّ نِعمتِه، ويَحتجُّوا عليهم بالتبليغِ ويُثِيروا لهُمْ دَفَائِنَ العقول، ويُروهم آياتِ المقدرة)**

بعد أن أنهينا القسم المتعلق بالتوحيد والإلهيات في هذا الدرس الشريف، نعطف على ذلك بالحديث حول النبوة مستوحىً من واقع الدرس وهو كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه الخالد. ومنطلق الحديث من أمير المؤمنين عليه السلام له خصوصية إذ أنه عليه السلام محيط بتأريخ الأنبياء عليهم السلام لا سيما تأريخ النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله. وكلامه عليه السلام تفصيل لما أجمل في القرآن الكريم حول النبوة.

## تعريف النبوة

النبوة لغةً [1] مأخوذة من النبأ أي الخبر. وقيل معنى ذلك في الأساس من النَّبْوَة أو النَّباوة وهي الأرض المرتفعة. وتسمية النبي من هذه الجهة نظراً لكونه أرفع وأشرف من سائر الخلق.

واصطلاحاً: النبي هو المخبر عن الله تعالى بغير واسطة بشر. وهنا تفصيلات كثيرة جداً نشير إلى بعضها إشارات عابرة. فالنبي يرى في منامه المَلَك ويسمع صوته ولكنه لا يراه في اليقظة. وذلك أن النبي قد يكون نبياً لنفسه فقط. بينما الرسول يرى المَلَك حتى في اليقظة. ويتفاوت الرسل في حجم الرسالة، فبعضهم كان رسولاً في ظل رسالة رسولٍ آخر، وبعضهم كان رسولاً مستقلاً. كما أن بعضهم كان له كتاب سماوي وبعضهم لم يكن له، بالإضافة إلى امتياز أولي العزم من الرسل.

---

١ - كما في (مجمع البحرين) ١/٤٠٤.

## أصل الإنسان

أحببت أن تكون بداية الحديث عن أبي الأنبياء وأول الخلق آدم عليه السلام. وهذا الحديث يقودنا إلى أحاديث كثيرة نشير إليها إشارة فقط. ومن ضمنها الحديث عن أصل الإنسان.

تتحدث بعض النظريات أن الإنسان منحدر من أصل بعض الحيوانات الأخرى، ويتحدث بعضها أن الإنسان جاء من امتزاج الطبيعة من السماء والأرض. بل إن بعضهم يرى أن الإنسان منحدر من مجموعة القاذورات والنفايات في العالم الأول.[١]

## رأي الإسلام

تلاحظ في الرأي الإسلامي حول هذا الموضوع ملاحظتان:

أ- أن آدم عليه السلام هذا الذي نتحدث عنه ليس هو أول إنسان بل إن الروايات تتحدث عن أن قبله آلاف الأوادم، وأن عالمنا هذا قبله آلاف العوالم. ولعلّ هذا الرأي ينسجم مع الإحصائيات حول عمر الكون وأنه بملايين السنين وأن الإنسان وجد قبل فترة قصيرة مقارنة بعمر الكون فينسجم هذا أن يكون قبل آدم الآلاف ممن عمروا الكون وعاشوا في هذا العالم، ويلتقي هذا الرأي مع ما يمكن استفادته مما جاء في القرآن الكريم من حديث الملائكة حول استخلاف الله تعالى آدم (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[٢] بناء على أن حكمهم قائم على معرفتهم بأحوال البشر ممن سبقوا

---

١ - من المفيد مراجعة ما ذكره الشيخ محمد جواد مغنية حول هذا الموضوع في كتابه (في ظلال نهج البلاغة) ١/٤٢.

٢- سورة البقرة - ٣٠.

آدم المراد استخلافه.

ب- يتحدث القرآن الكريم بوضوح عن أول الخلق في عالمنا هذا وأنه مخلوق من تراب، والروايات تفصل وتشرح الآيات المباركة حول هذا الموضوع. فيذكر أن هذا التراب أُجرِيَ عليه الماء ومُزِجَتِ الطينة وعجنت ثم بعد ذلك جففت وبقيت فترة ذكرت بعض الروايات أنها أربعون عاماً، وبعضها أكثر من ذلك. ثم بعد ذلك نفخ الله فيها الروح فكانت الحياة. وتتحدث الروايات عن تَكَوُّنِ الجوارح والأطراف والعقل والمشاعر والإحساسات وشؤون النفس.

ويلاحظ في هذا المجال التطابق والانسجام بين ما يذكره القرآن الكريم وبين ما يذكره تلميذ القرآن وتلميذ السماء أمير المؤمنين عليه السلام. يضاف إلى ذلك أن الإمام عليه السلام كان يرتجل هذه الخطب ارتجالاً عقيب سؤال أو غير ذلك فيأتي بما يحير الألباب ويحيط بالموضوع إحاطة العارف وينحو في مختلف هذه المجالات الشائكة الغامضة في واقع الأمر. وهذا بعض من دلائل إعجازه عليه السلام.

### ﴿إنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُراب ثم قال له كن فيكون﴾[1]:

الضمير في ﴿خلقه﴾ يعود على آدم عليه السلام فهو المخلوق من التراب، وأما عيسى عليه السلام فإن حمله في بطن أمه العذراء كان بغير واسطة أب بل ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾[2]. وهذا التمثيل في الآية المباركة بين آدم وعيسى عليهما السلام أنما جاء للرد على من يقول بأن عيسى عليه السلام ابن الله حيث أنه لا أب له وخلقه معجز، فيجيبهم القرآن بأن آدم عليه السلام خلق من التراب من غير أبٍ ولا أم وخلقه أكثر إعجازاً فلماذا لا يكون هو ابن الله تعالى الله وتقدس.

---

١ - آل عمران - ٥٩.

٢ - الأنبياء - ٩١.

## كيفية الخلق

١ - تحدث عن خلق أول الخلق، فقال عليه السلام: [١]

(ثم جمع سبحانه من حَزْنِ الأرضِ وسَهْلِها، وعَذْبِها وسَبَخِها، تربةً سَنَّها بالماءِ حتى خَلُصَتْ، ولاطَها بالبلةِ حتى لزِبَتْ):

الحزن مقابل السهل ومعناه الشديد من الأرض، وكذلك العذب الحلو مقابل السبخ وهو المالح. وسنها بالماء أي أجراه عليها، حتى خلصت (أي كانت خالصة) ولاطها (أي خالطها) بالبلة حتى لزبت (أي حتى يبست).

فائدة: قال الإمام عليه السلام: (ثم جمع). فنسب الجمع إلى الله تعالى وهذا ما يسمى بنحو التوسع في النسبة. فالروايات تذكر أن الذي جمع التراب إنما هو عزرائيل عليه السلام. ولكن أسند ذلك إلى الله تعالى لأن هذا الجمع كان بأمره وكل الأمور إنما هو المسبب لها بأسبابها. وهذا متعارف عليه في اللغة فيقال فتح الملك الفلاني المدينة الفلانية في حين أن الذي فتح المدينة هو جيشه المؤتمر بأمره.

(فجَبَلَ منها صورةً ذات أحناءٍ ووُصُول، وأعضاءٍ وفُصُول): جبل أي خلق والأحناء هي الضلوع وبعضهم قال بأنها الأطراف. والوصول والفصول إشارة إلى ما في الجسم من عظامٍ متصلة وأخرى منفصلة.

(أجْمَدَها حتى استمسَكَتْ، وأصْلَدَها حتى صَلْصَلَتْ): الكلام هنا يعود على الطينة. وأصلدها جعلها قوية صلدة حتى صلصلت (ولعلَّ هذا إشارة إلى الصلصال الذي تتحدث عنه الآيات الكريمة) ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال﴾ [٢] فيسمع لها صوت حين تضرب نظراً لأنها يابسة.

(لوَقتٍ معدود، وأمَدٍ معلوم): وتذكر بعض الروايات أن هذه الطينة بقيت

---

١ - خ١، ص٤٢.

٢ - الحجر - ٢٦.

مدة قبل أن تلجها الروح وتحدد بعض الروايات هذه المدة بأربعين عاماً أو أكثر، وبالطبع قد تكون هذه السنين بحساب كوكبنا أو بحسابٍ آخر.

(ثم نَفَخَ فيها من رُوحه): فالطينة لا حياة فيها إلاّ بولوج الروح التي بها الحياة والهيمنة على المخلوق.

(فمثُلت إنساناً ذا أذهانٍ يجيلُها، وفكَرٍ يتصرفُ بها، وجوارحَ يختدِمُها وأدواتٍ يقلِّبُها): فهو صاحب عقلٍ يميز وكذلك يجعل الجوارح خادمةً له فيما يودُّ أن يصنع طبقاً لتمييزه وإدراكه.

(ومعرفةٍ يفرِّقُ بها بين الحقِّ والباطل، والأذواقِ والمَشَام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينةِ الألوانِ المختلفة): هذه إشارات إلى ما في الإنسان من إدراكات وحواس كالذوق والشم والنظر واللمس وكيف أن هذا كله مودع في مخلوقٍ أصله من التراب وهذا إظهار للإعجاز الإلهي في خلق الإنسان.

(والأشباهِ المؤتَلِفة، والأضدادِ المتعادية...): وهذا ما يذكره العلماء من نسب المواد من أملاح ومعادن في جسم الإنسان كالحديد والكبريت وغيرها.

ثم يذكر الإمام (عليه السلام) موضوعاً يتعلق بأحداث أول الخلق وقضية إبليس اللعين.

٢ - وقال (عليه السلام): [1]

(فلما مهَد أرضَه، وأنفذَ أمرَه، اختارَ آدمَ (عليه السلام) خيرةً من خلقِه): الإمام (عليه السلام) يبين أن الاختيار هو اختيار الله فلا بد أن يكون عين الحكمة، وكون آدم (عليه السلام) هو المختار الأول خصوصيةٌ له وليست أفضليةً له على سائر الخلق. فالأفضلية لسيد الموجودات وفخر الكائنات الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله).

(وجعله أولَ جبِلَّتِه): وهذه هي النظرة الدينية للخلق وأنه ابتدأ بالتولُّد وهو

---

١ - خ٩١، ص١٣٣.

نشوء الخلق الأول، ثم تسلسل بالتوليد وهم الخلق الذين انحدروا من الخلق الأول. ويلاحظ ذلك في بعض المخلوقات ولآدم عليه السلام الكرامة والشأن. فيلاحظ أن بعض المخلوقات تنشأ من التراب دون أن تتولد من حيوانات أخرى سابقة ثم تبدأ عملية التكاثر والتناسل. ولا أوضح من تعفن الأطعمة كالسكر وغيره فتتولد منها ديدان وبكتيريا لم تأت من مخلوقات سابقة لها. ثم بعد ذلك تبدأ عملية التكاثر. وكل هذا بعين الله وقدرته.

٣ - وتحدث عن الانحراف الأول، فقال عليه السلام: [١]

(إلاّ إبليس اعترضَتْهُ الحميةُ فافتخَرَ على آدم بخلقِه، وتَعَصَّبَ عليه لأصلِه. فعدوُّ اللهِ إمامُ المتعصبين، وسَلَفُ المستكبرين): يؤكد عليه السلام هذه الحقيقة من افتخار إبليس اللعين على آدم عليه السلام بالنظر إلى خلق كل منهما ﴿أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقتَهُ من طين﴾ [٢]. فكان إبليس مؤسس العصبية والتكبر، مثلما أنه أول من قاس حيث اعتقد أن فضل النار على التراب يوجب فضله على آدم عليه السلام وأنه لا يصح أن يسجد له. ثم يذكر عليه السلام أن هذا كان عين الحكمة وأنه كان بإمكان الله تعالى أن يفوِّتَ على إبليس اللعين الفرصة ويقطع عليه الحجة بأن يخلق آدم عليه السلام من مادة أخرى محيرة للعقول كالنور مثلاً الذي هو بلا شك أرقى من النار فتخضع النفوس له. هذا وقد خلق الله تعالى الملائكة من نور ومع هذا فلم يستكبروا عن عبادته وسجدوا لآدم عليه السلام رغم أنه مخلوق من تراب. ولكن كما يبين الإمام عليه السلام جعل الله ذلك بلاءً يتميز فيه من يطيع، ويبعد عن خُلُقِهِ الخيلاءَ والتكبر. وهذه الناحية تصلح أن تكون تعليلاً لاختيار التراب عنصراً لأول الخلق. وللأمير عليه الصلاة والسلام كلمات بهذا المعنى حول موضوع الحج وأن الله جعل بيته ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ [٣] وكان بإمكانه أن يجعل بيته في جنة

---

١ - خ١٩٢، ص٢٨٦.

٢ - الأعراف - ١٢.

٣- إبراهيم - ٣٧.

رائعة تسحر الخلائق ولكنه أمرُ الابتلاء والتمحيص.[1]

---

١- نهج البلاغة خ١٩٢/٢٩٢.

# الأنبياء عليهم السلام

**أولاً: آدم عليه السلام:**

أ- مظهر للقدرة والابتلاء ب- والمصدر لتناسل البشر

**ثانياً: المخالفة**

**ثالثاً: الأنبياء عليهم السلام**

**أ- ﴿وإنْ من أمةٍ إلاَّ خلا فيها نذير﴾**

**ب- طهارة الأصلاب والأرحام**

**ج - النبي والمهمة**

## مدخل

قال سيدُ العارفين عليه السلام:

(اختارَ آدمَ عليه السلام خِيرةً من خلقِه، وجعلهُ أولَ جبلّتِه، وأسكنهُ جنتَه، وأرغدَ فيها أُكُلَه، وأوعزَ إليه فيما نهاهُ عنه، وأعلمه أنّ في الإقدامِ عليه التعرضَ لمعصيتِه).

أحببتُ أن يكون هذا الحديث متمماً للحديث عن آدم عليه السلام وبدايةً لحديثنا عن الأنبياء عليهم السلام فيما نستقبل من دروس إن شاء الله تعالى.

## أولاً: آدم عليه السلام

### أ - مظهر للقدرة والابتلاء

فقد مرَّ علينا حديث القدرة في خلق آدم عليه السلام بذلك التفصيل الذي هو نهاية الإبداع والإعجاز فيما يتصوره الفكر، وهو على الله تعالى سهل يسير.

وأما مظهر الابتلاء فيتمثل في اختبار الله تعالى للملائكة عليهم السلام ولإبليس اللعين في موضوع السجود لآدم عليه السلام. ومن التعليلات المستلطَفة لهذا السجود ما يذكره شيخ الفلاسفة الأصفهاني أستاذ السيد الخوئي رضوان الله تعالى عليهما في قوله:

تُقُبِّلَتْ توبةُ آدمَ الصفي بيمنِه، أكرمْ به من خلفِ
وسجدةُ الأملاكِ لا لغرَّتِه بل نورُ ياسينَ بدا في طلعتِه

وكما مرَّ [1] فإن خلق آدم من تراب هو في حدِّ ذاته ابتلاء وكان بإمكان

---

١ - الدرس السابق في كلماته عليه السلام ص٢٨٦-٢٨٧ من نهج البلاغة.

الله جلَّ وعلا أن يخلقه من مادة سامية تخضع لها الخلائق ولكن اقتضت مشيئته أن يبلوهم. كما يتجلّى الاختبار لذات آدم (عليه السلام) وذلك أنه نهي عن شيءٍ ولكنه أتى به ثم بكى على ما صدر منه وتوسل إلى الله تعالى بكلمات خاصة فتاب عليه. وسنتبين حقيقة الأمر في هذا الدرس إن شاء الله تعالى. ثم أهبطه الله تعالى إلى أرضه.

## ب – والمصدر لتناسل البشر

لما هبط آدم (عليه السلام) الأرض مارس فيها الشؤون الطبيعية فكان مصدراً لتناسل البشر.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): [1]

(ثم بسطَ الله لـه في توبتِـه، ولقّـاه كلمـةَ رحمتِـه، ووعـده المـردَّ إلى جنتـه، وأهبطهُ إلى دارِ البلية، وتناسلِ الذرية).

وقال (عليه السلام): [2]

(وأوعزَ إليه فيما نهاه عنه وأعلمهُ أن في الإقدام عليه التعرضَ لمعصيته):

أي الإقدام على نهيٍ نهاه الله عنه.

(والمخاطرةَ بمنزلتِه): وهي أنه كان مبوَّءً في جنة النعيم.

(فأقدمَ على ما نهاه عنه – موافاةً لسابقِ علمه): فالله سبحانه وتعالى كان يعلم أن آدم (عليه السلام) سيصدر منه ما صدر. ولكنَ هذا العلم ليس جبراً لآدم (عليه السلام) أن يأتي بما أتى به. فعلم الله تعالى بسائر الأمور ليس علةً وسبباً لحدوثها بل هي تجري بمجرياتها الطبيعية وفقاً لاختيار الإنسان فيما يمارس.

---

١ – خ١، ص٤٣.

٢ – خ٩١، ص١٣٣.

(فأهبطه بعد التوبة ليعمرَ أرضَه بنسلِه، وليقيمَ الحجةَ على عبادِه).

## ثانياً: المخالفة

من جملة النقاط التي تستوقفنا حقيقةُ المخالفة التي صدرت من آدم عليه السلام. والحديث هنا يقودنا إلى أحاديث متشعبة ليست من غرض هذا الدرس وتحتاج إلى وقت طويل للإلمام بها كموضوع عصمة الأنبياء عليهم السلام وتنزيههم وما يدور في هذا الفلك. ولكننا سنشير إن شاء الله تعالى إشارةً مجملة ونترك الأمر للطالبات العزيزات أن يتوسعن في هذا المجال في فلك النهج الأشرف وفي خارجه.

ومما يلاحظ هنا ما يلي:

١- أنه لا يمكن أن تكون المخالفة التي صدرت من آدم عليه السلام بذلك المستوى من الشناعة والفظاعة، والعياذ بالله تعالى. لأنه لو كان الأمر كذلك لذهبت منزلته السامية، كيف والمهمة التي أوكلت إليه مهمة كبيرة تتعلق بهداية البشر وإعمار الأرض وتحقيق خلافة الله تعالى عليها، وهو حجة الله على عباده فكيف يرتكب الذنب الكبير ويقبل منه العباد أن يكون واسطة بينهم وبين الله تعالى.

٢- يقررون في الاعتقاد أن هذه المخالفة كانت مخالفةً للأولى ولا تعني المعصية المحضة. كما أنهم يذكرون أنها كانت قبل التكليف إذ التكليف بعد أن أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وأما في الجنة فليس هناك تكليف.

٣- من هنا يجب فهم الألفاظ القرآنية أو التي يذكرها المعصوم حول هذا الموضوع فهماً صحيحاً بلحاظ بعدنا عن اللغة ومداليلها ومع مراعاة تنزيه الأنبياء عليهم السلام. فمثلاً يذكرون أن (غوى) بمعنى أنه كان تائهاً في الأرض أو اتخذ منهجاً ظنَّ أنه يوصله إلى الله تعالى ولكن ذلك لم يكن، وكذلك (نسي) يعني هذا النسيان الذي يكون الإنسان عرضةً له بطبعه أو أن النسيان بمعنى الترك.

٤- مما يذكر أيضاً هنا أن آدم عليه السلام لم يعهد أن شخصاً يحلف بالله كاذباً.

وقد أقسم له إبليسُ اللعين فصدقه وذلك قوله تعالى: ﴿وقاسَمَهُما أنـي لكما مـن الناصحين﴾[1].

٥- وهي النقطة الأهم هنا، وهي ما اتفقت عليه الأدلة النقلية من وجوب عصمة الأنبياء عليهم وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام. وكيف يجوز أن قرآناً يتلى آناء الليل وأطراف النهار يسجل ويصرح بارتكاب الأنبياء عليهم السلام للذنوب الكبيرة؟ وكيف يتم الهدف من إرسالهم ويخضع لهم الناس وقد أرسلهم الله تعالى لهداية الناس وفضلهم وتفضل عليهم وهم المقربون المصطفَون. لا شكَّ أن ذلك خلاف للحكمة واللطف الإلهيين.

## ثالثاً: الأنبياء عليهم السلام

نأخذ هذا البحث بداية للحديث حول الأنبياء عليهم السلام فنتحدث في عدة نقاط:

### أ - ﴿وإنْ من أمةٍ إلاّ خلا فيها نذير﴾[2]

لله تبارك وتعالى الحجة البالغة على خلقه. فهيَّأ لهم عقولاً يميزون بها وتعتبر بمثابة أنبياء باطنة تقودهم إلى الفطرة وتهديهم إلى الله تعالى. ومع ذلك فإن الذنوب والجهل والغفلة والاشتغال بالدنيا تؤدي إلى أن تموت هذه القلوب وهذه العقول وتضمر وتنتهي فلهذا هيَّأ لهم أنبياء أرسلهم إتماماً للحجة.

وحول ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام:[3]

(فبَعَثَ فيهم رسلَه، وواتَرَ إليهم أنبياءَه): إثباتٌ للحقيقة القرآنية التي

---

١- الأعراف - ٢١.

٢ - فاطر - ٢٤.

٣ - خ١، ص٤٣.

أشارت إليها الآية المتقدمة. وقد جاء في الحديث الشريف أن أول مخلوق على وجه الأرض هو الحجة وآخر من يموت هو الحجة[1]. وعن أبي عبدا لله عليه السلام قال: (الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق)[2]. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (وا للهِ ما تركَ ا للهُ أرضاً منذُ قبضَ ا للهُ آدمَ إلاّ وفيها إمامٌ يُهْتَدَى به إلى ا للهِ وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرضُ بغيرِ إمامٍ حجة للهِ على عباده)[3]. والإمام هنا بالمعنى العام، نبياً كان أو رسولاً أو إماماً وصياً لنبي كأئمتنا عليهم وعلى جدهم وأمهم وعلى أنبياء ا لله الصلاة والسلام. وقد ذكر الأمير عليه السلام من الأنبياء آدم وعيسى وموسى وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل وداوود وسليمان عليهم السلام، في مناسبات مختلفة سواءً تعلقت بالموعظة أو الرسالة أو أي ناحية أخرى نلم بها فيما نستقبل في الدروس القادمة بعون ا للهِ وتوفيقه.

## ب- طهارة الأصلاب والأرحام

قال أمير المؤمنين عليه السلام: [4]

(فاستودعهم في أفضلِ مُستَودَع، وأقرَّهم في خيرِ مستقَر، تناسختهم كرائمُ الأصلاب إلى مطهَّراتِ الأرحام كلما مضى منهم سلفٌ قام منهم بدينِ ا للهِ خَلَف):

نعتقد أن أمهات الأنبياء عليهم السلام منزهات عن السفاح والتناسل غير المشروع والعياذ با لله كما نعتقد أن آباء الأنبياء عليهم السلام وأجدادهم منزهون عن الشرك.

---

١ - يقول السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في كتابه (مواهب الرحمن) ١/١٧٦: بأنها رواية مستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام أن أول مخلوق على وجه الأرض هو الحجة وآخر من يموت هو الحجة.

٢ - الكافي ١/١٧٧.

٣- الكافي ١/١٧٨. وقد ذكره الميرزا حبيب ا لله الخوئي في (منهاج البراعة) ٢/١٥٩.

٤ - خ٩٤، ص١٣٩.

ومن حِكَمِ ذلك أن الأنبياء عليهم السلام يليق بهم هذا التكريم وهذا التطهير والكمال وحتى يكونوا محل القبول والإجلال في المجتمعات التي يدعونها وهذا هو الدليل العقلي. ومن الأدلة النقلية قوله تعالى ﴿الذي يراك حين تقوم ۞ وتقلُّبكَ في الساجدين﴾[1]. يعني آباءك وأجدادك إلى آدم عليه السلام كانوا كلهم عباداً لله موحدين ساجدين. وقد جاء في زيارات الرسول الأكرم وأهل بيته عليهم السلام: (ولم تزالوا بعينِ اللهِ ينسخُكم في أصلابِ كلِّ مطهَّر، وينقلُكم في أرحامِ المطهرات، لم تدنِّسْكمُ الجاهليةُ الجهلاء). ولهذا يُدفع ما قد يُتوهم من ظواهر الآيات خلاف هذا المعتقد حول الأنبياء عليهم السلام. وكمثالٍ على ذلك ما يقرأ من أن آزرَ المشرك كان والداً حقيقياً لإبراهيم عليه السلام خليل الله تعالى[2]. وهذا لا يمكن أن يكون بل كان آزرُ عماً لإبراهيم عليه السلام. ويلحق بهذا كل ما قد يتوهم منه خلاف هذا الاعتقاد في طهارة نسب الأنبياء عليهم السلام لقيام الدليل العقلي والنقلي الصريح بذلك.

## ج – النبيُّ والمهمة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:[3]

(بعثَ اللهُ رسلَه بما خصَّهم به من وحيه): فالوحي إذن من مختصاتهم لايشاركهم فيه أحد مهما سما، وهو من عند اللهِ وليس من عندياتهم فهم مبلغون ومؤتمنون على الوحي.

(وجعلهم حجةً له على خلقِه لئلاَّ تجبَ الحجةُ لهم بترك الإعذارِ إليهم): وهذه العبارات توأم الآية الكريمة ﴿لئلاَّ يكونَ للناسِ على اللهِ حجةٌ بعد الرسل﴾[4]

---

١ – الشعراء – ٢١٨ – ٢١٩.

٢ – ﴿وإذْ قال إبراهيمُ لأبيهِ آزر أتتخذُ أصناماً آلهة﴾. الأنعام – ٧٤.

٣ – خ١١٤، ص٢٠٠.

٤ – النساء – ١٦٥.

(فدعاهم بلسان الصدقِ إلى سبيلِ الحق. ألا إنَّ الله تعالى قد كشف الخلقَ كَشفةً، لا أنه جهل ما أخفوه من مَصُونِ أسرارِهم ومكنونِ ضمائرِهم ولكنْ ليبلوَهم ﴿أيهم أحسنُ عملاً﴾ [1] فيكونَ الثوابُ جزاءً والعقابُ بواءً) [2]:
تلاحظن بيان مهمة الأنبياء من عناوين الإعذار والحجة وبيان السبيل ليكون اختبار الخلق. يأتيهم النبي فيعلمون صدقَه وأمانته ويرون معجزته ويدعوهم دعوة الخير في الدنيا والآخرة ليكشف من يتمسك بحبله ونهجه ومن يخالفه لا أنه — تبارك وتعالى— جهل حالهم فأراد أن يعلمه تعالى الله عن هذا علوًّا كبيراً.

وتحدث عن مهام الأنبيء عليهم السلام فقال عليه السلام: [3]

(وهو الذي أسكنَ الدنيا خلقَه، وبعثَ إلى الجنِّ والإنسِ رسلَه، ليكشفوا لهم عن غطائِها، وليحذروهم من ضرَّائِها، وليضربوا لهم أمثالَها، وليبصروهم عيوبَها، وليهجموا عليهم بمعتبَرٍ من تصرفِ مصاحِّها وأسقامِها وحلالِها وحرامِها، وما أعدَّ الله للمطيعين منهم والعصاةِ من جنةٍ ونار، وكرامةٍ وهوان).
تلاحظن هنا نوعاً من التفصيل الآخر والأكثر حول مهمات الأنبياء عليهم السلام تجاه الخلق.

وقال عليه السلام عن ذلك أيضاً: [4]

(ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائنَ العقول ويُروهم آياتِ المقدرَة من...): قلنا أن العقول تخبو وتنتهي وكذلك القلوب تموت بفعل الاشتغال بالدنيا والذنوب والغفلة والجهل فيأتي الأنبياء عليهم السلام لإحياء كل ذلك وهذا معنى البعثة، إحياء ما أماتته الدنيا والذنوب وتنبيه الناس من غفلتهم وإرشادهم بعد جهلهم إلى الفطرة التي بدلوها.

---

١- الكهف - ٧.

٢- باء فلان بفلان أي قتل به.

٣ - خ١٨٣، ص٢٦٥.

# موسى وهارون عليهما السلام

أولاً: أهداف الإمام عليه السلام من عرض السيرة

ثانياً: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾

ثالثاً: ﴿وكلّم الله موسى تكليماً﴾

رابعاً: موسى عليه السلام مثال الزهد والانقطاع

خامساً: موسى وهارون عليهما السلام

---

٤ - خ١، ص٤٣.

## مدخل

قال عليه السلام:

(ما شككْتُ في الحقِّ مُذْ أُريته، لم يُوجِسْ موسى عليه السلام خِيفةً على نفسِه، بل أشفقَ من غلبةِ الجهّال ودولِ الضلال).

## أولاً: أهداف الإمام عليه السلام من عرض السيرة

لم يكن الإمام عليه السلام في عرضه للسيرة بصدد الترجمة والإفاضة والتحليل لحياة هذا النبي أو حياة ذلك الوصي. وإنما غرضه كغرض القرآن الكريم من التنبيه والتركيز على جانب الموعظة أحياناً، وأحياناً أخرى أخذ العبرة من سيرة العظماء وتأريخ الزمان. ولهذا نلاحظ الفرق في كلامه عليه السلام عن آدم عليه السلام وما مرَّ علينا من بديع خلقته وكونه أول الخلق ومظهر القدرة والابتلاء وبين حديثه هنا عن موسى وهارون.

## ثانياً: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ [1]

قال الإمام عليه السلام: [2]

(ما شككْتُ في الحقِّ مذْ أُريتُه، لم يُوجِسْ موسى عليه السلام خِيفةً على نفسِه، بل أشفقَ من غلبةِ الجهّال ودولِ الضلال).

### *أ – مناسبة الكلمة*

يشير الإمام عليه السلام إلى موقف من المواقف الصعبة الحرجة بعد واقعة الجمل

---

١ – هود – ١٧.

٢ – خ٤، ص٥١.

المشومة وبعد قتل طلحة والزبير اللذين في البدء كانا معه يدافعان عنه ثم بايعاه ثم ألّبا عليه وحارباه في الجمل حتى أمكنه الله منهما.

## ب – دلالة الكلمة

يقول علي (عليه السلام): (ما شككت في الحق) فيركز أولاً على موضوع الشك وما يحمله (عليه السلام) من بصيرة تامة وثبات ويقين أبرزه في كلمته المعجزة الخالدة (لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً). وقوله (عليه السلام) (مذ أُريته) لا يعني –والعياذ بالله– أنه لم يكن يعرف الحق في فترة سابقة ثم عرفه في فترة متأخرة بل المعنى أنه عرفه منذ وجوده الشريف نظراً لعلمه وإحاطته سواءً كان ذلك بالإلهام أو بتعليم النبي له (صلى الله عليهما وآلهما) أو بأي مصدر من مصادر علم الإمام (عليه السلام) كما مرَّ علينا في الدرس الأول من هذا الدرس الشريف. يصرح (عليه السلام) أن هذا القلق الذي يعيشه الإمام (عليه السلام) في هذا المعترك وفي الموقف العصيب لم يكن من باب الخوف والتردد في أنه محق أو ليس كذلك أو أنه وُفِّقَ للصواب أو لم يوفّق له. وينظر (عليه السلام) تنظيراً مهماً ورائعاً بنبي الله موسى (عليه السلام) الذي هو في مقام العصمة والتسديد من قبل الله تعالى وهو من أولي العزم الكرام وصاحب رسالة ضخمة وشاملة. فقد ألقى السحرة عصيهم فإذا هي ثعابين ترهب الناس ﴿فأوجسَ في نفسِهِ خِيفةً موسى﴾ [1] ولكن هذه الخيفة لم تكن على نفسه شكاً منه في السلاح الذي يملكه أو أنه سيخسر الموقف أو شكاً في نصرة الله تعالى له وأنه على الحق بل كان يخشى على الأمة أن تكون عاقبتها الضلال وتكون للظالمين دولة. فالإمام (عليه السلام) يثبت أنه قد يعرض على النبي الخوف الذي لا يعني النقص والجبن ومن ذلك أيضاً الآية التي تحدثت عن خروج موسى (عليه السلام) ﴿فَخَرَجَ منها خائفاً يترقب﴾ [2]، إلاّ أنه صلوات الله عليه ينزه موسى (عليه السلام) عن الشك ويبين هذا المقام الشامخ من اليقين والبصيرة.

---

١ – طه – ٦٧.

٢– القصص – ٢١.

وبما يجدر ذكره هنا أن هذا الحكم ينطبق على الفكرة الـتي تطـرح كمـا في قول الشاعر:

خرجَ الحسينُ من المدينةِ خائفاً كخروجِ موسى خائفاً يتكتمُ

فالحسين عليه السلام أبدى من الشجاعة ما حيَّر العقول ولم يُرَ شجاعٌ مثلـه كمـا تحكي سيرته الخالدة، وإنما كان خوفه عليه السلام على مستقبل الدين ومصير الأمة.

وقد قال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في شرحه للنهج [1] أن هذه الجملة الشريفة هي أحسن تفسير لقوله تعالى: ﴿فأوجَسَ في نفسِهِ خِيفةً موسـى﴾ وأفضل تبرئة لنبي الله عليه السلام من الشك في أمره، فهي تفسر الآية بمعنى مـن المعـاني الكبيرة والمهمة لا أنها تعني الخوف والـتردد والشـك في الحـق، كمـا تعطي هـذه المعاني الجليلة وتشير إليها في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام.

## ج – الدلالة على العصمة

هذه الكلمة التي ذكرناهـا للإمـام عليه السلام فيهـا دلالـة على العصمـة في حـق الأئمة عليهم السلام، لماذا ؟ لأن البصيرة والعلم والتسديد والإلهام وتمـام الموازنـة في سـائر الملكات الموجودة عند الإمام عليه السلام تمنعـه مـن ارتكـاب جـرم أو وقـوع في خطيئـة والعياذ با لله. لذلك بين الشيخ ميثم البحراني رضي الله عنه أن هـذه الكلمـة فيهـا دلالـة على العصمة. [2]

ثالثاً: ﴿وكَلَّمَ ا للهُ موسى تكليماً﴾ [3]:

ومما قاله الإمام حول نبي ا لله موسى عليه السلام: [4]

---

١– ج١، ص٤٠.

٢– في شرحه للنهج ١/٢٧٥.

٣– النساء – ١٦٤.

(ولا يُوصف بالأزواج، ولا يُخلق بعلاج، ولا يُدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، الذي كلم موسى تكليماً، وأراه من آياته عظيماً بلا جوارحَ ولا أدوات).
وهذا بيانٌ جلي لمقام موسى عليه السلام فهو كليم الله تعالى. وبالطبع فإن المسألة مشروحة في موطن آخر سواءً كان في بحث الاعتقاد أو التفسير أو الرواية باعتبار أن الكلام الذي صدر من الله تعالى لم يكن بجارحة إنما خلق الله تعالى الكلام وأوجده في الشجرة فخرج منها مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى. وقد تعرضنا في أحاديث سابقة لما ينفع مما يتعلق بهذه النقطة من الجهة الاعتقادية.

## رابعاً: موسى عليه السلام مثال الزهد والانقطاع

تحدث الإمام عليه السلام عن الزهد في الدنيا الفانية، وذكر من يؤثرها على الآخرة ومن يؤثر هواه على الله تعالى، وتعرض لكثير من زخارفها ومعايبها ثم أعطى للزهد فيها أمثلة ابتدأها بالمثل الأعلى والقدوة الكبرى لكل الخلق ألا وهو النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، ثم ثنّى بالحديث عن موسى عليه السلام، فقال عليه السلام: [1]

وإنْ شئتَ ثنَّيتُ بموسى كليم الله -صلى الله عليه وسلم- حيث يقول: ﴿ربِّ إني لِمَا أنزلتَ إليَّ من خيرٍ فقيرٌ﴾ [2]. والله، ما سأله إلاَّ خبزاً يأكله، لأنه كان يأكلُ بقلةَ الأرض ولقد كانت خضرةُ البقلِ تُرى من شفيفِ صِفاقِ بطنه، لهزالِه وتشذُّبِ لحمه). يضربُ الإمام عليه السلام مثلاً أروع بشخصية كبيرة عظيمة جليلة، نبي من الأنبياء الكرام من أولي العزم وأنه كان في تمام الانقطاع عن الدنيا إلى الله سبحانه وتعالى. والتأريخ يحدث أن نبي الله موسى عليه السلام سار مسافات طويلة يقطع الفيافي والبيد بلا كلأ ولا ماء ثمانية أيام، فلما أرهقه الجوع شكا إلى الله تعالى وتضرع إليه أن يرزقه خبزاً فقط. فهو على شدة جوعه في تمام الإعراض

---

٤ - خ١٨٢، ص٢٦٢.

١ - خ١٦٠، ص٢٢٦.

٢- القصص - ٢٤.

عن الدنيا وإنما يطلب خبزاً كي يحفظ حياته ويتقوّى على العبادة والطاعة والشكر، فهذه اللذات ليست مرغوبة بالأصالة وإنما بالعرض. وقول الإمام عليه السلام: (وا للهِ) ليس في صدد أن يقسم لمحض القسم فهو يستعرض العبّاد والزهّاد والأولياء الذين انقطعوا عن الدنيا إلى ا لله سبحانه وتعالى ولكن نظراً إلى أن الأمر قد يصعب على الأذهان، واقتلاع حب الدنيا من ذوات الناس يحتاج إلى قول قاطع لذلك عزّزه بالقسم وجاء القسم في الصميم عقيب الآية المباركة مباشرة (وا للهِ، ما سأله إلاّ خبزاً) يأكله فقط ولا يجمعه ويكنزه وفي تصوير الإمام عليه السلام لشدة الجوع الذي وصل له نبي ا لله عليه السلام لم يرد أن يبالغ بل هو يذكر الواقع كما هو، فلقد كان صفاق بطنه (وهو الجلد الأسفل الذي فوقه الجلد الظاهر للبطن) شفيفاً (أي رقيقاً يُستشفُّ ما وراءه) بحيث ترى خضرة البقل داخل بطنه فقد كان شديد الهزال متفرق اللحم. هذا وهو في تمام المنزلة والكرامة عند ا لله بحيث لو سأله ما يشاء من الملذات لأعطاه إياها حلالاً طيباً لا ينقص من منزلته عند ا لله شيء، ومع ذلك يترك هذه الملذات تعففاً. ويلاحظ في حياة الزهاد كالرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكأمير المؤمنين عليه السلام ونبي ا لله موسى عليه السلام، أنهم رغم زهدهم وقلة طعامهم لم يكن ذلك ليقعد بهم عن العبادة والحرب والجهاد وكل مظاهر القوة والكمالات الجسمية.

## خامساً: موسى وهارون عليهما السلام

وقال عليه السلام عن تواضعما وقوة يقينهما عليهما السلام: [1]

ولقد دخل موسى بنُ عمرانَ ومعه أخوه هارونُ عليهما السلام على فرعونَ، وعليهما مدارِعُ الصوف، وبأيديهما العِصِيُّ، فَشَرَطا له -إنْ أسلمَ- بقاءَ ملكِه، ودوامَ عزِّه، فقال: "ألا تعجبونَ من هذينِ يشرُطانِ لي دوامَ العِزِ، وبقاءَ الملك

---

١ - خ١٩٢، ص٢٩١.

وهما بما ترونَ من حالِ الفقرِ والذُّل، فهَلاّ أُلقِيَ عليهم أساورةٌ من ذهب؟[1]" إعظاماً للذهبِ وجمعِه، واحتقاراً للصوفِ ولبسِه...). في هذه الجمل الشريفة أبعاد كثيرة وإنما يعنينا منها ما نربطه بموضوعنا حول هذين النبيين العظيمين.

## أ – التواضع وصلابة الموقف

يسجل الإمام عليه السلام التواضع الذي تمثل في هذا اللباس البسيط وتلك العصي وأنهما على طبيعتهما ودونما تكلف يدخلان على فرعون وهو يتقلب في أفخر لباس من خز وذهب، فلا يقعد بهما هذا التفاوت في المظهر أن يؤدِّيا وظيفتهما بكل صلابة وثقة، فإن القيمة ليست في اللباس بل فيما يحملان في قلبيهما وفي فكرهما وإيمانهما.

## ب – الحاكم العادل

يفهم من هذه الحادثة وهذا الوصف أنه من صالح العباد والبلاد بقاء الحاكم العادل، بل إن عدل الحاكم هو من موجبات بقاء عزه، فليتمتع كما يشاء، ولكن فليكن عادلاً في رعيته يقوم بالنظام ويحفظ الحقوق. ولكن إذا كان فرعوناً جائراً متعسفاً فإن ملكه إلى الزوال. وهو يحتقر أولياء الله تعالى بقوله (ألا تعجبون من هذين) فإنه لا يسميهما باسميهما بل يشير لهما باسم الإشارة (هذين) احتقاراً ومهانةً لهما.

## ج – اليقين في الدعوة

فهما يحملان دعوة الحق على تمام اليقين والبصيرة. ويحملان ضمان الغيب، ومن يضمن الغيب سوى الله تعالى ؟. إذن فهما ينبئان عن الله تعالى في هذه القضية الضخمة وهي ضمان بقاء ملك فرعون، وأي مُلكٍ هذا الملك؟! كل ذلك

---

١ – ﴿فلولا أُلقِيَ عليه أسورةٌ من ذهب﴾. الزخرف – ٥٣.

دلالة واضحة على أنهما رسولا رب العالمين اللذين هما بعزة الله فوق كل عز ومقام، وفوق مقياس فرعون المادي الذي ينظر للذهب واللباس والمال على أنه يرفع من شأن الإنسان والواقع كما هو في مقياس الله تعالى أن الإنسان يشرف اللباس ويشرف الذهب وكل مظهر للترف. نعم، يتشرف ويتبرك الناس بتراب أقدام العالم، وهم يحتقرون قصور الظال، وفي الرواية (لا يهوننَّ عليكَ من رثَّ لباسه فإن الله ينظر إلى القلوب ولا ينظر إلى الأبدان). وقد تتربى أفكارنا ونفسياتنا بحسب ما نعايش في حياتنا أن صاحب المركب الفخم، والدار الواسعة، والمال الكثير هو إنسان كريم على الله تعالى ولذا أعطاه وأنعم عليه. وقد نتصور أن صاحبة الجمال واللباس الحسن هي التي تستحق التقدير والإجلال بسبب جمالها ولباسها، فنقيِّم الناس ونصاحبهم بهذه المقاييس الخاطئة التي تأخذ أثرها في مجتمعنا وأعماقنا، في حين أن مقياس الله تعالى في تقييم عباده لا يُعْنَى بهذه المظاهر فرب عبد في أطماره لو أقسم على الله تعالى لأبرَّ قسمه، وهذا درس تستفيده الطالبات العزيزات ونستفيده جميعاً من أمير المؤمنين عليه السلام.

# عيسى .. كلمة الله وروحه

أولاً: هدف الإمام عليه السلام

ثانياً: عيسى عليه السلام: نهاية الانقطاع عن الدنيا

ثالثاً: مثال الكمال والعشق الإلهي

رابعاً: لماذا هذا الإعراض الكامل عن الدنيا؟

خامساً: عيسى في حياة الأئمة عليهم السلام

سادساً: تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح

سابعاً: القدوة والتكليف

## مدخل

قال (عليه السلام) متحدثاً عن عيسى روح الله وكلمته:[1]

(وإنْ شئتَ قلتُ في عيسى بنِ مريمَ (عليه السلام)، فقد كان يتوسَّدُ الحجرَ، ويلبسُ الخشِنَ، ويأكلُ الجشِبَ، وكان إدامُه الجوعَ، وسراجُهُ بالليلِ القمرَ، وظلالُهُ في الشتاء مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، وفاكهتُهُ وريحانُهُ ما تنبتُ الأرضُ للبهائمِ، ولم تكنْ لَه زوجةٌ تفتنُه، ولا ولدٌ يحزنُه، ولا مالٌ يلفتُه، ولا طمعٌ يذلُّه، دابَّتُه رجلاه، وخادمُهُ يداه).

## أولاً: هدف الإمام (عليه السلام)

يهدف الإمام (عليه السلام) من هذا العرض لحياة السيد المسيح (عليه السلام) -التزهيد في الدنيا وإرشاد الخلق إلى الإعراض عنها، والورع وعدم التهالك على مظاهرها وزخارفها. كما يدللُ الإمام (عليه السلام) ويوضح أن هذه الدنيا في تمام الحقارة وأنها لا تستحق أن يذلَّ الإنسان نفسه من أجلها، ولو لم تكن كذلك لما أعرض عنها أنبياء الله وأولياؤه (عليهم السلام).

## ثانياً: عيسى (عليه السلام) .. نهاية الانقطاع عن الدنيا

(كان يتوسَّدُ الحجرَ): وإذن فلم يكن له بيت أو فراش يأوي إليه، وهذا غاية في البساطة والغرابة في نفس الوقت. وهو (عليه السلام) (يلبس الخشن) فلا يعنى بلباس (ويأكل الجشب) أي الغليظ فهو لا يهتم بالحصول على الطعام الحسن الراقي، بل (إدامه الجوع) وهذا تعبير عجيب جداً فإن الإدام معروف لدى الناس وله درجات فقد يكون ملحاً أو خلاً أو لحماً. أمّا أن يكون هو الجوع فهذا نهاية الوصف والتعبير أنه (عليه السلام) روَّضَ نفسه رياضةً لا تطمح معها إلى شيءٍ أصلاً حقيراً

---

١- خ١٦٠، ص٢٢٧.

كان أم غير ذلك. ثم لم يكن يعتمد حتى على شمعةٍ أو سراجٍ بل كان (سراجه بالليل القمر)، وكانت (ظلاله) التي يلجأ إليها للدفء في الشتاء (مشارقَ الأرضِ ومغاربَها) فلم يعد لنفسه شيئاً من الدنيا لهذا الغرض. وإذا كان عند الناس عناية وتصنيف وتمييز بين فاكهةٍ تستطاب، ورياحينَ تشم، فإن عيسى عليه السلام كانت (فاكهته وريحانه) -على حدٍّ سواء- (ما تنبتُ الأرضُ للبهائم) من نباتٍ لا يحتاج إلى عنايةِ إنسان بل ينبتُ طبيعياً بفعل مطر السماء، فهو من هذه الناحية لا ينشغلُ عن الخالق بزراعة فاكهة وريحان أو الحصول عليها، والمرأة بطبعها تكون محبوبة ومحلاً للإعجاب والانشغال بها وهذا شأن من شؤون الحياة، أما هذا النبي العظيم فلم (تكن له زوجةٌ تفتنه) وتشغله عن معشوقه الأوحد. ونتيجة لهذا فلم يكن له أيضاً (ولدٌ يحزنه) فالأولاد يحتاجون إلى اشتغال بهم وجهد ووقتٍ يصرف معهم ويأنس بهم، فينشغل العبد بهذا الأنس عن الأنس بالله تعالى، وكذلك هي الحال في المال وما يتطلب من عنايةٍ بجمعه والحفاظ عليه والنظر في مصارفه وشؤونه. ثم يعمم الإمام عليه السلام نواحي الانقطاع في حياة هذا النبي العظيم بقوله إنه لم يكن له (طمعٌ) فإن الطمع يذل ويضع الإنسان موضع الضعة والاحتقار والمسكنة. ثم هو بعد كل هذا (دابتهُ رجلاه، وخادِمُهُ يداه).

## ثالثاً: مثال الكمال والعشق الإلهي

فهو يمثل قدوة ومقاماً عظيماً من الكمال برز فيه بأروع صوره، وبرز في القلة ممن ربَّاهم وأدَّبهم بصورٍ أخرى من الانقطاع والإعراض عن الدنيا. وأما بقية الناس فبعيدون كل البعد عن هذا الكمال وهذا العشق. ولو نظرنا إلى من ينتسب لعيسى عليه السلام حديثاً لرأيناهم أهل الدنيا الغارقين في ملذاتها، بينما كان الجدير بهم أن يتخذوا من ينتسبون له قدوةً. وأمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على حقيقة القدوة هذه في موطن آخر [1] بقوله:

---

١- الكلمة رقم١٠٤، ص٤٨٦.

(يا نوفُ، طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قومٌ اتخذوا الأرضَ بساطاً، وترابَها فراشاً، وماءَها طيباً، والقرآنَ شعاراً، والدعاءَ دثاراً، ثمَّ قرضوا الدنيا قرضاً على منهاجِ المسيح). وقوله عليه السلام (طيباً) هو عنوان شامل لكل الطيبات. وأما تعبيره (قرضوا) فإنه يعني أنهم تناولوا الدنيا بأطراف أسنانهم كناية عن قلة تزودهم من طيباتها، في قبال الذين (خضموا الدنيا) أي تناولوها بكل فمهم كنايةً عن شدة إقبالهم على ملذاتها. وإذن هذا هو التفاوت والتعبير لما بين الصنفين من فرق. ويختم الإمام عليه السلام هذا البيان والإشادة بالزاهدين بقوله (على منهاج المسيح) فهو مثلٌ يُرْمَقُ شاخصاً للكمال والعشق الإلهي.

## رابعاً: لماذا هذا الإعراض الكامل عن الدنيا؟

يتساءل البعض: لماذا هذا الإعراض التام عن الدنيا في حين أن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن تظهر عليهم آثار نعمته وأن يأكلوا من الطيبات؟ ويجاب على ذلك بعدة أمور، منها أن الأنبياء عليهم السلام هم قدوة الناس وهم أسوةٌ للفقراء والضعاف من الرعية، فحينما يرى المحرومون أن أولياء الله الذين هم أكرم خلقه عليه ومع هذا فإنهم في تمام الإعراض والزهد في ملذات الدنيا - لا شك أن هذا يخفف على المحرومين معاناتهم وحرمانهم، فلا يتبرمون من قضاء الله وقدره أو يظنون أنه من غضب الله عليهم. ومن ناحية ثانية فإن زهد الأنبياء والأولياء عليهم السلام في الدنيا تصريحٌ عمليٌّ أنها جديرةٌ بالاحتقار وأن الإعراض عنها لا يوجب منقصة أو يمنع من أداء الرسالة والتكليف الإلهي، وهذا خير إرشادٍ للعباد أن لا يتهالكوا على الدنيا وتحصيل ملذاتها الزائلة حتى لو استوجب ذلك ذلةً وبعداً عن الله تعالى بارتكاب المحرمات. هذا بالإضافة إلى نواحٍ أخرى تتعلق بالصفاء والسمو الروحي وهذه الكمالات التي تتطلب التخلص من قيود الماديات.

## خامساً: عيسى في حياة الأئمة عليهم السلام

يلاحظ في حياة الأئمة عليهم السلام سيرة مشتركة مع نبي الله عيسى عليه السلام، ومن

ذلك ما يلي:

### أ – قول الرسول الأعظم لعلي (صلى الله عليهما وآلهما):[1]

(والذي نفسي بيده لولا أن تقولَ طوائفُ من أمتي فيكَ ما قالتِ النصارى في ابنِ مريم لقلتُ اليوم فيكَ مقالاً لا تمرُّ بملإٍ من المسلمين إلاّ أخذوا الترابَ من تحت قدميكَ للبركة).

يضاف إلى ذلك أن عيسى عليه السلام غالى فيه قومٌ ادعوا له الربوبية، وطعن آخرون فيه فقذفوا أمه مريم عليها السلام في أمر ولادته. وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام جعله قومٌ إلهاً في حين استخفَّ آخرون بشأنه فرموه بما رموه.[2]

### ب – فيما أبّنَ به الإمام الحسن أباه أمير المؤمنين عليهما السلام قائلاً:[3]

(ولقد توفّيَ في هذه الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم).

فسيرتهما واحدة ونهجهم واحد.

### ج – عليٌّ سيدُ الزاهدين

فحياته كحياة أخيه عيسى عليهما السلام زهداً وإعراضاً عن الدنيا التي يخاطبها:

(يا دنيا، يا دنيا، إليكِ عني، أبي تعرضْتِ؟ أم إليَّ تشوّقْتِ؟ لا حانَ حينُكِ!

---

١- بحار الأنوار ٨١/٤٠.

٢- (يا علي فيك مثلُ عيسى بنِ مريم، أبغضَتْه اليهود حتى بهتتْ أمّه، وأحبتْه النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له ، يا علي يدخل النار فيك رجلان: محبٌّ مفرط، ومبغضٌ مفرِّط، كلاهما في النار). بحار الأنوار ٧٩/٤٠.

٣- إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي. ص٢٠٨.

هيهات! غرِّي غيري، لاحاجةَ لي فيكِ، قد طلَّقتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ فيها!) [1].

أو يقول عليه السلام: [2]

(وأيم الله -يميناً أستثني فيها بمشيئةِ الله- لأروِّضَنَّ نفسي رياضةً تهشُّ معها إلى القرصِ إذا قدرتُ عليهِ مطعوماً، وتقنعُ بالملحِ مأدوماً، ولأدعنَّ مقلتيّ كعينِ ماءٍ، نضبَ معينها مستفرغةً دموعَها). فهو من باب الحرص على كمال نفسه الشريفة ومن باب الحرص على رعيته ومواساته لهم، ومن موقع قيادته كان مثالَ الزهد والبعد عن الدنيا وقد كانت بين يديه. وتعبيره (إذا قدرْتُ) عليه تعبيرٌ دقيق جداً، يعني أنه يدع نفسه تفارق حتى الخبز والملح فراقاً تهشُّ بعده لهذا الطعام البسيط، وقد كان عليه السلام متحلياً بهذه الكمالات بنحو أجلى وأمثل.

## د – عيسى يصلي خلف المهدي عليهما السلام

فقد جاء عن الإمام المجتبى عليه السلام [3]: (ما منّا أحدٌ إلاّ ويقع في عنقه بيعةٌ لطاغيةِ زمانه، إلاّ القائم الذي يصلي خلفه روحُ اللهِ عيسى بنِ مريم).

فصاحب الزمان (أرواحنا فداه) إمامٌ للخلق بما فيهم نبي الله عيسى عليه السلام.

---

١– الكلمة رقم٧٧، ص٤٨٠–٤٨١.

٢– الكتاب رقم٤٥، ص٤١٩–٤٢٠. وهو كلام ضمن كتابٍ وجَّهَهُ عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، عاملِه على البصرة. وتجدر مراجعة هذا الكتاب بكامله نظراً لروعته وكثرة الفوائد فيه فيما يتعلق بشخصية أمير المؤمنين وسيرته عليه السلام.

٣– بحار الأنوار ٥٢/٢٧٩.

## سادساً: تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح [1]

ورد أن هذه التسمية جاءت لعدة أسباب محتملة، فمن ذلك أنه سمّي بالمسيح لأنه مُسِحَ باليمن والبركة أي أن وجوده الشريف كان يمناً وبركةً على الخلق، وقيل لأنه مطهّرٌ من كلِّ ذنبٍ وعيب، وقيل لأن جبرئيل عليه السلام مسحه بجناحه، وقيل لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يتمسحون به تبركاً، وقيل لأنه عليه السلام كان يمسح الأعمى فيبصر، ويمسح الأبرص أو الأكمه فيعافى بإذن الله تعالى.

## سابعاً: القدوة والتكليف

يلاحظ في سيرة الأنبياء عليهم السلام أن جملة منهم لم يتزوجوا ومنهم نبيا الله عيسى ويحيى عليهما السلام. ومن هنا أُثيرت مسألة في الفقه وهي هل أن الزواج مستحبٌ ومرغوبٌ في ذاته أم أنه مستحب ومرغوب لمن تتوق نفسه إلى ذلك؟ وذكر في هذا المجال أن الزوجة -بما هي- تقتضي الانشغال بها وبالأولاد وقتاً وجهداً وتعلقاً، وعشق الأنبياء وهمهم هو التعلق والانشداد إلى الذات المقدسة. ويلاحظ أن هذه الأدلة أدلة عامة وقد يكون هناك أدلة خاصة في حق عيسى أو يحيى أو غيرهما من أنبياء الله عليهم السلام.

ويقرر العلماء أن ما يذكر من إعراض الأنبياء والأولياء عن الدنيا أو عدم زواج بعضهم ليس تكليفاً في حقنا، بل هم في مقام القدوة والقيادة وتكليفنا هو الاقتداء بهم في حدود أن لا ننساق خلف الدنيا انسياقاً نصبح معه أسارى لها تملكنا وتوجهنا، بل نحن الذين يجب أن نملكها. كما أن الإسلام نسخ الشرائع السابقة عليه جملةً وتفصيلاً، لا أنه أقرَّ بعضَ أحكامها وترك الآخر. وما يأتي من تعاليم الإسلام موافقاً للشرائع السابقة عليه إنما هو تشريعٌ جديدٌ لا أنه مأخوذ من

---

١- للوقوف على نواحٍ أكثر في حياة نبي الله عيسى عليه السلام يمكن للطالبة المحترمة مراجعة (بحار الأنوار) ١٤/١٩١-٣٥٠.

تشريع سماويٌ سابق.[1]

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا ويحيينا حياة الأنبياء والأولياء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين

---

١– الأصول العامة للفقه المقارن /٤٢٩.

# إبراهيم .. شيخ الأنبياء

أولاً: معنى (إبراهيم)

ثانياً: إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

ثالثاً: قال عليه السلام.

رابعاً: معنى كلامه عليه السلام

خامساً: قانون الانسجام

سادساً: ولد إسماعيل وبني إسحاق وإسرائيل عليهم السلام

سابعاً: أنبياء الله عليهم السلام في الكتب السماوية الأخرى

ثامناً: الأنبياء القدوة

## أولاً: معنى (إبراهيم)

إبراهيم كلمة سامية استخدمتها السريانية وفق طريقة نطقها فكانت ابراهيم، وإذا نطقت في العربية غير علم فهي (أب رحيم) وفي حالة العلمية أخذت عن السريانية ممزوجة ومسرينة و(أب) و(رحيم) من الكلمات الخوالد وهي المتحدرة من السامية إلى فروعها من سريانية وعربية وعبرانية وغيرها. ويلاحظ في التأريخ انطباق هذا الوصف على إبراهيم عليه السلام فإنه كان مظهراً بارزاً من مظاهر رحمة الله تعالى، وعرف بحبه للمساكين وتفقده للأضياف وغيرته وغير ذلك من الخصال الرفيعة.

## ثانياً: إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

ذكر القرآنُ الكريمُ خليلَ اللهِ إبراهيمَ عليه السلام في سبعين موضعاً [1] تتحدث عن مختلفِ شؤونه فإنه خليلُ الرحمن وبطلُ التوحيد.

## ثالثاً: إبراهيم عليه السلام في نهج البلاغة [2]

(إنَّ أولى الناسِ بالأنبياء أعلمُهم بما جاؤوا به، ثمَّ تلا: ﴿إنَّ أولى الناسِ بإبراهيم لَلَّذين اتّبعوه وهذا النبيُّ والذين آمنوا﴾ [3] الآية، ثم قال: إنَّ وليَّ محمدٍ من أطاعَ اللهَ وإنْ بَعُدَتْ لحمَتُه، وإنَّ عدوَّ محمدٍ من عصى اللهَ وإنْ قرُبتْ قرابته).

ذكر أميرُ المؤمنين عليه السلام خليلَ اللهِ إبراهيمَ عليه السلام في نهجه العظيم في موطنٍ

---

١- ذكر ذلك السيد السبزواري رحمه الله في (مواهب الرحمن) – ٦/٢.

٢- الكلمة رقم٩٦، ص٤٨٤.

٣- آل عمران – ٦٨.

واحدٍ هو هذا الذي ذكرناه، كما تحدث عن إسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام بشكل غير مباشر ضمن الحديث عن أولادهم وعن بني إسرائيل. وسأحاول في هذا الدرس أن أتناول هذه الجوانب من وحي كلامه عليه السلام.

## رابعاً: معنى كلامه عليه السلام

يحتمل في هذا الكلمات الشريفة معنيان، وإن كان أحدهما أعمق وأنسب وأقرب إلى مراد الإمام عليه السلام، وهذان المعنيان هما:

أ - المعنى الأول: وهو عنوان القدوة الصالحة والاتباع للأنبياء والأولياء عليهم السلام وذلك في قوله (أولى). وأما قوله عليه السلام: (أعلمهم بما جاؤوا به) فليس حصراً في محض العلم، بل يشمل ويقتضي العمل، أو هو العلم الباعث على العمل. ولذلك تلا بعد ذلك الآية وفيها ﴿اتبعوه﴾ وهذا تأكيدٌ على جانب العمل. فإذن العلم والعمل والاتباع تحقق الصلة بالأنبياء والأولياء عليهم السلام وتجسد حقيقة القدوة بهم، وهذا أمرٌ متاحٌ لكل البشر.

ب - المعنى الثاني: وهذا المعنى أهم وأعمق وأولى بالقصد، وإن كان لا ينفي المعنى الأول، ألا وهو الأولوية في الخلافة والإمامة كامتدادٍ لإمامة خليلِ الله إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء. وإذا كان أولى الناس بإبراهيم عليه السلام هو من يكون إماماً وخليفةً مثله، وجب والحال هذه أن يكون مراد الإمام عليه السلام من قوله (أعلمهم) هو العلم الإلهي الذي تكون به تمام الخشية، وكمال العمل، بحيث يكون هذا الشخص (الأولى) مؤهلاً لأن يكون إماماً يهدي إلى الله تعالى، كأنبيائه عليهم السلام. ومما يؤيد هذا المعنى أن الآية الكريمة التي استشهد بها الأمير عليه السلام ذكرت أن أولى الناس بإبراهيم عليه السلام هو النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، ولهذا لا يكون المعنى الأنسب عنوان القدوة والاتباع لأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أفضل من خليلِ الله عليه السلام، وإنما المعنى المراد في حق رسول الله صلى الله عليه وآله أن نبوته وإمامته للخلق، وكذلك إمامة أمير المؤمنين عليه السلام هي امتداد لنبوة وإمامة إبراهيم عليه السلام. وفي معرض الحديث عن النبوة والإمامة ذكرت في بعض ما كتبت ما ذكره السيد

البهبهاني ﷺ من التفصيل في الفرق بين النبوة والإمامة، وكما تذكر كتب الاعتقاد أن الإمامة مرتبة أسمى من النبوة، ومن ذلك أن إبراهيم كان نبياً ثم بعد ذلك أعطاه الله مقام الإمامة في قوله تعالى ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ [1] وقد كان قبلها نبياً وحسب. فقد تنفرد النبوة كما في معظم الأنبياء عليهم السلام، وقد تنفرد الإمامة دون النبوة كما هو مقام أمير المؤمنين وأئمتنا عليهم السلام، وقد تجتمع النبوة والإمامة كما في مقام خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.

ويستدل بالآية السابقة على اشتراط العصمة في الإمام فإن الله تعالى يقول ﴿إني جاعلُك للناسِ إماماً، قال ومن ذريتي، قال لا ينالُ عهدي الظالمين﴾. فكلمة (عهدي) فاعل، و (الظالمين) مفعول به أي أن عهدَ اللهِ تعالى -وهي الإمامة- لا يشمل الظالمين، والظلم هنا مطلقٌ سواءً كان ظلم العباد أو ظلم النفس بأي ذنبٍ كان، وسواءً كان ذلك الظلم قبل إسلام الشخص أو بعد إسلامه.

## خامساً: قانون الانسجام

أعرض هنا بعض الروايات التي تتعلق بحديثنا هذا، لنرى مدى انسجامها معه من جهة ومع سيرة الشخص وواقع الحال من جهة أخرى، وهذا ما يحلو لي أن أسميه (قانون الانسجام) الذي يدلل على صدق القضية، وتمام الحقيقة. هذا الحديث في موضوع الآية المباركة هو قول الرسول صلى الله عليه وآله: [2]

(أنا دعوة أبي إبراهيم، فقلنا: يا رسول الله، وكيف صِرْتَ دعوةَ أبيك إبراهيم عليه السلام؟ قال: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى إبراهيم ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ فاستخفَّ إبراهيمَ الفرح فقال: يا ربِّ ﴿ومن ذريتي﴾ أئمة مثلي... فانتهت الدعوة إليَّ وإلى أخي علي، لم يسجدْ أحدٌ منا لصنمٍ قط، فاتخذني الله نبياً وعلياً

---

١- البقرة - ١٢٤.

٢- رواه الشيخ في أماليه ورواه ابن المغازلي في مناقبه، نقل ذلك السيد السبزواري في (مواهب الرحمن) - ٢/٢٠.

وصياً).

إذن في هذا الحديث وغيره نجد أن طهارة النشأة وعدم السجود لصنم قط هو مظهر من مظاهر عدم الظلم التي أشارت إليه الآية الكريمة، وبذلك استحقَّ رسول الله ﷺ أن يكون في مرتبة الإمامة بعد النبوة والرسالة، واستحقَّ أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون في مرتبة الإمامة. فيكون معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه الذي ذكرناه من النهج، أنه يُنَظِّرُ ويشبه نفسه بإبراهيم عليه السلام لأنه في القمة من الإمامة والوظيفة الإلهية.

## سادساً: ولد إسماعيل وبني إسحاق وإسرائيل عليهم السلام:

١ - يقول عليه السلام: [١]

(فاعتبروا بحالِ ولَدِ إسماعيلَ وبني إسحاقَ وبني إسرائيلَ عليهم السلام، فما أشدَّ اعتدالَ الأحوال، وأقربَ اشتباهِ الأمثال! تأمَّلوا أمرَهم في حالِ تشتتِهم وتفرقِهم، لياليَ كانت الأكاسرةُ والقياصرةُ أرباباً لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق، وبحرِ العراق وخضرةِ الدنيا، إلى منابتِ الشيح، ومهافي الريح، ونكَدِ المعاش، فتركوهم عالةً مساكين إخوانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ، أذلَّ الأمم داراً، وأجدبَهم قراراً، لا يأوون إلى جناحِ دعوةٍ يعتصمون بها...).

كان هذا تنظيراً من الإمام عليه السلام وتشبيهاً لحالة المسلمين في عصره بعد أن رجع الحقُّ إليه، ولكن تشتت الناس وقامت الفتن من هنا وهناك - بحالِ أولاد إسماعيل نبي الله عليه السلام الذي كان له ما تعلمْنَ من المقام الجليل وشرف بناء الكعبة المشرفة، وكذلك أولاد إسحاق وإسرائيلَ (يعقوب) عليهما السلام. وقد كان لإسرائيل اثنا عشر ولداً. ومع كثرتهم وانحدارهم من سلالة الأنبياء فإنهم لما تركوا الحقَّ جانباً وتمردوا آلَ أمرُهم إلى الشتات والضياع بهذا المقدار الذي وضحه الإمام

---

١- خ١٩٢، ص٢٩٧-٢٩٨.

عليه السلام من استعباد القياصرة والأكاسرة لهم وحرمانهم من خير الدنيا.

٢ - تحدث الإمام عليه السلام عن التيه الذي حلَّ ببني إسرائيل والذي تحدث عنه القرآن الكريم أيضاً، فقال عليه السلام: [١]

(أيُّها الناس لو لَمْ تتخاذلوا عن نصرِ الحق، و لم تهِنوا عن توهينِ الباطل، لم يطمعْ فيكم من ليس مثلَكم، و لم يقوَ من قويَ عليكم، لكنكم تِهْتم متاهَ بني إسرائيل. ولعمري، ليضعَّفَنَّ لكم التيهُ من بعدي أضعافاً بما خلّفتم الحقَّ وراءَ ظهوركم، وقطَعتم الأدنى ووصلتم الأبعد. واعلموا إنكم إن اتبعتم الداعي لكم، سلك بكم منهاجَ الرسول...).

نلاحظ الانسجام بين هذا المقطع والمقطع السابق من كلامه عليه السلام، فإنه يتحدث عن الفرقة والابتعاد عن الحق ويتحدث عن بني أمية (الذين وصلهم الناس وهم أبعد عن الحق) كما يتحدث عن الحال التي وصل لها المسلمون ويدعو إلى التآلف ونصرة الحق، ويشبه الناس في خذلانهم وابتعادهم عن الحق ببني إسرائيل الذين تاهوا أشد متاه. وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا التيه بقوله تعالى: ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلَها أبداً ما داموا فيها فاذهبْ أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ۞ قال ربِّ إني لا أملك إلاّ نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القومِ الفاسقين ۞ قال فإنها محرمةٌ عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرضِ فلا تأسَ على القومِ الفاسقين﴾ [٢]. وتذكر الروايات أشياء عجيبةً عن هذا التيه وأنهم يمشون طوال الليل حتى إذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في نفس المكان لم يبرحوه، وذلك أن الله يأمر الأرضَ بذلك فتعود بهم إلى نفس المكان، واستمر تيههم هكذا أربعين سنة. وتذكر الروايات أيضاً أن الأمة تاهت فترة طويلة إلى زمن حكم أمير المؤمنين عليه السلام لتُشابهَ الأمم السابقة كما هو مدلول الحديث (لتركبنَّ سنن من كان قبلكم حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه).

---

١- خ١٦٦، ص٢٤١.

٢- المائدة - ٢٤، ٢٥، ٢٦.

## سابعاً: أنبياء الله عليهم السلام في الكتب السماوية الأخرى

مع بالغ الأسف فإن الكتب السماوية الأخرى طالتها يد التحريف بشكلٍ لم يبقَ فيها أثرٌ من آثار الله تعالى. ففي الوقت الذي يتحدث فيه القرآن الكريم بكلِّ إجلال لأنبياء الله عليهم السلام وعلاقتهم بالله تعالى وإجلاله بما هو أهلٌ له -نجد أن الكتب السماوية الأخرى تذكر السخافات والأباطيل التي وضعتها يد التحريف. فمن ذلك يذكرون أن كلمة (إسرائيل) تعني في العبرية (مُصَارِع الله)، وقد سُمِّيَ نبي الله إسرائيل (يعقوب) عليه السلام بهذا الاسم لأن الله تعالى وتقدس دخل على يعقوب في الليل غرفته وتصارع معه إلى الفجر فما غلب أحدهما الآخر فمنحه الله لقب (إسرائيل).

## ثامناً: الأنبياء القدوة

استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بالآية الكريمة ﴿إنَّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾. واستناداً إلى المعنى الأول الذي قلنا أن المعنى الثاني لا ينفيه فإن الأنبياء قدوة للجميع مع اختلاف مستوى الأخذ بهم كقدوة فكل يأخذ حسب قدره وشأنه، فتحمل الآية أن أولى الناس بنبي الله إبراهيم هم الذين يتبعونه ويسيرون على نهجه ويقتدون به، فإن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (إن وليَّ محمد من أطاع الله وإنْ بَعُدَتْ لُحمَتُه، وإنَّ عدوَّ محمد من عصى الله وإنْ قَرُبَتْ قرابته) فالقريب من قرَّبته الطاعة. ومن ذلك أيضاً الحديث الصادقي: (إنَّ وليَّ عليٍّ عليه السلام لا يأكل إلاّ الحلال لأن صاحبه كان كذلك، وإنَّ وليَّ عثمان لا يبالي أحلالاً أكل أو حراماً لأن صاحبه كذلك)[1].

وهذا مظهر من مظاهر الانتماء يتجلّى ليس في جانب الاعتقاد وحسب بل في جانب السلوك والعمل، ولهذا جاء في الرواية (إن العلم يهتف بالعمل فإن أجابه

---

١- الكافي ١٤٤/٨.

وإلاّ ارتحل عنه).

# داوود وسليمان عليهما السلام

أولاً: داوود عليه السلام

ثانياً: سليمان عليه السلام

ثالثاً: ﴿ومن عنده علمُ الكتاب﴾

رابعاً: أمير المؤمنين عليه السلام: سيد الزاهدين

## أولاً: داوود عليه السلام

أ- قال عليه السلام، متحدثاً عن نبي الله داوود عليه السلام: [1]

(وإنْ شئتَ ثلثتُ بداوودَ -صلى الله عليه وسلم[2]- صاحبِ المزاميرِ، وقاريءِ أهلِ الجنةِ، فلقد كان يعملُ سفائفَ الخوصِ بيدِه، ويقولُ لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها! ويأكلُ قرصَ الشعيرِ من ثمنها).

هذه الكلمات عطف على ما سبق من عنايته سلام الله عليه، بأخذ العبرة من حياة الزهاد والعباد، فقد ذكر أولاً رسول الله صلى الله عليه وآله ثم موسى عليه السلام ثم ثلّث بداوود عليه السلام، ووصف داوودَ عليه السلام بأنه (صاحب المزامير)، وقد فسَّر بعضهم -كالشيخ محمد جواد مُغْنِيَة- ذلك بأنه الزمر المعيَّن المتعارف، أما غيره فقد ذكروا بأن (المزامير) من جهة لغوية هنا، ما كان يتغنّى به داوود عليه السلام بقراءته الزبور نظراً لأن الله سبحانه وتعالى وهبه عذب النغم ولذة الترجيع فلهذا وصف صوته بالمزامير، وكان لصوته عليه السلام أثر غريب كالسحر، فقد كان يؤثر في الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فقد جاء في الروايات كما عن الصادق عليه السلام أن داوود عليه السلام (كان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلاّ جاء به)[3]. وجاء أن الطير تقع عليه والوحش تدخل بين الناس لاهية عن افتراسهم. وإن كنتُ أتصور -والله العالم- أنه ليس فقط حسن الصوت هو السبب بل هو ما ينبعث من صفاء القلب المؤمن المتعلق بالله سبحانه وتعالى فيأسر النفوس جميعاً.

والوصف الآخر، هنا، لداوود عليه السلام أنه (قاريء أهل الجنة) كما يعبر عنه

---

١- خ١٦٠، ص٢٢٧.

٢- عبر الإمام عليه السلام عن داوود كما عبر عن موسى أيضاً بقوله صلى الله عليه وآله ولعلَّ هذا إشارة إلى أن آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله هم وحدهم المخصوصون بوجوب الصلاة عليهم مقرونة بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وأن هذا لا يشمل أهل بيت أي نبي آخر.

٣- منهاج البراعة ٩/٣٧٠ عن البحار عن أمالي الصدوق.

أيضاً كما لاحظت أنه (خطيب الجنة)، ولعلَّ المعني هنا أنه لسان الحمد والثناء لله تعالى في الجنة، أو أنه للصوت النافذ المؤثر وقد يكون لشيءٍ آخر. وبالمناسبة فقد ذكرتُ فيما كتبت أننا نلاحظ في حياة المعصومين عليهم السلام هذا النوع من التأثير في إسماع العدد الكثير بالكلام العادي الطبيعي، كما ينقل في حق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك في حق الإمام الحسين والإمام الرضا عليهما السلام. وأعتقد أن هذا نوع من الهيمنة والنفوذ والولاية على الكون وعلى هذه الذبذبات والموجات وما فيها من طاقة وأنها منجذبة لأصواتهم وخاضعة لهم.

ثم يذكر عليه السلام أن داوود عليه السلام (كان يعمل سفائف الخوص بيده) على ما هو معروف لدينا الآن، فقد جاء أن داوود عليه السلام حكم أربعين سنة وفي حديث له مع جبرئيل عليه السلام سأله ماذا يعاب مني؟ فأجابه يعاب منك أنك إنما تأكل من بيت المال، أي لا تأكل من كسب يدك، فأثر ذلك فيه أثراً كبيراً فكان يعمل سفائف الخوص بيده وهذا العمل في حدٍّ ذاته غاية في الزهد، ثم إنه كان لا يحب بيعها لأن ذلك اشتغالٌ آخر بالدنيا، فيسأل بعضهم أن يبيعها ويؤثر البائع بثمنها ثم يأكل منه قرص الشعير وهو طعام زهيد في قبال قرص البر مثلاً، وهذه مرحلة من حياة هذا النبي، ففي فترة أخرى كان عليه السلام يصنع في كلِّ يوم درعاً ويبيعه بألف، فصنع في سنة ٣٦٠ درعاً وباعها بـ ٣٦٠ ألفاً فكان بعد ذلك يأكل من صنع يده. وهذه المقدرة الخاصة تحدث عنها القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ولقد آتينا داوودَ منا فضلاً يا جبالُ أوِّبي معه والطير وألنا له الحديد ۞ أنِ اعملْ سابغاتٍ وقدِّر في السرد واعمل صالحاً إني بما تعملون بصير﴾[1]. وقال تعالى ﴿واذكرْ عبدَنا داوودَ ذا الأيدِ إنه أوَّاب﴾[2] وذو الأيد يعني صاحب القوة، فكان يأخذ الحديد يقطعه بيده دون حاجة إلى إعمال آلة، فيصنع منه درعاً، فلهذا جاء في الدعاء (يا من ألانَ الحديدَ لداوودَ). وبالمناسبة أيضاً، يستحب أن يكون السفر في يوم الثلاثاء لأنه يوم ألانَ الله فيه الحديدَ لداوود عليه السلام.

---

١- سورة سبأ - ١٠، ١١.

ويلاحظ هذا التفاوت في حياته (عليه السلام) بين الفقر والغنى ومع ذلك يبقى هذا الجوهر على ما هو عليه من التعلق با لله والانقطاع إليه.

ب – في جانب من جوانب العرفان والانقطاع إلى ا لله تعالى يستشهد الإمام (عليه السلام) بداوودَ (عليه السلام) قائلاً: [1]

(يا نوفُ، إنَّ داوودَ (عليه السلام) قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال: إنها لساعةٌ لا يدعو فيها عبدٌ إلاّ استجيب له، إلاّ أن يكون عشّاراً أو عريفاً أو شرطياً أو صاحب عرطبة أو صاحب كَوْبَة).

في هذه الفقرة الشريفة عدة أمور:

١– أنه نوع من الأسرار الخاصة يعرفها أهل التعلق والولَـهِ والعشق في ا لله سبحانه وتعالى، أنهم يعرفون ساعات المناجاة، وقد ذكر أن هذه الساعة التي أشار إليها الأمير (عليه السلام) هي السحر، بعد منتصف الليل.

٢– ورد في خصائص نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن له مع ا لله تعالى حالات خاصة لا صلة فيها بأي ملك وإنما ارتباط مباشر خاص به، فيبدو أن للأنبياء (عليهم السلام) ساعات مناجاة معينة يعرفونها، وأمير المؤمنين (عليه السلام) واقف على هذه الأسرار، وهو يفيضها على الأوعية القابلة لتحمل ذلك، مثل نوف البكالي الذي يبدو أن له خصوصيات مع الأمير (عليه السلام) في المواعظ التي يلقيها، فكان على درجة عالية من الترفع عن الدنيا والإقبال على ا لله تعالى، ولهذا أفاض عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) من الأسرار كما كان ذلك في حق الصفوة من أصحابه، فقد أثر عنه (عليه السلام) إخباره المغيّبات لرشيد الهجري وميثم التمار وسلمان المحمدي (رضي الله عنهم).

٣– أن هذا ترغيب للعبد أن يبتهل إلى ا لله تعالى في عموم الأوقات وفي الأوقات المخصوصة كليالي الجمعة وآخر ساعة من يوم الجمعة قريب الغروب وفي

---

٢– سورة ص – ١٧.

١– الكلمة رقم١٠٤، ص٤٨٦.

السحر وبين الطلوعين، فإنها أوقات مناجاة وإقبال على ا الله تعالى.

٤- أن فيه أسلوباً تربوياً معيناً يهدف أمير المؤمنين ﷺ من ورائه أن يبعد الإنسان عن جملة من المهن الوضيعة، وذلك بأنه ذكر أنها نقائص تحول دون استجابة الدعاء، وهذا هو ما نهجه الإمام السجاد ﷺ في أسلوبه التربوي عن طريق الدعاء، فيذكر أمير المؤمنين ﷺ هنا أن هذه النقائص وهذه المهن هي أن يكون المرء عشاراً وهو من يأخذ أعشار المال من الناس في الجمرك، والثاني هو الجاسوس على الناس الذي يعمل لصالح الحاكم الجائر، والثالث هو الشرطي والمقصود به من يكون عوناً للحاكم الجائر، والرابع صاحب العرطبة وهي الطنبور، ولعلها عموم اللعب بشيء محرم، والخامس صاحب الكَوْبة وهي الطبل. إذن هذه أمور ذكرها أمير المؤمنين ﷺ عن داوود ﷺ في معرض الحديث عن المناجاة والدعاء، ثم ذكر بعض موانع الدعاء في أسلوب تربوي يهدف من ورائه أن يتنزه العبد عنها.

## ثانياً: سليمان ﷺ

قال أمير المؤمنين ﷺ: [١]

(فلو أن أحداً يجدُ إلى البقاء سلّماً أو لدفعِ الموتِ سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داوود ﷺ الذي سخّر له مُلْكُ الجنِّ والإنس، مع النبوة وعظيمِ الزلفة. فلما استوفى طعمته واستكملَ مدته، رمته قسيُّ الفناء بنبالِ الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطلة، وورثها قوم آخرون، وإن لك في القرونِ السالفةِ لعبرة).

ذكر القرآن الكريم ما يتعلق بشأن ملك سليمان ﷺ، كما يمكن الرجوع في ذلك إلى ج١٤ من البحار، وما يعنينا هنا عدة أمور:

---

١- خ١٨٢، ص٢٦٢.

١ - أن سليمان (عليه السلام) وهو نبي الله، مظهر أعظم لسلطان الله الأعظم وغناه وقدرته. واجتماع هذه الأمور فيه لا يعني جانب تفضيله على بقية الأنبياء كنبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، بل يعني خصوصية لنبي الله سليمان (عليه السلام) وفرق بين الأفضلية والخصوصية. وفي جانب آخر يجب أن لا يتسرب لأذهاننا أن ما نراه من غنى الكافرين هو بسبب كرامتهم على الله تعالى، بل إن الرزق يشمل الجميع وللسعي مجال في ذلك، وقد يحرم المسلم ويعطى الكافر للابتلاء أو لحكمة يريدها الله تعالى.

٢- أن هذا السلطان وهذه الدنيا التي أعطيت لسليمان (عليه السلام) لم تنقص من قدره شيئاً، فهو النبي الزاهد المقرَّب من الله تعالى.

٣- أن هذه القدرة وهذا السلطان لسليمان (عليه السلام) لا يحيط به عقل بشر ولا يمكن أن يتصور لبشر لولا أن الله تعالى خالق البشر هو الذي مكنه، فهو يسخر الجن والشياطين والإنس والرياح ويخاطب الحيوانات وما بقي أحد إلا وهو تحت قبضته. ولكن كل ذلك كان تمكيناً من الخالق عز وجل. ولذلك عندما تتدخل القدرة الإلهية لتعطيل قدرة سليمان (عليه السلام) أو هدمها ينقطع كل شيء لأنها قوة ومدد من الله تعالى وليست ذاتية. (فلما استوفى طعمته، واستكمل مدته، رمته قسيُّ الفناء بنبال الموت). نعم، هذا السلطان الذي يعجز عن تصوره فقط كل متصور مهما بلغ من قوة الخيال، يسميه أمير المؤمنين (عليه السلام) (طعمة) أي أنه قوت قليل حقير، وكما جاء في (البحار) أنه لم يهنأ بيوم راحة ونعيم أبداً، وفي يومٍ ما أراد أن يخلو كما يريد، فأمر غلمانه وحشمه بتغليق أبواب قصره وأن لا يدخل عليه أحد، وإذا بداخل يدخل عليه! فقال له سليمان: من الذي أدخلك؟ قال: أدخلني رب القصر! قال: ومن رب القصر؟ قال: الذي وكّلني بقبض روحك! وانتهى كل شيء.. وإذا بهذا الذي تخافه الجنِ والشياطين والطير والإنس ﴿فلما قضينا عليه الموتَ ما دَلّهم على موته إلاّ دابةُ الأرضِ تأكلُ منسأتَه﴾ أي تأكل عصاه حتى نخرتها ﴿فلما خرَّ تبينتِ الجنُّ أن لو كانوا يعلمونَ الغيب﴾ بموته ﴿ما

لبثوا في العذابِ المهين﴾[1] أي ما بقوا مملوكين يخافونه حتى بعد موته وهم لا يعلمون أنه ترك هذه الدنيا.

## ثالثاً: ﴿ومَنْ عندَهُ علمُ الكتاب﴾

قال تعالى: ﴿قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك﴾[2]. فهذا الذي عنده علم (من) الكتاب وهو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام استطاع أن يأتي بعرش بلقيس لسليمان عليه السلام قبل أن يرتد إليه طرفه، وهذه معجزة خارقة أتى بها آصف بن برخيا وعنده علم (من) الكتاب فقط أي عنده شيء من علم الكتاب، وتذكر الروايات أنه عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وأما أمير المؤمنين عليه السلام فعنده اثنان وسبعون جزءً من الاسم الأعظم وهو الذي عنده ﴿علم الكتاب﴾ [3] فكيف لا تصح منه وتثبت له كل معجزة خارقة؟ وكيف لا يكون أمير المؤمنين وأئمة الهدى عليهم السلام هم أصحاب الولاية والإمامة العامة التامة المطلقة؟ وكيف لا يكونون أعلى مراتب وأسمى وأكثر عطاءً وإعجازاً من جميع الأنبياء باستثناء النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله؟

## رابعاً: أمير المؤمنين عليه السلام: سيد الزاهدين

تقول الروايات أن سليمان عليه السلام كان يطعم أضيافه الطعام الجيد من خبز البر واللحم وغيره، أما هو مع عظيم ملكه فقد كان يأكل خبز الشعير غير منخول، وهذا ما كان عليه سيد الزاهدين علي بن أبي طالب عليه السلام بل أكثر من ذلك فقد كان يكسر خبزه اليابس بركبته ويشرب ماء ويمسح بطنه ويحمد الله

---

١- سورة سبأ - ١٤.

٢- سورة النمل - ٤٠.

٣- الكافي ١/٢٢٩-٢٣٠.

تعالى، وهذا نهاية ما يتصور من الإعراض عن الدنيا.

## طريفة وموعظة

يروى أن سليمان عليه السلام سمع عصفوراً يخاطب عصفورته قائلاً لها: لماذا تمتنعين مني ولو شئتُ لأخذت قبة سليمان ورميتها في البحر؟! فتبسم سليمان من قوله والتفت إليه قائلاً: أوَ تطيق أن تفعل ذلك؟ قال: لا يا رسول الله، ولكن المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته، فالتفت سليمان عليه السلام للعصفورة وقال لها: لماذا تمنعين نفسك منه وهو يحبك؟ فقالت العصفورة: إنه لا يحبني، وإنه لمدعي في حبي، ولو كان يحبني لما أحب أحداً معي، تقول الرواية فأثر ذلك في قلب سليمان أثراً بليغاً وبكى بكاءً شديداً واعتكف عن الناس أربعين يوماً داعياً سائلاً الله تعالى أن يفرغ قلبه لحبه. [1]

---

١- الكنى والألقاب ٣٥٧/١.

# النبي الأعظم محمد ﷺ

## نشأته الأولى

أولاً: مصادر معرفة النبي ﷺ

ثانياً: طهارة الأصلاب والأرحام

ثالثاً: (كريماً ميلادُه)

رابعاً: (خيرُ البريةِ طفلاً)

# مدخل

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿الذي يراكَ حينَ تقوم ۞ وتقلبكَ في الساجدين﴾[1]

الحديث في هذا الدرس الشريف بداية الأحاديث عن النبي ﷺ فنتحدث -إن شاء الله تعالى- في هذا الدرس والدروس القادمة عن مراحل حياة النبي ﷺ مستعرضين نشأته الأولى، وعصر الجاهلية المظلم، وما أحدثته دعوة النبي ﷺ من نور أضاءت له الآفاق، وعموم أدوار حياته بما أفاض به تلميذه، وحبيبه وربيبه ونفسه أمير المؤمنين عليه السلام.

## أولا: مصادر معرفة النبي ﷺ

أ - كتابُ الله الكريم

وقد افتتحنا الحديث بهذه الآية المباركة حول نشأته الأولى، بالنظر إلى أن القرآن الكريم هو المترجم الأول الصادق في الحديث عن النبي ﷺ ومَنْ أصدقُ وأعلم من الله تعالى بنبيه ﴿الا يعلمُ من خلقَ وهو اللطيفُ الخبير﴾[2]. ومن ذلك أن أَلَّفَ محمد عزة دروزة كتاباً حول (سيرة الرسول) مستقى ومنتقى من الآيات الكريمة فقط.[3]

تتحدث الآية المباركة كما نقل المفسرون عن الأئمة عليهم السلام أن النبي ﷺ كان طاهراً مطهراً في عموم أدوار حياته، فقد جاء في مجمع البيان لأمين الإسلام الطبرسي رضي الله عنه: "وقيل معناه وتقلبك في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى

---

١- سورة الشعراء - ٢١٨، ٢١٩.

٢ - سورة الملك - ١٤.

٣ - ذكر ذلك الشيخ السبحاني في (معالم النبوة في القرآن الكريم)، ص٥٣٩.

أخرجك نبياً.. عن ابن عباس، في رواية عطاء وعكرمة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله صلوات الله عليهما، قالا: في أصلاب النبيين نبي بعد نبي، حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (ع)"[1]

ب – ترجمةُ أميرِ المؤمنينَ علي لرسولِ اللهِ الأعظمِ محمد (صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما):

وحسب ما نلاحظ وكما جاء في الآثار أن المعرفة الصادقة إنما تؤخذ من هذه الطرق الموثوق بها. فإن شخصية الرسول العظيمة تشتمل على أسرار كبيرة لا يمكن أن يحيط بها أحد إحاطة ظلّهِ ونفسِهِ عليٌ بها، وقد جاء عنه ﷺ مخاطباً علياً عليه السلام: (ولا يعرفُني إلاّ اللهُ وأنت)[2]. وقد كان الإمام عليه السلام لهجاً بالحديث عن رسول الله ﷺ ولهذا فلنعايشه في جميع أدوار حياته في ظلال نهج البلاغة العظيم.

## ثانيا: طهارة الأصلاب والأرحام

وقد مرَّ هذا الحديث عن عموم الأنبياء عليهم السلام [3] ولكن نذكره هنا حسب مقتضى نقاط البحث، ولأنه جدير بأن تتمثل هذه الناحية وهذا الكمال في أجلى مصاديقها وأروع صورها في شخص خاتم الأنبياء ﷺ.

فقد قال عليه السلام: [4]

(حتى أفْضَتْ كرامةُ اللهِ سبحانهُ وتعالى إلى محمدٍ ﷺ فأخرجه من أفضلِ المعادنِ منبتاً، وأعزِّ الأُروماتِ مغرساً؛ من الشجرةِ التي صدَعَ منها أنبياءَهُ وانتجبَ

---

١ – مجمع البيان، للطبرسي ٣٢٣/٧.

٢ – مناقب ابن شهرآشوب ٢٦٧/٣–٢٦٨.

٣ – في الحديث عن الخطبة رقم٩٤، ص١٣٩، في درس (الأنبياء).

٤ – خ٩٤، ص١٣٩.

منها أُمَنَاءَهُ، عترتُه خيرُ العتر، وأسرتُه خير الأسر، وشجرتُه خير الشجر؛ نبتت في حرم، وبسقت في كرَم... فهو إمامُ من اتقى...).

الأرومات: جمع أرومة، وهي الأصل، فأصوله ﷺ هم شجرة الأنبياء عليهم السلام، وقد كرَّر هذا المعنى في قوله عليه السلام:[1]

(مستقرُّه خيرُ مستقر، ومنبته خيرُ منبتٍ، في معادنِ الكرامة...). كما أكد ذلك في موطن آخر بقوله عليه السلام:[2]

(أسرتُهُ خيرُ أسرة، وشجرتُهُ خيرُ شَجَرَة، أغصانُها معتدِلة، وثمارُها متهدِّلة). أي متدلية دانية القطاف. وتلاحظ عناية الباحثين كثيراً بذكر نسب النبي وقد ذكر هو ﷺ: (أنا دعوةُ أبي إبراهيم)[3] أي حينما دعا -كما مرَّ- بأن يهبه الله تعالى الذرية الصالحة، فهو ينحدر من سلالة الأنبياء عليهم السلام عن طريق إسماعيل بن الخليل إبراهيم عليهما السلام. وفي حديث عنه ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريش من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[4]. فأسرته إذن خير الأسر، سواءً فسرناها بإسماعيل وإبراهيم عليهما السلام أو فسرناها بعبدالله وعبدالمطلب وغيرهم من أشراف بني هاشم.

ومن ذلك قوله عليه السلام:[5]

(وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، وسيدُ عبادِه، كلما نسخَ اللهُ الخلقَ فرقتينِ جعله في خيرهما، لم يسهِمْ فيه عاهر، ولا ضربَ فيه فاجر).

---

١ – خ٩٦، ص١٤١.

٢ – خ١٦١، ص٢٢٩.

٣ – مرَّ علينا هذا الحديث بكامله في الدرس حول إبراهيم عليه السلام، وقد رواه الشيخ في أماليه ورواه ابن المغازلي في مناقبه، نقل ذلك السيد السبزواري في (مواهب الرحمن) ٢/٢٠.

٤ – نقله الشيخ محمد جواد مغنية عن (صحيح مسلم) في كتابه (في ظلال نهج البلاغة) ٣/٢٥٩.

٥ – خ٢١٤، ص٣٣٠.

وما أروع حديثه عليه السلام: [1]

(اختارَهُ من شجرةِ الأنبياء، ومشكاةِ الضياء، وذؤابةِ العلياء، وسرَّةِ البطحاء، ومصابيحِ الظلمةِ، وينابيعِ الحكمة). ومشكاةُ الضياء هي كوَّةٌ يوضع فيها المصباح، والذؤابة هي الناصية أو منبتها من الرأس والمعنى قمة العلياء.

## ثالثا: (كريماً ميلادُه)

قال عليه السلام: [2]

(مأخوذاً على النبيين ميثاقُه، مشهورةً سِمَاتُه، كريماً ميلادُه).

نلاحظ في هذه الكلمات أمرين مهمين:

١ - قوله (مأخوذاً على النبيين ميثاقُه): قد يكون في ذلك ارتباط بعالم الذر وما كان فيه من أخذ الميثاق، وليس لنا غرض هنا في إفاضة الحديث في هذا المجال. وقد يكون بعنوان ما بشَّرت به الرسل الكرام عليهم السلام من أمر النبي صلى الله عليه وآله وأنهم يعلمون أن جهادهم ودعوتهم هي تمهيد لدعوته الخاتمة المباركة، قال تعالى ﴿ومبشِّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمُهُ أحمد﴾[3]

٢- (كريماً ميلاده): وذلك لشرف المولود وآثار الخير والبركة المترتبة على وجوده الشريف الذي يغير الدنيا فتشرق بتعاليمه وهديه وإخباره عن ربه.

---

١ - خ١٠٨، ص١٥٦.

٢ - خ١، ص٤٤.

٣ - سورة الصف - ٦.

## رابعاً: (خيرَ البريةِ طفلاً)

قال (عليه السلام): [1]

(حتى بَعَثَ الله محمداً (صلى الله عليه وآله) شهيداً، وبشيراً، ونذيراً، خيرَ البريةِ طفلاً، وأنجبَها كهلاً). وهذا تعبير مهم ولافت للنظر باعتبار أن النبي (صلى الله عليه وآله) في دوره الأول في عالم الوجود يوصف بهذا الوصف العظيم وأنه خير البرية وله الأفضلية عليهم منذ أن كان طفلاً، وهذا ليس ثناء وحسب بل إنه الواقع والذي لمسه الناس في شخصه (صلى الله عليه وآله) ولذلك حينما نرجع إلى السيرة، وإن كانت لا تسعفنا بتفصيل وافٍ عن أدواره الأولى إلا أننا نجد حياته الأولى مع مرضعته حليمة السعدية وامتيازه في أخلاقه بنحو لافت جداً، فهو يود أن يخدم وأن يكلَّف بما يكلف به صبيتها وينأى عن الاستبداد، وينأى عن اللعب واللهو الذي كان عادة الصبية، يضاف إلى ذلك بركات وجوده مع مرضعته والخير الذي نالته به، كل هذا وهو بعد طفل، وكذلك رحمته الواسعة وحبه للخلق وقد كان معاصروه يعرفونه بالصادق الأمين، فهو يحق خير البرية طفلاً.

والنقطة الأخرى المهمة في حياته (صلى الله عليه وآله) والتي تعتبر من الأسرار التي ما كان ليكشف عنها غير أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: [2]

(ولقد قرنَ الله به (صلى الله عليه وآله) من لدُنْ أنْ كان فطيماً أعظمَ مَلَكٍ من ملائكتِه، يسلكُ به طريقَ المكارم، ومحاسنَ أخلاقِ العالم، ليلَهُ ونهارَه). فهذه جوانب روحية وإلهية خاصة لا يحيط بها إلاّ من كان ظلاً للنبي بل هو نفسه، ملازماً له في أدوار حياته الأولى، ولهذا جاء عنه (صلى الله عليه وآله): (لقد صلَّتْ الملائكةُ عليَّ وعلى علي سبعَ سنينَ، وذلك أنه لم يصلِّ معي رجلٌ غيره)[3]. فالله سبحانه وتعالى هو المسدد والملهم لرسوله الكريم على يد أعظم ملكٍ من ملائكته من لدن أن كان

---

١ – خ١٠٥، ص١٥١.

٢ – خ١٩٢، ص٣٠٠.

٣ – بحار الأنوار، ج٤٠، ص٧٧.

فطيماً. وتعبير الإمام عليه السلام (قرنَ بـه) أي جعلـه ملازمـاً لـه (ليلـه ونهـاره). وهـذا المَلَك ليس أمين الله جبرئيل عليه السلام بل الروايات الواردة أنه أعظم منه وأنه كان مع الأئمة عليهم السلام أيضاً، يوصل لهم تسـديد الله تعـالى وتعاليمـه[1]. وقـد أشـرت فيمـا مضى أن ذلك لا يعني أصلاً فضل المَلَك على النبي أو الإمام، فالنبي أشرف الخلـق، والإمام يأتي في الفضل بعده، وإنما هذا الملك هـو تكريـم للنبي أو الإمـام بإرسـال موفَدٍ إليهمن قبل الله تعالى، وقد قال صلى الله عليه وآله: (أنا أديبُ اللهِ وعليٌّ أديبي)[2]

وقوله: (ومحاسن أخلاق العالم) ليس يعني الأخلاق التي كان العـالم يتصـف بها، فالنبي أشرفهم وأفضلهم، وإنما المقصود الأخـلاق الإلهيـة الـتي أراد الله تعـالى للعالم أن يتصف بها ويبلغ ذروتها فبها صلاح الدنيا والآخرة.

إذن فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله حتى قبـل البعثـة وقيامـه بـأمر الدعـوة كـان قمـة الكمال البشري فلا يمكن أن يصدر منــه مـا يتنـافى والكمـال، ولا دور لبعثتـه في كماله بل كماله ورعاية الله تعالى له منذ نشأته الأولى، وقد أبـدع الإمـام عليه السلام في إيجاز هذه النواحي العظيمة في هذه الكلمات.

---

١ – عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدا لله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ (*) قال خلق من خلـق الله عـزَّ وجـلَّ أعظـم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسـدده وهـو مـع الأئمـة مـن بعـده. الكـافي ٢٧٣/١. * سورة الشورى – ٥٢.

٢ – البحار ٢٣١/١٦.

# النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

## ما قبل البعثة

أولاً: (وأنجبها كهلاً)

ثانياً: بماذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعبد قبل البعثة؟

ثالثاً: قال أمير المؤمنين عليه السلام

## مدخل

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

**(كنتُ نبياً وآدمُ بين الطينِ والماء)**

الحديث الثاني عن النبي ﷺ يدور حول فترة أخرى من حياته المباركة وهي التي تسبق عهد البعثة النبوية الشريفة، وبطبيعة الحال فإن دائرة بحثنا هي ضمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه العظيم.

## أولاً: (وأنجبَها كهلاً)

في هذا المجال يقول عليه السلام: [1]

(خيرَ البريةِ طفلاً، وأنجَبها كهلاً):

معنى الكهل في اللغة: يراد به تحديد فترة زمنية وقد اختلف فيها فهناك قول أن ما جاوز الثلاثين فهو زمن الكهولة، وهذا خلاف لما نعهد. وقول آخر أنه ببلوغ المرء سن الأربعين يكون كهلاً. وقول ثالث أن ما بين سن الرابعة والثلاثين إلى الحادية والخمسين هي فترة الكهولة. وقبل الكهولة تكون فترة الشباب، وبعد الكهولة تأتي فترة الشيخوخة ثم فترة أرذل العمر.

فهنا بعد أن قال الأمير عليه السلام بأن الرسول ﷺ هو خير الناس وهو طفل، فإنه يقول هنا بأنه أفضلهم أيضاً في فترة الكهولة فهو في هذه الفترة التي تشتد فيها الغرائز والرغبات ومع ذلك يكون أنجب الناس. والأنجب بمعنى الأفضل وبمعنى الأكرم.

---

١ - خ١٠٥، ص١٥١.

## ثانياً: بماذا كان النبي ﷺ يتعبد قبل البعثة؟

ورغم أن هذا ليس له فائدة عملية، إلا أننا نشير إليه من باب الفائدة العلمية. وقبل هذا يطرح سؤال وهو: هل يجب أن يتعبد النبي ﷺ قبل البعثة؟

يميل البعض إلى أنه لا يجب أن يتعبد النبي ﷺ بشريعة ما قبل البعثة على الإطلاق، وفي قبال هذا الرأي هناك رأي يقول أن فرض عدم تعبد النبي قبل البعثة لا يتلاءم بل يتنافى مع مقام النبي وعظمته وكونه لسان ومثال الشكر لخالقه والمنعم عليه، وشكرُه لخالقه يتمثل بنحو أكمل من طريق العبادة. أضف إلى ذلك الروايات الواردة في هذه الناحية، ومنها ما افتتحنا به الحديث من وصفه بالنبي قبل خلق آدم عليه السلام فلا يحسن بعد ذلك أن لا يمارس عبادة قبل البعثة، وقد جاءت الروايات أنه ﷺ كان يصلي ويحج ويمارس سائر العبادات.

ولكن بماذا كان يتعبد؟ هل بتشريع نوح أو إبراهيم أو عيسى أو غيرهم عليهم السلام؟

اختلفت الأقوال كثيراً عند السنة والشيعة في هذه النقطة، وملخص القول عند الإمامية هو ما يميل إليه ثقة الإسلام المجلسي رحمه الله الذي أشبع الموضوع بحثاً وإيراداً للروايات في بحار الأنوار[1]. وخلاصة رأيه الشريف أن النبي ﷺ كان يتعبد قبل البعثة بشريعته هو لأنه كان نبياً قبل البعثة بكثير، وأنه كان يلِمُّ بغار (حراء) كل عام ويبقى شهراً كاملاً يعبد الله تعالى فيه، وكان يطعم فيه من يأتيه من المساكين فهو محل حاجة الناس وتوجههم، وهو رحمة لهم يرى نفسه مسؤولاً عنهم حتى قبل البعثة. وبما يملكه الرسول الأعظم ﷺ من معرفة وعلم وعقل فائق يمكنه أن يعبر عن شكره لله تعالى بطرق أخرى؛ إلا أنه من لطف الله تعالى به وحبه له زوّده بهذه العبادات وعلمه كيف يناجيه ويشكره، فيتلقى عباداته من الله تعالى ويمارس عبادةً عقليةً وقلبيةً وجسدية.

---

١ - ج١٨، ص٢٧٨.

## ثالثاً: قال أمير المؤمنين عليه السلام

أ- مرَّ علينا الكلام حول قول أمير المؤمنين متحدثاً عن النبي (عليهما وآلهما السلام): (ولقد قرنَ الله به صلى الله عليه وآله من لدُنْ أنْ كان فطيماً أعظمَ مَلَكٍ من ملائكتِه، يسلكُ به طريقَ المكارم، ومحاسنَ أخلاقِ العالم، ليلَهُ ونهارَه)[1]. ولا شك أنه مع هذه العناية الكبيرة به كان يتحفه بمختلف المعارف فلا يعقل أن تكون فترة ما قبل البعثة خالية من الأحكام الشرعية والتعبد بها، بل جاءت الروايات أن هذا المَلَك الموكل بالنبي كان يخاطبه وهو بعدُ شاب بقوله (السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا رسول الله).

هذا والجمل الأخرى تشرك علياً عليه السلام في هذه الكرامة وأن الرسول صلى الله عليه وآله كان يأمره بالاقتداء به فيمارس معه العبادات، وكان للإمام عليه السلام تمام المنزلة والمكانة (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) أي أنه لو جاز أن يكون نبي بعد النبي لكان عليٌّ، وهذا بعيد عن الغلو بل هو عين الحقيقة فمقام الإمامة الحاصلة لأمير المؤمنين عليه السلام فوق مقام النبوة، وقد تحدثنا سابقاً أن مقام الإمامة التي نالها إبراهيم عليه السلام هو بعد أن نال مقام النبوة. وأما كيفية صلاته صلى الله عليه وآله قبل البعثة فهذا يرتبط بكونه يتعبد بشريعته فتكون صلاته هي التي شرعها للناس بعد ذلك، وإلاَّ فمن المحتمل أن تكون له عبادات خاصة قبل البعثة المباركة.

ب- وقال عليه السلام:[2]

(اللهم إني أولُ من أناب، وسمعَ وأجاب، لم يسبقني إلاَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة): وفي هذا حكاية لما قلنا، ويمكن تطبيقه على ما قبل البعثة وأنه صلى الله عليه وآله كان يتعبد بالصلاة قبل الكل ثم كان علي عليه السلام هو الشخص الثاني الذي عبد الله تعالى. وقد جاءت الروايات صريحة بذلك، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (صلت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ بن أبي طالب سبع سنين وذلك أنه لم يكن من الرجال

---

١ - خ١٩٢، ص٣٠٠.

٢ - خ١٣١، ص١٨٩.

أحد يصلي غيري وغيره)، إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة.

# النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

## البعثة المباركة

تعريف البعثة

أولاً: مهمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثانياً: دعامة أمره وركن دعوته

ثالثاً: البلاء الحسن

## مدخل

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿هو الذي بَعَثَ في الأميينَ رسولاً منهُمْ يتلُو عليهم آياتِهِ ويزَكّيهِمْ ويعلّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين﴾[1].

ستكون أحاديثنا المقبلة -إن شاء الله تعالى- حول بعثة النبي ﷺ وستكون في الموضوعات التالية:

١ - البعثة النبوية الشريفة وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام حولها.

٢ - الجاهلية، وكلمات الإمام عليه السلام في تصوير عهد ما قبل البعثة المباركة.

٣ - النجاح العظيم الذي حققه النبي ﷺ عقيب قيامه بهذه الدعوة العظيمة.

٤ - درس مهم نستفيده في حياتنا من هذه الأحاديث المباركة.

وسيكون هذا الدرس حول الموضوع الأول (البعثة النبوية الشريفة).

## تعريف البعثة

البعثة كمصطلح ديني تعني قيام النبي ﷺ بدعوته الإلهية من قبل ربه تبارك وتعالى، وإظهار أمر دينه وتبليغ رسالة ربه. ويوم البعثة هو السابع والعشرون من شهر رجب. وقد جاء في فضلها وشرفها حديث عن الإمام الجواد عليه السلام: (إن في رجب ليلةً هي خيرٌ للناسِ مما طلعتْ عليه الشمس، وهي ليلةُ السابع والعشرين منه؛ نبِّيءَ رسولُ اللهِ ﷺ في صبيحتِها)[2]

---

١ - سورة الجمعة - ٢.

٢ - مفاتيح الجنان، الشيخ القمي، ص١٤٨.

ونقاط البحث كالتالي:

## أولاً: مهمات النبي صلى الله عليه وآله

قال أمير المؤمنين عليه السلام: [1]

(إلى أنْ بعثَ اللهُ سبحانهُ محمداً رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله لإنجازِ عِدَتِهِ، وإتمام نبوّتِه، مأخوذاً على النبيينَ ميثاقُه...) فبمقتضى إنجاز الوعد الإلهي بُعِثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وكأنما هذا المبعث هو تمام الحلقة والبشارة والتكميل الإلهي لرسالة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. وعبر عنها بأنها إتمام لنبوة الله أي لولاها لكانت النبوة ناقصة والعروة منفصمة. ومن تمام الفضل أن يختم الله هذه السلسلة المباركة بخير الأنبياء وأشرف المرسلين صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين.

وقال عليه السلام عن هذا الحدث الأعظم: [2]

(حتى أورى قبساً لقابسٍ، وأنار علَماً لحابس، فهو أمينُكَ المأمون، وشهيدُكَ يوم الدين، وبعيثُكَ نعمةً، ورسولُكَ بالحقِّ رحمة) [3].

فهو المأمون من قبل الله تعالى على التنزيل وهذه رتبة سامية أن يكون الحامل للقرآن العظيم بما يحويه من آثار الله وعلمه وأسراره، وبما يحمل من هداية للبشر. وهو الشهيد، والشهادة مهمة كبيرة جداً تعني الحضور والمراقبة لعمل الخلق ومدى اتباعهم للحق. وهذه المهمة أيضاً من اللطف الإلهي أن تكون هذه الرحمة المهداة وهذا النور قائماً بين أظهر الناس يرعى شؤونهم ويخط لهم درب السعادة، ويتلافى أخطاءهم ويستدرك عليهم، وتلك نعمة كبيرة. قال تعالى: ﴿يا أيها النبي

---

١ - خ١، ص٤٤.

٢ - خ١٠٦، ص١٥٣.

٣ - يمكن مراجعة نهج البلاغة، ص٦١٣ للاطلاع على معاني بعض الكلمات الواردة في هذا النص الشريف (الكلمات رقم ١٤٠٩ إلى ١٤١٢).

إنا أرسلناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾[1]. فهو يشهد لهم في الدنيا ويشهد لهم وعليهم في الآخرة. وقوله (عليه السلام) (وبعيثك نعمة) إشارة إلى أن بعثة النبي في حد ذاتها نعمة جليلة من الله تعالى، ورحمة واسعة للعباد.

وقال (عليه السلام): [2]

(حتى بعثَ الله محمداً (صلى الله عليه وآله) شهيداً وبشيراً ونذيراً): وينبغي الالتفات إلى أن هذه ليست فقط صفات للنبي، بل هي في واقعها مهمات أُوكلت إليه فقام بها خير قيام.

وقال (عليه السلام) حول بعض مهام هذه الدعوة: [3]

(فبعثَ الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحقِّ ليخرجَ عبادَه من عبادةِ الأوثانِ إلى عبادتِه، ومن طاعةِ الشيطانِ إلى طاعته...): وفي الواقع يمكن أن يقال أن هذا هو السر، والأمر الأهم في البعثة المباركة، فإن الإنسان ما لم يعبد الله سبحانه وتعالى ويهتدِ بهداه فإنه يعبد الوثن، لأنه إما الله وإما الشيطان، سواءً كان ذلك الوثن متمثلاً في صنم يصنعه الإنسان بيده من حجارة أو خشب ثم يسجد له ويقدم له القرابين، أو كان هواه يتبعه، أو كانت الدنيا يعبدها ويعبد ملوكها، فكل تلك أوثان مآل صاحبها إلى الهلاك، ولا منجى ولا مخلص إلا بعبادة الله تعالى. ولهذا لاحظوا التعبير: (ليخرجوا العباد) فهم في مأزقٍ وبلاء مبرم وهوّةٍ سحيقة، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، كما سنذكرُ ذلك في حديث لاحق عن الجاهلية، إن شاء الله تعالى.

وأخيراً قال (عليه السلام) معمماً دور بعثة الرسل: [4]

---

١ – سورة الأحزاب – ٤٥.

٢ – خ١٠٦، ص١٥١.

٣ – خ١٤٧، ص٢٠٤.

٤ – خ١٨٣، ص٢٦٥.

(وبَعَثَ إلى الجنِّ والإنسِ رسلَه، ليكشفوا لهم عن غطائِها، وليحذروهم من ضرَّائِها، وليضربوا لهم أمثالَها، وليبصروهم عيوبَها، وليهجموا عليهم بمعتبرٍ من تصرُّفِ مصاحِّها وأسقامِها، وحلالِها وحرامِها، وما أعدَّ الله للمطيعينَ منهم والعصاةِ من جنةٍ ونار وكرامةٍ وهوان...). والرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء وسيدهم وقد تجلت في نبوته هذه المهمات وهذه الجامعية بنحو أكمل.

## ثانياً: دعامة أمره وركن دعوته

للرسول الأكرم جنبتان: جنبة مع الخلق، مع الناس، وجنبة مع الحق، مع الله تبارك وتعالى. وهذا معنى جامعيته للنبوة والرسالة كما تقدم. فالنبوة هي جنبته مع الحق، فهو يتلقى الوحي منه تعالى بطريق الأمين جبرئيل عليه السلام بل إن له ما هو فوق ذلك، فله مع خالقه مناجاة وخلوات وانقطاعات خاصة بغير واسطة ملَك ووحي. وهذه الناحية هي إحدى دعائم أمره.

ومن أركان دعوته القرآن الكريم الذي ﴿فيه تِبيانٌ لكلِّ شيء﴾ ولا يُطلَبُ بعده شيء. وقد أحاط رسول الله ﷺ بأسراره ومعارفه.

وفي هذا المجال تحدث الإمام عليه السلام: [1]

(إنَّ الله بعثَ رسولاً هادياً بكتابٍ ناطقٍ، وأمرٍ قائم): فالقرآن الكريم إذن هو الدعامة الأولى للدعوة. وقد عبر عنه الإمام عليه السلام بأنه (ناطق) وهذا خلاف ما يعهد من الروايات من التعبير عن القرآن الكريم بأنه كتاب الله الصامت، والإمام كتاب الله الناطق لأنه ترجمان للقرآن يخبر عنه ويجسد تعاليمه عملياً، وهذا التعبير هنا عن القرآن الكريم بأنه (ناطق) قد يكون لعدة اعتبارات. منها، أنه ناطق بالنسبة للنبي، وصامت بالنسبة لغيره. وذلك أن النبي محيط بما فيه من علم فتنطق حروفه وكلماته له بكل ما فيه من أسرار وحكم، بينما هو صامت بالنسبة

---

١ - خ١٦٩، ص٢٤٣.

للآخرين لعدم إحاطتهم بمعارفه وأسراره ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾[1]. يضاف إلى ذلك أن النبي سمع الوحي بالقرآن قبل أن يكتب فهو في حقه ناطق بهذا الاعتبار أيضاً. ولعل قوله (وأمر قائم) إشارة إلى أن سائر تشريعات الإسلام أمور معلومة واضحة جلية عند النبي ﷺ.

وقال عليه السلام: [2]

(ابتعثهُ بالنورِ المضيءِ، والبرهانِ الجلي، والمنهاجِ البادي، والكتابِ الهادي):

وهذه إشارة إلى ركائز الدعوة سواءً كانت هذه الصفات مترادفات تشير إلى القرآن الكريم، أو كانت تعني ما زُوِّدَ به الرسول الأعظم ﷺ من قوة الحجة وتمام البرهان على دعوته العظيمة، وهذه الحجة هي الركيزة الأخرى في دعوته وأمره، لأن من يتكفل بهذه الدعوة الكبيرة ويدعي أنه وحده المبعوث من قبل الله تعالى إلى جميع الأمم، لا بد وأن يكون له من البينات والحجج الظاهرة ما يثبت دعواه. فالناس أشتات فيهم العقلاء والمفكرون وعلماء الديانات السابقة من اليهود والنصارى لهم علم بالكتب السماوية ومعرفة بالأديان، ولديهم احتجاجات لا بد وأن يظهر عليها بحججه القوية الواضحة (والمنهاج البادي والكتاب الهادي).

ولذلك قال عليه السلام في نفس الخطبة: [3]

(أرسلهُ بحجةٍ كافية، وموعظةٍ شافية، ودعوةٍ متلافية...): فهنا يجمع الإمام عليه السلام جملة من دعائم أمر البعثة وما كان عليه النبي ﷺ من عدة ومدد إلهي في هذا الأمر.

ومن هذه النصوص قوله عليه السلام: [4]

---

١ – سورة آل عمران – ٧.

٢ – خ١٦١، ص٢٢٩.

٣ – خ١٦١، ص٢٣٠.

٤ – خ٢، ص٤٦.

(أرسلهُ بالدينِ المشهور، والعلَمِ المأثور، والكتابِ المسطور، والنورِ الساطع، والضياء اللامع، والأمرِ الصادع، إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبينات...): ولا أعتقد أن هذه كلها مترادفات وإن كانت تصب في أمر الدعوة والإرشاد، بل أن بعضها يشير إلى القرآن، كما يشير بعضها إلى عقل النبي الكبير، وملكاته وكمالاته التي أهَّلته للدعوة.

## ثالثاً: البلاء الحسن الجميل

في هذه الناحية يجب أن لا يغفل كما نبهنا من قبل أننا نتحدث في إطار كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وإلا فالروايات الكثيرة فيها تفصيل أكثر -بطبيعة الحال- حول بلاء النبي والأذى الكبير والعناء الذي تحمله، والصعوبات التي اعترضته، في سبيل الدعوة. وقد جاء عنه صلى الله عليه وآله: (ما أُوْذِيَ نبيٌّ مثلَ ما أُوْذِيت).

وفي هذا الفلك قال عليه السلام: [1]

(فبالغَ صلى الله عليه وآله في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمةِ والموعظةِ الحسنة): وموضع شاهدنا قوله عليه السلام: (بالغ) وهذا لا يعني -بالطبع- ما نفهم نحن من أن المبالغة خلاف الحقيقة، بل يعني أنه بذل جهده وابتلي كل البلاء وكأنه تكلف فوق طاقته في سبيل دعوته، فهو لم يكتفِ بدعوة الناس بصدق وعزم، ولهم بعد ذلك أن يختاروا فيهتدوا أو لا يهتدوا، بل أكد دعوته وأصرَّ عليها رغم التكذيب، وتحمل كل عناء حباً في هداية من أُرْسِلَ إليهم وهم الناس كافة.

وقد بين ذلك عليه السلام بقوله: [2]

(فجاهدَ في اللهِ المدبرين عنه والعادلين به): ولا سيما وأن الكافرين والمعارضين كانوا هم الغالبية وأصحاب العدد والعدة، فتحمل منهم الأذى في مكة

---

١ - خ٩٥، ص١٤٠.

٢ - خ١٣٣، ص١٩١.

بكل أنواعه، ثم الطائف، ثم ما باشره من المدينة بنفسه من حروب ضد الكفار جرح فيها الجراحات الشديدة وكسرت رباعيته وانشقت شفته وأدميت ركبته؛ هذا وهو يحمل الهداية والخير والرحمة للناس.

ونختم بقوله عليه السلام: [1]

(خاضَ إلى رضوانِ اللهِ كلَّ غمرة، وتجرَّع فيه كلَّ غُصَّة، وقدتلوَّن له الأدْنَوْن، وتألب عليه الأقْصَوْن، وخلَعتْ إليه العربُ أعِنتَها، وضربتْ إلى محاربتِهِ بطونَ رواحلِها، حتى أنزلت بساحتِهِ عداوتَها، من أبعدِ الدار، وأسحقِ المزار).

وهذا تصوير مهم ورائع ومثير. فإن تجرعه الغصص وخوضه الغمرات مع طول المدة كان طلباً لرضوان الله تعالى عنه، وأي جهاد وأي صدق في الدعوة أعظم من هذا؟ وقد تلوَّن له الأدنون فكان أبو لهب وأبو جهل والأقربون منه، وما أسلم بعضهم إلا بعد عناء شديد وفترة مريرة وبعد أن أخذ الإسلام زمام الأمور وحقق انتصاراته، وتألب عليه الأقصون البعيدون فكان اليهود والنصارى والعرب وكل قد أتى لحربه، وأجهد في ذلك واشتد، وأنزلوا بساحته عداوتهم فقصدوه بالإيذاء قصداً من أقصى الأرض، وكان الله تعالى ناصره ومسدده، صلى الله عليه وآل بيته الطيبين الطاهرين.

---

١ - خ١٩٤، ص٣٠٧.

# الجاهلية

الجاهلية

مظاهر الجاهلية

حديث أمير المؤمنين عليه السلام حول الجاهلية

## مدخل

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿أفحُكْمَ الجاهليةِ يبغون ومن أحسنُ من اللهِ حكماً لقومٍ يوقنون﴾ [1].

## الجاهلية

الجاهلية كمصطلح لا ترتبط فقط بتلك الفترة التي كانت قبل البعثة، ولا ترتبط بأمة معينة، بل حتى في زماننا هذا إذا لم يكن الفكر سليماً والعقل نيراً وحياة الأمم والشعوب على وفق النظام الإلهي فتلك هي الجاهلية وإن كانت جاهلية حديثة.

*أسبابها:*

من ضمن الظروف التي تهيء لظهور الجاهلية هو ما يبتلى به البشر من فترة ينقطع فيها إرسال الرسل. وليس في ذلك اعتراض على الله تعالى فقد بعث الأنبياء والمرسلين وجعل الأولياء ولكن ابتعاد الناس عن منهج الأنبياء في حياتهم وبعد موتهم يؤدي إلى ظهور الجاهلية. ولهذا يذكر في هذه الفترة فترة انقطاع الرسل أن نبياً من الأنبياء كان قائماً بين الناس وهو آخر الأنبياء العرب وهو خالد بن سنان. وقد جاء في (بحار الأنوار) [2] حديث عنه في أربع روايات تتحدث عن شيء من سيرته وأن رسول الله ﷺ أدرك ابنته وكان يكرمها ويشير إلى أنها ابنة نبي ضيعه قومه، مما يدل على أن عهده قريب من عهد الرسول الأكرم ﷺ، ويناقش البعض في نبوته أو حجمها، ولكن حجم النبوة لا يضر بكونه نبياً.

---

١ - سورة المائدة - ٥.

٢ - ج١٤، ص٤٤٨.

## مظاهر الجاهلية

مظاهر الجاهلية كثيرة ونحن نستمد التعريف بها من كلام أمير المؤمنين عليه السلام والذي تحدث عن ذلك كثيراً وفي مناسبات عديدة لا يمكن الإحاطة بها جميعاً في هذا الدرس. وقيمة حديث الإمام هنا عالية جداً ومهمة باعتبار أنه أدق المؤرخين -إن صح التعبير- وأصدق المتحدثين عن هذه الفترة لمعايشته لها وعلمه بالقوم، وعلمه بحقيقتها من رسول الله، ولعلمه الإلهي الذي يستطيع به أن يخبر عن هذا الكون وما يحويه من حقائق. فمن تلك المظاهر التي ذكرها الإمام عليه السلام:

١ - الاعتقاد، والحديث فيه شبه خاص بالعرب باعتبار أن رسول الله بعث فيهم.

٢ - الفتن الكثيرة التي كانت نارها متأججة بينهم.

٣ - الضياع الذي كانوا يعيشونه بتمام ما لكلمة (الضياع) من معنى.

٤ - اتباعهم للشيطان في أهوائهم وميولهم وعواطفهم.

٥ - ما كانوا عليه من أمية مستقطبة.

٦ - إطباق الجهل الذي كان عندهم وانعكاسه على ممارساتهم.

ومن أسباب قيمة الحديث من الإمام عليه السلام أنه البطل الذي واجه الجاهلية بسيفه فقتل أقطابها بين يدي الرسول، وبفكره فحارب بدعها وجهلها. وأرشد الأخوات العزيزات إلى مراجعة فقرات خطبة الزهراء العصماء في حديثها، صلوات الله وسلامه عليها، عن هاتين النقطتين: تأريخ الجاهلية و بلاء أمير المؤمنين في صراعه معها.

وبعد هذه الإلمامة السريعة والعرض العاجل نحاول أن نستعرض بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال.

أ – قال عليه السلام في وصفه للاعتقاد في الجاهلية: [1]

(وأهلُ الأرضِ يومئذٍ مِلَلٌ متفرقة، وأهواءٌ منتشرة، وطرائقُ متشتتة، بين مشبِّهٍ للهِ بخلقِه، أو ملحدٍ في اسمِه، أو مشيرٍ إلى غيرِه): فهذا جانب من جوانب الاعتقاد يعرض له أمير المؤمنين عليه السلام وأنّ أهل الجاهلية كانوا يقيسون الخالق بالخلق وهذا دليل ضآلة معرفتهم، وضعف معتقدهم ويكون انفعالهم معه بمستواه.

ب – وقال عليه السلام: [2]

(والناسُ في فتنٍ انجذمَ فيها حبلُ الدين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النجْرُ وتشتت الأمرُ... ونُصِرَ الشيطانُ وخُذِلَ الإيمان، فانهارت دعائمُه، وتنكرت معالمه، ودرست سبلُه وعفت شُرُكُه...): وهذا وصف آخر للنظرة التوحيدية وما يتعلق بالإلهيات في تلك الفترة العصيبة التي انقطع فيها حبل الدين المتصل (انجذم)، وتزعزعت سواري (دعائم) اليقين واختلف النجر (الأصل والمنبت) فانهارت بسبب ذلك دعائم الإيمان وعفت (انطمست وخفيت) شركه (أي طرقه).

ثم يقول عليه السلام:

(في فتنٍ داستهم بأخفافِها، ووطئتهم بأظلافِها، وقامتْ على سنابكها فهم فيها تائهون... في خير دار وشرِّ جيران، نومهم سهود وكحلهم دموع، بأرضٍ عالِمُها مُلْجَم وجاهِلُها مُكْرَم): فيشبه تلكم الفتن كالإبل تدوس بأخفافها، وكالبقر تطأ بأظلافها وكالخيل تقوم على أطراف حوافرها (سنابكها)، فهم في بلاء شديد من هذه الفتن. هذا وهم في مكة خير دار ولكنهم شر جيران لها وللبيت الحرام. ولقد كان عالمهم لا يستطيع التحدث بعلمه وأما جاهلهم فهم يكرمونه، وهذا تصوير دقيق لحال الجاهلية وما كانوا عليه من انعدام المقاييس

---

١ – خ١، ص٤٤.

٢ – خ٢، ص٤٦.

والتخبط في الجهل.

ج - وتحدث عن الوضع الاجتماعي، فقال عليه السلام: [1]

(وأنتم معشرَ العربِ على شرِّ دينٍ وفي شرِّ دارٍ، منيخون بين حجارةٍ خُشْنٍ وحياتٍ صُم، تشربون الكدر وتأكلونَ الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنامُ فيكم منصوبة والآثامُ بكم معصوبة): يتحدث الإمام هنا عن مجال آخر هو حياة الجاهلية وممارساتهم في معيشتهم واقتصادهم ويخص العرب بالحديث، بينما في النص الشريف السابق كان الحديث عن أهل الأرض. فالعرب وإن كان لهم دين فهو شر، وهم مقيمون في شر دار. وقد عبر عنها هناك بأنها خير دار باعتبار قدسية مكة وقدسية البيت الحرام، أما هنا فعبر عنها بأنها شر دار بلحاظ أهلها وما كانوا عليه. ومثال على ذلك أننا نقول أن ذلك البلد ناصبي بمعنى أن أهله نواصب وإلاّ فالأرض لا تكون ناصبية. وكانوا يشربون الكدر ويأكلون الجشب وهو الطعام الخشن أو الذي لا إدام فيه. ثم يتحدث عن شتات المجتمع بسفك الدماء وقطيعة الأرحام. وأخيراً يشير إلى عبادتهم للأصنام ونصبها على الكعبة المشرفة بقعة التوحيد، وكذلك ممارستهم للآثام وأنها معصوبة (أي مشدودة بهم وملتصقة تماماً).

د - وتحدث عن الأمية المستقطبة آنذاك، فقال عليه السلام: [2]

(إن الله بعثَ محمداً، صلى الله عليه وآله وليس أحدٌ من العربِ يقرأ كتاباً، ولا يدَّعي نبوة) [3]: وهذه الأمية لها لوازمها ونتائجها لأن الكتابة والقراءة من الطرق المهمة للعلم والمعرفة، وإن لم تنحصر فيها. ومن المهمات التي قام بها النبي، صلى الله عليه وآله أن بادر بالقضاء على هذه الأمية في أول أيام دولته المباركة في المدينة، فكان يطلب من أسارى المشركين الذين يعرفون القراءة والكتابة أن يعلموا عشرة من صبية

---

١ - خ٢٦، ص٦٨.

٢ - خ٣٣، ص٧٧.

٣ - وقد كرّر الإمام عليه السلام هذا المعنى وأكد عليه في الخطبة رقم١٠٤، ص١٥٠.

المسلمين ذلك، في مقابل إطلاقهم من الأسر، وهذه خطوة رائدة ومهمة في طريق محو الأمية.

هـ – كما تحدث الإمام (عليه السلام) عن هذه الجاهلية، وهو البطل الذي حطمها بسيفه وفكره، فقال (عليه السلام): [1]

(أرسلهُ على حين فترةٍ من الرسل وطول هجعة من الأمم واعتزامٍ من الفتن، وانتشارٍ من الأمور، وتلظٍ من الحروب والدنيا كاسفةُ النور، ظاهرةُ الغرور، على حين اصفرارٍ من ورقِها وإياسٍ من ثمرِها واغورارٍ من مائها، قد درست منارُ الهدى، وظهرت أعلامُ الردى فهي متجهمةٌ لأهلها عابسةٌ في وجهِ طالبِها، ثمرُها الفتنة، وطعامُها الجيفة، وشعارُها الخوف، ودثارُها السيف فاعتبروا عبادَ الله):
يصور الإمام (عليه السلام) الحروب وأنها كالنار تتلظى في تلك الفترة العصيبة، كما يصوِّر الدنيا بأنها كالشجرة في الخريف أوراقها صفراء تتساقط، وقد بلغت من العمر حداً يأس الناس من ثمرها، وقد غار ماؤها وانقطع.

و – وهكذا لا يكاد ينقطع حديثه عن هذه الفترة فمما قال (عليه السلام): [2]

(بَعَثَهُ والناسُ ضُلاَّلٌ في حيرةٍ وحاطبونَ في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهليةُ الجهلاء، حيارى في زلزالٍ من الأمر، وبلاءٍ من الجهل):

فالناس إذن حاطبون في فتنة أي كلهم يشارك فيها، وهم في بلاء من الجهل فهو مستحكم على الأفكار وقد ملك كل حياتهم، واصطبغت حياتهم بصبغة الجهل والتنكر لكل القيم والمعارف.

ز – وقال (عليه السلام): [3]

---

١ – خ٨٩، ص١٢١.

٢ – خ٩٥، ص١٤٠.

٣ – خ١٥١، ص٢١٠.

(أضاءت به البلادُ بعد الضلالةِ المظلمة، والجهالةِ الغالبـة، والجفـوةِ الجافيـة، والناسُ يستحِلُّونَ الحريم، ويسـتذِلُّون الحكيـم، يحيَـون علـى فـترة، ويموتـون علـى كفرة): فهم يستحلون المحرمات، ويعيش صاحب الحكمة والروية بينهم ذليلاً لأنه لا يسايرهم فيما يعملون، وهذا غاية في الضعـة وانعدام المقـاييس. وبـالفعل كـان مصداق ذلك المعاملة الـتي تعـاملوا بهـا مـع الرسـول الأكـرم ﷺ؛ فقـد اسـتذلوه وعاملوه بكل قسوة من أذى بالقول والفعل. وأما حياتهم فقد كـانت خاليـة مـن الشرائع منقطعة من الرسالات السماوية، وهم نتيجة لذلك يموتون على الكفر.

ح - نعرض فيما يلـي نصـين آخريـن يمكـن للطالبـة أن تتوسـع في الـدرس بمطالعة شرح النصين في كتب الشروح للنهج.

النص الأول: [1]

(أظهر به الشرائعَ المجهولة، وقَمَـعَ بـه البِـدَعَ المدخولـة، وبيَّـنَ بـه الأحكـامَ المفصولة، فمن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً تتحققْ شِقْوَتُه...).

النص الثاني: [2]

(لا يأوون إلى جناحِ دعوةٍ يعتصمون بها، ولا إلى ظلِّ أُلفةٍ يعتمـدونَ علـى عزِّها، فالأحوالُ مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرةُ متفرقة، في بلاءِ أزْلٍ وأطبـاقِ جهلٍ، من بناتٍ موؤودة، وأصنامٍ معبودة وأرحامٍ مقطوعة، وغاراتٍ مشنونة).

هذا بعض ما حدثنا به أمير المؤمنين عليه السلام من أمر الجاهليـة، ويكـون تتميـم هذا البحث في الدرس القادم -إن شـاء الله تعـالى- بذكـر النجـاح العظيـم الـذي حققه النبي ﷺ في دعوته وصراعه مع الجاهلية.

---

١ -خ١٦١، ٢٣٠.

٢ - خ١٩٢؛ ص٢٩٧-٢٩٨.

# نجاح الدعوة

## مدخل

قال الله العظيم في محكم كتابه الكريم:

﴿هو الذي بعثَ في الأميينَ رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِهِ ويزكِّيهم ويعلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين﴾ [1].

درسنا يدور -إن شاء الله تعالى- حول النقطة الثالثة التي وعدنا بها وهي نجاح النبي في دعوته. وحينما نقارن بين واقع الجاهلية وما كانوا عليه من تخبط وضلال وانحراف كبير، وبين حال الناس بعد تلك الفترة الوجيزة التي قام فيها النبي داعياً إلى الله تعالى مجاهداً مخلصاً حتى أحدث ذلك التحول العجيب - فلا شك أننا نقف على نجاح هو في حد ذاته معجزة قدَّمها النبي ﷺ دليلاً على صدق دعوته. وقد صوَّر لنا أمير المؤمنين عليه السلام كما مرَّ وضع الناس قبل البعثة في جاهليتهم، وهو هنا يصوِّر لنا النجاح الكبير الذي حققه النبي بدعوته المباركة.

وكلامه عليه السلام ثريٌّ جداً في كل هذه المجالات. كيف لا وهو البطل الفرد الذي واكب الدعوة من أولها ورأى النجاح الباهر الذي استمر وواكبه الإمام بعد رحلة الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى بفترة طويلة. إذن فهو أعظم مؤرخ وأصدق متحدث عن الفترات السابقة والمواكبة واللاحقة للبعثة المباركة. وهذا ما سنقف عليه من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام التي اخترنا هنا بعضها لتكون كاشفة عن هذا النجاح الإلهي الخاص الذي غيَّر العالم وأخرج الدنيا من الظلمات إلى النور.

أ - تحدث عن هذا النجاح فقال عليه السلام: [2]

(فهَداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانِهِ من الجهالة): أمير المؤمنين هو أمير البلغاء وربُّ الكلام، فهو هنا يقول أن الرسول قد هدى الناس، وهذا يستدعي

---

١ - سورة الجمعة - ٢.

٢ - خ١، ص٤٤.

أنهم كانوا على ضلالة، (وأنقذهم) وهذا يعني أنهم كانوا في مأزق وفي غاية المحنة والبلاء بسبب جاهليتهم. وتركيز الإمام على الجهل باعتباره مصدر البلاء والدمار. وقد استخدمت الزهراء أيضاً هذا التصوير: (فأنقذكم الله بأبي محمد)، فالدنيا إذن كانت في مأزق حتى أُنقِذَت ببركة النبي وعطاء دعوته.

ب – وقال عليه السلام عن ذلكم الإنجاز العظيم: [1]

(فَسَاقَ الناسَ حتى بوَّأهم محِلَّتهم وبلَّغهم منجاتَهم، فاستقامت قناتُهم واطمأنت صَفاتُهم): وكأنما الناس رعية يحتاجون إلى من يسوقهم سوقاً وليس مجرد إرشادهم، بل لعلَّ الإمام يقصد من قوله (فَسَاقَ) أن الناس كانوا بما هم فيه من جهلٍ وخلوٍ من الشرائع، وبما كانوا يمارسونه، كانوا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. فساقهم سوقاً إلى المحل الذي يجدر بهم أن يكونوا فيه. (وبلَّغهم منجاتهم) فقد كانوا على جانب من الهلكة في اعتقادهم وأخلاقهم وسلوكهم. وقد أسند الإمام هذا السَّوق وهذا التبليغ إلى النبي مباشرة باعتباره صاحب الدعوة الأول الذي قاد الناس وشملهم برعايته، وإن كان الله تعالى هو مصدر كل خير وأساس كل عطاء. وكان نتيجة هذا العمل من النبي أن استقامت قناة الناس وهي الرمح أو العمود والذي لا يُنتفع به ما لم يكن مستقيماً وذلك كناية عن اتجاه الأمة إلى الوجهة الصحيحة وتبدل انحرافها إلى هذه الاستقامة. وكذلك (اطمأنت صَفاتهم) وهي الأرض الصلبة فهي مطمئنة يستقرون عليها، كناية عن استقرار جميع شؤونهم وما يتعلق بدينهم ودنياهم.

ج – وقال عليه السلام متحدثاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: [2]

(قد صُرِفَتْ نحوه أفئدةُ الأبرار): فالله تبارك تعالى هو المالك لأزِمَّة القلوب والماسك برغبات الخلائق، فبعد ذلك البلاء والجاهلية ينبعث رجل مفرداً يتحدى الناس أنهم على باطل وهو على الحق، ويصمد أمام جميع المغريات والتحديات،

---

١ – خ٣٣، ص٧٧.

٢ – خ٩٦، ص١٤١.

فتستجيب الناس له حتى ينقلب أعداؤه أعواناً له يستحيون من النظر إليه لما أساؤوا في حقه. وأما (الأبرار) الذين يملكون العقل والصفاء فقد مالوا بقلوبهم إليه بعد أن كانت شؤونهم بعيدة عنه، فأصبح الرسول أحب إليهم من أنفسهم وقاتلوا دونه حتى آباءهم كما حصل في حروب الإسلام الأولى.

(وثُنِيَتْ إليه أزِمَّةُ الأبصار): فهي لا تشخص إلا إليه ولا ترنو غيره.

(دفنَ الله به الضغائن، وأطفأ به الثوائر): وهذا تعبيرٌ راق جداً، فقد عبر عن ضغائن الجاهلية بأنها دُفِنت أي لم يعد لها أثرٌ يُرَى، وكأنها لَم تكن أصلاً فهي مُودَعةٌ في التراب. وكذلك الثوائر الهائجة بالنار أُطفِئَتْ، وهذه جهة من جهات النجاح.

ثم يقول عليه السلام:

(ألَّفَ به إخواناً وفرَّق به أقراناً): وقد نسب الإمام هذه الأمور لله تعالى لأنه المالك والمدبر الحقيقي لها، والنبي بما يحمل من عطاء وكمال هو المنفذ لها. قال تعالى: ﴿وألفَ بين قلوبهم، لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألفتَ بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، إنه عزيزٌ حكيم﴾ [1]، (وفرَّق به أقراناً) كانوا متحدين على أمر الباطل. فهو إذن يفرقهم عما ينبغي أن يتفرقوا عنه ويجمعهم على ما ينبغي أن يجتمعوا عليه. ولهذا قال عليه السلام مبيناً نتيجة ذلك:

(أعزَّ به الذلةَ، وأذلَّ به العزَّة): فكم من فقير ووضيع لا يحسب له حساب وإذا به يُرفعُ له شأن. بلال الحبشي لم يكن عند ذلك المجتمع شيئاً يذكر وإذا به هو، رضوان الله تعالى عليه، يصعد سطح الكعبة مدوياً بالأذان ويذكر الله ورسوله. وأما أبو لهب فقد كان شريفاً في قومه بل كان عماً لرسول الله، وإذا به يصبح وضيعاً وسبةً على ألسنِ البشرِ في قرآن يُتلى آناء الليل وأطراف النهار.

د – وكما قدَّمنا فإن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ثري جداً في هذا المجال وهو

---

١ – سورة الأنفال – ٦٣.

يحكي ترجمة صادقة لأنها عن معاينة واطلاع على أحداث الدعوة التي كان الإمام في صميمها، فهو يقول عليه السلام: [1]

(يسوقُهم إلى منجاتِهم؛ ويبادرُ بهم الساعةَ أنْ تنزِلَ بهم) فهو في غاية الخوف عليهم والرحمة بهم أن تنزل بهم الساعة أو يموتون وهم على ضلالهم.

(يحسرُ الحسير، ويقِفُ الكسير، فيقيم عليه حتى يلحِقَه غايتَه، إلا هالكاً لا خيرَ فيه): فبعضهم يحسر أي يكل ويتعب فيقف، وبعضهم يقف لأنه مكسور، وهذا كناية عن الذي يضعف إيمانه فلا يسير بل يتردد في طريق الحق ويقف، ولكن الرسول يعتني ويرعى هؤلاء الضعاف في الاعتقاد، فيصلح شأن الضعيف والمكسور، ثم يلحقه بالركب حتى يبلغ غاية النجاة. وهذا ما كان عليه الرسول من الأناة والحلم وتحمل الجهد الشديد في سبيل الدعوة وهداية الناس. وأما من يضل ويرفض الحق فيهلك فإنما هو باختياره وليس من الرسول أدنى تقصير بعد أن تحمل غاية الجهد والبلاء في سبيل الدعوة.

(حتى أراهم منجاتهم وبوَّأهم محلتَهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتُهم): فأوصلهم إلى النجاة فرأوها، وجعلهم في المحل الذي يجدر بهم أن يكونوا فيه، فجرت رحاهم جريها الطبيعي وهذا كناية عن استقامة جميع أمورهم ببركة دعوته.

هـ- وقال عليه السلام: [2]

(أضاءت به البلادُ بعد الضلالةِ المظلمة، والجهالةِ الغالبة، والجفوةِ الجافية): وهذا تذكير وتكرار لمعان سابقة؛ فالبلاد كانت في ظلام الضلال، وكان الجهل متفشياً غالباً، فإذا بالبلاد تشرق بنور دعوته صلى الله عليه وآله وسلم.

و - وقال عليه السلام: [3]

---

١ - خ١٠٤، ص١٥٠.

٢ - خ١٥١، ص٢١٠.

(فبلغ الرسالةَ صادعاً بها، وحمل على المحجةِ دالاً عليها وأقامَ أعلامَ الاهتداء ومنارَ الضياء، وجعل أمراسَ الإسلامِ متينة وعُرا الإيمانِ وثيقة): فقد جهر بالدعوة وقام بها خير قيام، ودل الناس على المحجة (الطريق) التي توصل للحق، وجعل أمراس (حبال) الإسلام متينة، ولم يجعل للإيمان عرا وحسب، بل جعلها وثيقة. وهذه الجملِ وغيرها بيان من الإمام إلى أن الدعوة لم تنجح وحسب؛ بل كان نجاحها باهراً وهو في حدِّ ذاته معجزة بل هو أول المعجزات.

ز – وأشار إلى الإصلاح الاجتماعي فقال (عليه السلام): [1]

(فانظروا إلى مواقعِ نِعَمِ اللهِ عليهم حين بَعَثَ إليهم رسولاً فَعَقَدَ بملتِهِ طاعتَهم وجَمَعَ على دعوتِه أُلفتهم): يتخذ الإمامُ -هنا- أسلوباً إلى الحسِّ أقربُ منه إلى الفكر فيأمرهم بالنظرِ إلى النعمِ الظاهرةِ برسولِ الله، وكيف أصبح من بعث فيهم مطاعين من قبل العالمين، وألف بينهم تحت ظل دعوته، بعد أن كانوا شراراً في علاقتهم ببعضهم، وفي علاقتهم مع الناس.

(كيف نشرت النعمةُ عليهم جناحَ كرامتِها وأسالت لهم جداولَ نعيمِها...):

وهذا تعبير عن كثرة النعم وتشعبها فهي كالجدول.

(قد تربعت الأمورُ بهم في ظلِّ سلطانٍ قاهرٍ...): وهو حكم الله تعالى، فهم التجأوا إلى سلطان يكون الحكم فيه للهِ وليس للأهواء أو رؤساء العشائر أو غيرهم.

(فهم حكامٌ على العالمين وملوكٌ في أطرافِ الأرضين يملكون الأمورَ على من كان يملكُها عليهم... لا تُغمَزُ لهم قناة ولا تُقْرَعُ لهم صَفاة): فبعد أن كانوا شراذمَ مفككين، نهبة الناهب وطعمة الطامع، أصبحوا حكاماً وملوكاً وكانوا

---

٢ – خ١٨٥، ص٢٧٠.

١ – خ١٩٢، ص٢٩٨.

محكومين ومملوكين. لا سيّما وأن حديث الإمام (عليه السلام) كان في زمنٍ كثرت فيه الفتوحاتُ، فيكون حديثه عن أمرٍ محسوسٍ يلاحظه الجميع. وبغض النظر عن شرعية الفتوحات وسلبياتها فإنها كانت باسم الإسلام ولذلك نجحت. فهي ليست نتيجةً لعبقريةِ أبي بكر وعمر وشجاعتهما! بل هي نتيجة لروح النبي وروح الإسلام المهيمنة في بداية الدعوة. وهذا الأمر نلاحظه حتى في زماننا هذا فنجد في أقصى البلاد وشتى الأقطار وجوداً للمسلمين؛ وهذا كلّه بفضل جهدِ النبيِّ وبركات دعوته (صلى الله عليه وآله).

ح- وقال (عليه السلام): [1]

(جعله الله بلاغاً لرسالتِه، وكرامةً لأمتِه، وربيعاً لأهلِ زمانِه، ورفعةً لأعوانِه، وشرفاً لأنصارِه): فكل فضل عاد للأمة من علم واطلاع على خبر السماء والملأ الأعلى، وواقع الدنيا وأخبار الماضين، وهذا التشريع والقانون الإلهي، إنما هو ببركة دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله) وهذا مصداق الكرامة والرفعة والشرف.

عليكَ بأربابِ الصدورِ فمن غدا مضافاً لأربابِ الصدورِ تصدَّرَا

فإنما شرفهم كان لانتسابهم إليه ووجوده الشريف بينهم.

وكان زمانه ربيعاً خصباً مميزاً، ولو أخذَ الناسُ بهديهِ من بعدهِ لعاشوا في ربيع دائم.

ط- وقال (عليه السلام): [2]

(أرسله بالضياء، وقدَّمَهُ في الاصطفاء، فَرَتَقَ به المفاتِق، وساورَ به المغالب...): أي رتق (سدَّ) به ما كان شائعاً من (مفاتق) وهي الفساد القائم.

(حتى سرَّح الضلالَ عن يمينٍ وشمال): نتيجة للغلبة والنصر المبين دحر

---

١ - خ١٩٨، ص٣١٥.

٢ - خ٢١٣، ص٣٣٠.

الضلال فولى مهزوماً عن يمين وشمال.

ي – نعرض هنا نصين يمكن للطالبة المؤمنة أن تراجع شرحيهما في كتب الشرح.

النص الأول: [1]

(... على محمدٍ عبدِك ورسولِك الخاتمِ لما سبق) إلى قوله: (ورسولِك إلى الخلق).

النص الثاني: [2]

(فصدَعَ بما أُمِرَ به، وبلّغ رسالاتِ ربِّه) إلى قوله: (والضغائنِ القادحةِ في القلوب).

## خاتمة

لا بأس أن نختم حديثنا بكلمة لأحد الفلاسفة المشهورين؛ وإن كنتُ -فيما أرى دائماً- أعتقد أننا لسنا بحاجة إلى أن نستعير كلمات فلاسفة أو مفكرين أجانب للتعريف بالنبي أو الإمام أو القرآن الكريم، فشواهد الصدق ودلائل الحق واضحة، وليس بعد قول الله تعالى قولٌ لقائل. ولكن نذكر هذه الكلمة على وفق سيرة الناس وطبعهم وأنهم يرتاحون ويأنسون بمثل هذه الأمور.

فإن الفيلسوف العالمي الشهير برنادشو يقول:

"إن محمداً يجب أن يدعى منقذَ الإنسانية؛ وأعتقد أنه لو تولى رجلٌ مثلُه زعامةَ العالمِ الحديثِ لنجحَ في حلِّ مشاكلِه بطريقةٍ تجلِبُ إلى العالمِ السعادةَ والسلامة. إن محمداً أكملُ البشرِ من السابقينَ والحاضرينَ، ولا يُتصَوَّرُ وجودُ مثلِهِ

---

١ – خ٧٢، ص١٠١.

٢ – خ٢٣١، ص٣٥٣.

في الآتين". وقال أيضاً: "لو كان محمدٌ في القرنِ العشرينَ لقضى على ما فيه من فسادٍ وضلال"[1]

١ – في ظلال نهج البلاغة، للشيخ محمد جواد مغنية، ١/٦٣، ٣٥٥.

# الدرس العظيم

مدخل

أولاً: معنى الجاهلية

ثانياً: الدرس العظيم

ثالثاً: هكذا تحدَّثَ أمير المؤمنين عليه السلام

## مدخل

قالَ اللهُ العظيمُ في محكمِ كتابِهِ الكريم:

﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيةِ يَبْغُون، ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَومٍ يوقِنونَ﴾ [1]

تحدثنا في الدروس الأخيرة الماضية عن الجاهلية وما كان عليه حال الأمم قبل الإسلام، وتحدثنا عن النجاح العظيم الذي حققه ذلك النور الإلهي المتمثل في دعوة النبي ﷺ ويأتي هذا الدرس الأخير في هذه السلسلة وهو ما وعدنا به من الحديث عن الدرس العظيم الذي نستلهمه ويجدر بنا أن نأخذ به من هذه السيرة المباركة، وقصة نجاح الدعوة. ونؤكد مجدداً أن هذا كله يدور في فلك كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال. فقد تحدث عليه السلام عما لاحظه من انقلاب الموازين، وضياع الأمة خاصة في الفترات الأولى لرحيل النبي ﷺ.

## أولاً: معنى الجاهلية

إن تحديد معنى الكلمة يمكننا من الفهم الصحيح لمدلولها. ونستعير هنا معنى الكلمة من حديث للعلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه (بين الجاهلية والإسلام)، فقد قال: "والحقيقة أن الجاهلية اسم للضلال والانحراف عن المثل الصحيحة والمناهج المستقيمة لدى أي عنصر من الناس وفي أي موطن وأي زمان. فهي صفة لعالم ما قبل الإسلام كله بما فيه من عرب وغيرهم، وهي أيضاً صفة للمباديء والمثل التي تبشر بها المادية المعاصرة على اختلاف مظاهرها وأشكالها" [2]. وبتعريف ملخص يذكر -حفظه الله تعالى- أن الجاهلية "منهج في الحياة مقابل ومضاد لمنهج الإسلام" [3]. وكذلك يتحدث عن الجاهلية الحديثة ويرى أنها

---

١ - سورة المائدة - ٥٠.

٢ - بين الجاهلية والإسلام/١٩.

٣ - بين الجاهلية والإسلام/٢٣٧.

تتمثل في فلسفة وفكر وحياة ونظام الإنسان الأوروبي فيما اختارَهُ من مَدَنِية وتنكرَ لجميع القيم والمباديء. بل إن كل نمط يمارسه حتى المسلم أو المؤمن ويحمل في طياته مخالفة شرعية فإنه يرجع بالتالي إلى الجاهلية. وهو يستعين بالآيات القرآنية على هذا المدلول الواسع، وهذا نمط رائع لدراسة فكرة ما من ناحية موضوعية، بالتماس النصوص القرآنية والروايات ثم الخروج منها بنتيجة صحيحة.

## ثانياً: الدرس العظيم

رأينا في الدروس السابقة حديث الإمام (عليه السلام) ومقارنته بين مظاهر الجاهلية ثم تبدل الحال بعد الدعوة المباركة للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله). ونحن نبني أمرنا في الاعتقاد والفقه والتأريخ وفي سلوكنا وسائر شؤون حياتنا وفي عموم أبعادها على هذا الدين القويم الذي نؤمن به ونؤمن أنه أخرج الناس من ظلمات الجهل والجاهلية إلى نور العلم والهداية. ثم بعد ذلك ننظر واقعنا فإذا نحن نتنكر له ونغض الطرف عنه وهو النور الذي أبصرناه بل أبصرنا به، وهو مصدر سعادتنا وسر حياتنا الحقة. ولا شك أنَّ تنكرَ أعداء الإسلام له هو جهل لأن ذلك حرمان لهم من مصدر السعادة، فكيف بتنكُرِ أبناءِ الإسلامِ للإسلام؟

هذا هو الدرس العظيم الذي يجب أن نناجي به أنفسنا وهذه هي نعمة الهداية التي ينبغي أن نلتفت لها ونصونها. وهذا هو التشريع الذي لولاه لكنا عباداً للأصنام أو خاضعين لحكومات تعبث بمقدراتنا. وهذا هو التشريع الذي كان نتيجة الدعوة والبلاء العظيم الذي قدمه النبي (صلى الله عليه وآله). إذن فنحن جميعاً مدعوون لتقييم أنفسنا بعد هذا النجاح العظيم الذي حققته الدعوة حتى أذعن لها أهل الجاهلية فسعدوا بها. فلا يليق بنا أن يكون أهل الجاهلية أسعد منا ونحن الذين نشأنا منذ البداية على تعاليم الدعوة المباركة ثم بعد ذلك نتنكر لها ونعرض عنها ويكون ما أخذناه منها شيئاً يسيراً لا يكاد يذكر في قبال ما تركناه منها.

## ثالثاً: هكذا تحدث أمير المؤمنين (عليه السلام)

أ – قال عليه السلام عن مأساة ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله: [1]

(حتى إذا قبضَ الله رسولَهُ صلى الله عليه وآله رجَعَ قومٌ على الأعقاب، وغالتْهُمُ السُّبل، واتَّكَلُوا على الولائج، ووصَلُوا غيرَ الرَّحِم، وهَجَرُوا السببَ الذي أُمِرُوا بمودّته، ونقلوا البناءَ عن رَصِّ أساسِهِ فبنوهُ في غيرِ موضعِه): فقد ارتدوا بعد النبي إلى الجاهلية، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وما محمدٌ إلاّ رسولٌ قد خلتْ من قبلِهِ الرُّسُلُ أفإنْ ماتَ أو قتلَ انقلبتُمْ على أعقابِكُمْ ومن ينقلبْ على عَقِبيهِ فلن يضُرَّ الله شيئاً وسيجزِي الله الشاكرين﴾ [2].

ونتيجةً لهذا الرجوع غالتهم أي قتلتهم السبل وهي المذاهب والآراء والأهواء التي اتبعوها. ثم برزت مظاهر الانحراف فاتكلوا على الولائج وهي بطانة الرجل وخاصته ويقصد بهم من يدبرون المكر والخديعة. ثم وصلوا غير الرحم الذي أمر الله به أن يوصل وهم رحم رسول الله صلى الله عليه وآله فقطعوا بذلك صلتهم برسول الله الذي هو مصدر سعادتهم. وأما السبب فهو الحبل وهم العترة الذين أُمِروا بمودتهم وهذا إشارة إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [3]. فقد هجروهم ونقلوا البناء الذي بناه النبي بأوامر إلهية، فوضع الإمامة في موضعها المهم في بناء الإسلام ولكن الناس أزاحوها وأبعدوها (فلعن الله أمة أزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها).

### *نقاش*

ذكر ابن أبي الحديد عند شرحه لهذا النص الشريف [4] إنه إذا أطلقت كلمة (الرحم) كان المراد بها رحم الرسول صلى الله عليه وآله تماماً كما إذا أطلقنا عبارة (أهل

---

١ – خ١٥٠، ص٢٠٩.

٢ – سورة آل عمران – ١٤٤.

٣ – سورة الشورى – ٢٣.

٤ – نهج البلاغة ١٣٢/٩.

البيت) فَيَفهَمُ منها المسلمون أنهم أهل بيت رسول الله ﷺ. أما السبب فمعناه الحبل وهو إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). ثم يتساءل ابن أبي الحديد: هل في كلمات الإمام عليه السلام هنا دلالة على موضوع الإمامة ونقد من تولى الحكم قبله، أو أنه ليس فيها ذلك. وكأنه يعترف بأن ظاهر الكلام هو هذه الدلالة ثم يحاول أن يصرفه ويقول أن الإمام يعني أمر صفين والجمل وما فعلته بجموعة أخرى كعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة ومروان بن الحكم وهذه الشاكلة. ثم يعترض على نفسه بأنه يفهم من كلام الإمام أنه يعني الأيام الأولى عقيب رحلة النبي ﷺ، ويجيب ابن أبي الحديد بأن الإمام لعله كان يعلم بحقيقة أولئك وأنهم ليسوا مسلمين حقيقة بل ظاهراً فقط ويعلم ما سيحدثونه من ضلال.

ومن المفيد للطالبة العزيزة مراجعة الفصل المتعلق بشرح هذا النص الشريف في كتاب (منهاج البراعة) للميرزا حبيب الله الخوئي رحمه الله فإنه ناقش ابن أبي الحديد في هذا الموطن مناقشة دقيقة. فبين الميرزا أن هذا خلاف الإطلاق وخلاف الظاهر من كلام الإمام عليه السلام وفي ذلك تحميل للنص ما لا يحتمله. لا سيما وأن كلمات الإمام التي صرح فيها بنقده للقوم وتأذيه من أحداث السقيفة، تلتقي مع هذا النص الشريف.

(معادنُ كلِّ خطيئة، وأبوابُ كلِّ ضاربٍ في غَمْرة، قد ماروا في الحَيرة، وذهلوا في السَّكْرة، على سُنَّةٍ من آلِ فرعون: من منقطعٍ إلى الدنيا راكن، أو مفارقٍ للدينِ مباين):

ثم يصف هؤلاء الذين عادوا للجاهلية عقيب ذلك النور والهداية والبلاء الحسن الذي أبلاه الرسول ﷺ، فإن كان الأوائل معذورين لجهلهم فما عذر من أبصر نور الإسلام ثم ارتد عنه؟ فهم قد ركبوا كل غمرة (شدة) وماروا (اضطربوا) في الحيرة وذهلوا في السكرة وهي الغفلة التي أصابتهم. ثم يشبِّهُ الإمام عليه السلام ويقرن ضلالهم الجسيم بضلال آل فرعون. فهؤلاء بانصرافهم عن النبوة

والقانون الإلهي كآل فرعون المنكرين من الأساس للنبوة والقانون الإلهي. ثم يصنفهم هذا التصنيف: فهم بين (منقطع) قد جعل الدنيا همهالذي يركن إليه ولا يعتني بالدين على الإطلاق، أو (مفارق) للدين ولم ينل مع ذلك شيئاً من الدنيا ﴿خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ [1].

ب – وأكد على الاستفادة من الدرس العظيم فقال عليه السلام: [2]

(ولا تكونوا كجفاةِ الجاهليةِ لا في الدينِ يتفقّهون، ولا عنِ اللهِ يعقِلون، كقيضِ بيضٍ في أداحٍ، يكون كسرُها وزراً، ويخرجُ حضانها شراً):

تشبيهات الإمام عليه السلام غير مبتذلة بل هي تشبيهات أصيلة يبتكرها الإمام نفسه عليه السلام. وقد اختلفت كلمات جملة من الشراح حول هذا النص الشريف. فيقول بعضهم بأن الإمام يشبه الذي يحمل الفكر الجاهلي سواءً كان مؤمناً منحرفاً أو أهل الجاهلية أنفسهم بأنهم أمثلة شر في وجودهم. وهم تماماً كمثل البيض الذي لا يعرف الإنسان هويته فقد يكسره وهو مفيد ويؤذي كائناً وجوده خير، وقد يتركه ليحضن فيتضح بعد ذلك أنه يخرج شراً كأن يكون بيضَ أفاعٍ مثلاً. فلو قتل الجاهلي لربما كان ذلك وزراً إذ ربما يهتدي، ولو ترك فقد يفسد وينشر الدمار. وبالفعل لا يكشِفُ عن حال المرء إلا أفعاله ومواقفه، وهي لا تعرف إلا بعد حين.

ج – وحذر من رموز الجاهلية وطغاته فقال عليه السلام: [3]

(ألا فالحذرَ الحذرَ من طاعةِ ساداتِكم وكبرائِكم ! الذين تكبروا عن حسبِهم، وترفّعُوا فوق نسبِهم، وألقوا الهجينةَ على ربِّهم، وجاحدوا اللهَ على ما صنع بهم مكابرةً لقضائِه، ومغالبةً لآلائه، فإنهم قواعدُ أساسِ العصبية، ودعائمُ

---

١– سورة الحج – ١١.

٢ – خ١٦٦، ص٢٤٠.

٣ – خ١٩٢، ص٢٩٠.

أركانِ الفتنة، وسيوفُ اعتزاءِ الجاهلية):

فإنهم دائمو الفخر بالأنساب (الاعتزاء)، فمن يركن إلى ذلك من المسلمين فإنه على نمط أهل الجاهلية.

د – وإن كان هذا النص خارج دائرة موضوعنا (الدرس العظيم)، إلا أنه له ارتباط بالرجوع إلى الجاهلية بعد رحيل النبي ﷺ: [1]

(وقال له بعض اليهود ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه! فقال عليه السلام له: إنما اختلفنا عنه لا فيه. ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال إنكم قوم تجهلون): وهذه المناظرة تسجل حقيقة أيضاً وهي أن الاختلاف في أمر الخلافة وسرعة الارتداد بعد الرسول كان مثاراً للإنتباه والسؤال وموجباً لشماتة وفرح أعداء الإسلام وعلى رأسهم اليهود. والإمام يجيبه هنا بأننا لم نختلف في شخصية النبي وفي وجوب الأخذ بما جاءنا به وامتثال أوامره، ولكن سبب الاختلاف كان ما نقله بعضهم كذباً وافتراءً على النبي فأخذ به الناس ظناً منهم أنه صدر عن النبي. والإمام في نفس الوقت لم يدافع عن الذين سببوا الاختلاف والفتنة هنا، وقد صدر منه من النقد الصريح لهم ما هو معروف.

هـ – ويدخل في هذا السياق قوله عليه السلام: [2]

(إن أولى الناسِ بالأنبياءِ أعلمهم بما جاؤوا به، ثم تلى: ﴿إن أولى الناسِ بإبراهيمَ للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾[3] ثم قال: إن وليَّ محمدٍ من أطاع الله وإن بعُدَتْ لُحمَتُه، وإن عدوَّ محمدٍ من عصا الله وإن قَرُبَتْ قرابتُه): فإن مصداق اتباع النبي ﷺ هو الالتزام بأوامره ونواهيه، وأما غير ذلك فهي الجاهلية.

---

١ – غريب كلامه رقم٣١٧، ص٥٣١.

٢ – الحكمة رقم٩٦، ص٤٨٤.

٣ – سورة آل عمران – ٦٨.

نسأل الله أن يهدينا بهدايته وأن يوفقنا لاتباع نهج محمد وآله وسلوك طريقهم المستقيم.

# الإسلام

**أولاً**: نسبة الإسلام وتعريفه

**ثانياً**: ضلال البشر وحيرتهم إذا اتبعوا أهواءهم

**ثالثاً**: الله تعالى هو مصدر الدين، ودعامتا الدين هما الشهادتان

**رابعاً**: محاسن الدين ومقاصده

## مدخل

قالَ الله العظيم في محكَمِ كتابِهِ الكريم:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام﴾ [1]

حديثنا الآتي مع الأخوات المؤمنات يدور حول الإسلام كما تحدث عنه بطل الإسلام الأول أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهجه العظيم. ويقع هذا الحديث في حلقتين إن شاء الله تعالى. ففي هذا الدرس نستعرض أربع نقاط هي:

١ - نسبة الإسلام وتعريفه.

٢ - ضلال البشر وحيرتهم إذا اتبعوا أهواءهم.

٣ - الله تعالى هو مصدر الدين، ودعامتا الدين هما الشهادتان.

٤ - محاسن الدين ومقاصده.

والعلاقة بين هذه النقاط وثيقة، لأن ضلال البشر هو باتباع أهوائهم وكون الله تعالى ليس مصدر الدين الذي يأخذون به. أما إذا كان الله تعالى هو مصدر الدين ففي ذلك الهدى والنجاة. ثم نعرض بعد ذلك لمحاسن الدين وتتمة لها نستعرض في الدرس القادم إن شاء الله تعالى بعض تشريعات الإسلام.

## أولاً: نسبة الإسلام وتعريفه

الإسلام بالمعنى اللغوي هو الاستسلام والانقياد والطاعة وتتمثل في الخضوع لهذا الدين العظيم. وفي الاصطلاح يقصد بالإسلام ما ينطبق على من شهد الشهادتين من أحكام ككونه طاهراً تحل مناكحته وذبيحته وما إلى ذلك من احكام. غير أن المعنى الأعمق والأهم هو الإسلام الكامل الذي يرقى إلى عنوان

---

١ - سورة آل عمران - ١٩.

الإيمان بمعنى أن يصل إلى مرتبة التطبيق العملي الكامل للإسلام في كل مناهجه التي تعود إلى الدين والدنيا وتتصل بالآخرة. وقد نسب الإمام عليه السلام الإسلام نسبة بين أنه انفرد بها حيث عرَّف الإسلام التعريف الكامل، وذلك قوله عليه السلام: [1]

(لأنسِبَنَّ الإسلامَ نِسْبَةً لم ينسِبْها أحدٌ قبلي. الإسلامُ هو التسليم، والتسليمُ هو اليقين، واليقينُ هو التصديق، والتصديقُ هو الإقرار، والإقرارُ هو الأداء، والأداءُ هو العمل). وهذه نسبةٌ خاصة وصلت كما بينا إلى مرتبةِ التطبيق العملي الكامل للإسلام. فقد شمل مسمى (مسلم) كلَّ من أظهر الشهادتين ولو كان منافقاً، فبظاهر الشهادتين تجري عليه أحكام الإسلام، وهذه هي النسبة العامة. أما النسبة الخاصة فهي التي تصل إلى أعماق الإنسان فيكون بداية هذه النسبة (التسليم) كقاعدة أولية بالانقياد لله تعالى في كل ما أمر ونهى. ثم هذا التسليم لا يراد منه أن لا يتجاوز اللسان، بل يراد منه يقين يخالط القلب وينفذ في الأعماق، وإلا فهو لفظ وقشر لا لبَّ فيه، وإن كان هذا التلفظ يحقن دم الإنسان ويجري عليه حكم (المسلم). ثم يترقى الإمام ليبين أن هذا اليقين لا بد وأن يعني التصديق لا سيما فيما لا يفقه الإنسان سره ولا يعرف حكمته، فيصدِّق مع هذا به لأنه تنزيل من عزيز حكيم. ثم إن هذا التصديق يرقى إلى مرحلة (الإقرار) والاعتراف ثم إلى الالتزام و (الأداء) الذي هو وظيفة كبيرة جداً تتطلب (العمل) فيكون عمل الإنسان وشعوره وفكره كاشفاً لما في أعماقه من تصديق وإقرار.

إذن فقد أراد الإمام عليه السلام هذه النسبة الخاصة و لم يرد النسبة التي يتعامل بها الناس بالعنوان الأولي العام للإسلام.

## ثانياً: ضلال البشر وحيرتهم إذا اتبعوا أهواءهم

تحدث الإمام عليه السلام عن أن البشر حين يفقدون مرشداً وهادياً، ويفقدون نظاماً وديناً، فإن كلاً منهم يتخذ من نفسه إماماً، ومن هواه قائداً. وهذا يعني

---

١ - الحكمة رقم١٢٥، ص٤٩١.

التخبط في دياجير الضلال.

فقد قال (عليه السلام): [1]

(فيا عجباً ! وما لي لا أعجبُ من خطإِ هذه الفرقِ على اختلافِ حُجَجِها في دينِها ! لا يقتَصُّون أثَرَ نبيٍّ، ولا يقتدُون بعملِ وصيٍّ، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعِفُّون عن عيب، يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات. المعروفُ فيهم ما عرفوا، والمنكرُ عندهم ما أنكروا) .

تلاحظن أن الإمام (عليه السلام) يلتفت إلى الضلال والحيرة التي تحل بالبشر حينما يتبعون أهواءهم ويشير إلى أن ذلك مثار العجب حيث أنهم متنوعون ومختلفون في الحجج ومع ذلك فهم على خطإ، و﴿كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون﴾[2]. بل كل فرد من هؤلاء يبني لنفسه من هواه ديناً يتبعه ويغض الطرف عن اتخاذ قدوة صالحة من (نبي) أو (وصي) يكون له مرشداً وهادياً فيما يتعلق بالدين والدنيا. وهم ينكرون ما لا يوافق هواهم أو ما لم تصل عقولهم إليه فهم (لا يؤمنون بغيب)، ولذلك تنحرف مسيرتهم في الأمور الاعتقادية والعبادية فـ (لا يعفون عن عيب) سواء لأنهم لا يميزون العيب من غيره، أو يعرفونه ولكن أهواءهم تدعوهم إلى ممارسته دون مبالاة، بل يستمرون في (الشبهات) فلا يهتدون، وينقادون خلف (الشهوات) فيضلون.

ونتيجةً لإقصاء التربية الإلهية تتبدل مصاديق (المعروف) و (المنكر). وذلك ما يلاحظ في حياة الشعوب على مر التأريخ من أعراف وممارسات خاصة خاطئة ولكنها أعراف لا يمكن أن تمحى عندهم. وعلى سبيل المثال يُعَدُّ معروفاً عند بعض الشعوب أن المرأة يجب أن لا تتحجب لأن الحجاب حَجْبٌ للجمال وهذا لا يليق. وهم بذلك يغفلون عما هو أهم من ذلك وهي المفاسد والأضرار التي تترتب على إقصاء الحجاب، وإقصاء التعاليم الإلهية بشكل عام.

---

١ - خ٨٨، ص١٢١.

٢ - سورة (المؤمنون) - ٥٣.

(مفزَعُهُمْ في المُعضِلات إلى أنفسِهِم، وتعويلُهُـم في المهِمّـات على آرائِهِـم، كأنَّ كلَّ امريءٍ منهم إمامُ نفسِهِ، قد أخذ منها فيما يرى بعُرَىً ثِقَـاتٍ، وأسبابٍ مُحْكَمات).

فإن ما تقدم من انحراف يقطع ارتباطهم با لله تعـالى فـلا يتوكلـون عليـه أو يفزعون إليه عند الشدائد وفي أخذ الأحكام (كأنَّ كلَّ امريءٍ منهـم إمـامُ نفسِـه) ويرى وثاقة ما يتمسك به من رأيه وأن سببه محكم حتى ولو لم يتصل با لله تعالى. وهذا هو الضلال؛ فإن اختلاف وجهات النظر قائم، فلو كان كل شـخص يعـالج كل قضية تعرض له برأيِهِ هو لضلَّ وأضـل وهـذا مما يلاحـظ بـالوجدان في حيـاة الناس وقد (ضلَّ من ليس له حكيمٌ يرشِدُه).

## ثالثاً: الله تعالى هو مصدر الدين ودعامتا الديـن همـا الشهادتان

وهذه الحقيقة هي من مقومات الدين إذ أنه يستند إلى ا لله تعالى وهو الـذي ارتضاه ﴿إنَّ الدينَ عند ا للهِ الإسلام﴾. وليس هنا من نقطة فـراغ فـإن ا لله الـذي خلق هو الذي شرع وخالق الطبيعة هو واضع الشريعة. فهو تعـالى مصـدر الديـن ومـا الأنبيـاء والرسـل والأئمـة عليهم السلام إلاّ مبلّغـون عـن ا لله تعـالى يوصلـون للنـاس تشريعه الأعظم ولذلك اختارهم معصومين يتجلى فيهم الكمال البشـري في أروع صوره. وقد جُعِلَ لهذا الدينِ دعامتان، وهمـا: التوحيـد (الشـهادة الأولى) والنبـوة (الشهادة الثانية). وقد ركز الإمام عليه السلام على هذه الحقيقة، وأنه بـدون الشـهادتين لا يكون هناك وجود للدين.

ومن ضمن حديث الإمام عليه السلام حول استناد الدين في مصدره إلى ا لله تعالى **قوله عليه السلام:** [1]

---

١ - خ٨٦، ص١١٧.

(وأنزل عليكم الكتابَ تبياناً لكلِّ شـيء، وعمَّرَ فيكم نبيَّهُ أزماناً، حتى أكملَ له ولكم -فيما أنزل من كتابه- دينَهُ الذي رضيَ لنفسِه، وأنهى إليكم -على لسانِهِ- محابَّهُ من الأعمالِ ومكارهَه، ونواهيَهُ وأوامرَه). فالله تعالى هو المصدر الذي أنزل (الكتاب) وأكمل (دينَه) وهذه نعمة ومنة عظيمة، وأوصل إلى الناس (أوامرَهُ ونواهيَه) ولكن عن طريق النبي و (على لسانِه). فإن النبي ﷺ هو القائم بأمر الدين، وقد عاش بين الناس (أزماناً) ينفذُهُ ويطبقُه ويكون قدوةً للناس في كل أمر فيعلمهم أحكام الحرب والسلم وجميع العبادات كالصلاة، والمعاملات كالتجارة وغير ذلك. وتكامل الدين لا يكون إلا بوجود التشريع المعصوم وهو القرآن الكريم ووجود من يقوم بأمره. ومن هنا تبرز الحاجة إلى الإمامة المعصومة امتداداً للنبوة المعصومة. وهذا ما أشار له الإمام عليه السلام في النص السابق.

وقد تحدث الإمام عليه السلام عن الحقيقة الأخرى وهي أن الشهادتين (التوحيد والنبوة) هما دعامتا الإسلام. فمن ضمن ذلك قوله عليه السلام: [1]

(أما وصيتي: فالله لا تشركوا به شيئاً، ومحمداً ﷺ فلا تُضيعُوا سُنَّته. أقيموا هذينِ العمودين، وأوقدوا هذينِ المصباحين، وخَلاكُم ذَمٌّ، ما لم تشرُدُوا). والتعبير الرائع للإمام عليه السلام هو أنه قدَّمَ المفعول به (الله: لفظَ الجلالة، ومحمداً) فجعله في صدر الكلام لبيان أهميته وشدِّ انتباه السامع. فقال: فالله، فينتظر السامع ما يُلقَى عليه من حكمٍ يتعلق بهذا اللفظ العظيم، فيقول: لا تشركوا به شيئاً. ثم يعطف بقوله: ومحمداً، فلا تضيعوا شريعته والتعاليم التي جاء بها. وهذا تأكيد على اقتران النبوة بالتوحيد وعدم الاستغناء بالقرآن الكريم وحده. والخطأُ الفادح في قول القائل: حسبنا كتاب الله. فإن كتاب الله نفسه يحكم بكذب هذه المقولة وضلالها وأنه لا بد من السنة مع الكتاب بقوله تعالى: ﴿وما آتاكمُ الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنهُ فانتهوا﴾[2]. ثم جمعهما الإمام عليه السلام وأمر بإقامتهما فهما

---

١ - خ١٤٩، ص٢٠٧.

٢- سورة الحشر - ٧.

للدين كالعمودين للخيمة لا تقوم بدونهما، وهما مصباحان يجدر بالناس أن يوقدوهما ليتبينوا طريق الحق. ثم يعبر الإمام (عليه السلام) تعبيراً رائعاً بقوله: (وخلاكم ذَمٌّ) أي أنكم بتمسككم بالكتاب تكونون بعيدين عن الذم وتكون أعمالكم محمودة ولكن بشرط: (ما لم تشرُدُوا).

## رابعاً: محاسن الإسلام ومقاصده

أفاض الإمام (عليه السلام) الحديثَ عن كثيرٍ من محاسن الإسلام وآثاره المباركة التي تعود على البشر بكل خير في دنياهم وآخرتهم. ونأخذ هنا ثلاثة نصوص في هذا المجال.

النص الأول: قوله (عليه السلام):[1]

(الحمدُ للهِ الذي شَرَعَ الإسلامَ فسهَّلَ شرائعَه لمن وردَه، وأعزَّ أركانَهُ على من غالبه). فهذا الدين بحكم انتمائه إلى الله تعالى له عزة، وبمقتضى العزة يكون غالباً منتصراً. وبالفعل لم يكن يدور في خاطر أحد أن هذا الدين بإمكانياته المحدودة ينجح. وكان من المنتظر أن يوأدَ في مهده فإذا به ينتصر وتدخله الناس أفواجاً بمرور الزمن، بل يعطي وعداً للمستقبل بأنه سيَظهَرُ على كل الأديان ويكون له الحكم المطلق ﴿ليظهِرَهُ على الدينِ كلِّهِ ولو كرِهَ المشركون﴾[2].

(فجعلهُ أمناً لمن علِقَه، وسِلْماً لمن دخلَه، وبرهاناً لمن تكلَّمَ به، وشاهداً لمن خاصمَ عنه، ونوراً لمن استضاءَ به...). فمن علِقه (تعلق به) فإنه يكون له أمناً وسلماً. ومن أخذه بوعيٍ فإنه لا يُغلَبُ في حجة لأن حجته مستندة إلى حجة الله تعالى و ﴿ فللهِ الحجةُ البالغة﴾[3]. وجعله الله تعالى شاهداً لمن خاصم به أو عنه،

---

١ – خ١٠٦، ص١٥٣.

٢ – سورة التوبة – ٣٣، وسورة الصف – ٩.

٣ – سورة الأنعام – ١٤٩.

ونوراً يستضاء به لأنه هدي الله تعالى.

(وراحةٌ لمن فوّض): لأن من يستشعر أن كل شيء بيد الله تعالى وأنه المالك الذي أعطاه ما أعطى ومنعه ما منع، فإنه يفوض الأمر كله لله تعالى فيكون في راحة.

(وجُنةٌ لمن صبر): أي وقاية في الدنيا والآخرة لمن صبر عن المحرمات وصبر على الطاعات وصبر في الشدائد.

(فهو أبلجُ المناهج، وأوضحُ الولائج، مشرَفُ المنار، مشرقُ الجواد، مضيءُ المصابيح، كريمُ المضمار، رفيعُ الغاية، جامعُ الحلَبة، متنافِسُ السُّبقة، شريفُ الفرسان...).

طُرُقُ الإسلام (مناهجه) هي أشد الطرق ضياءً (أبلج). والولائج هي البطانة والخاصة والمعنى أن أموره أكثر الأمور وضوحاً وكذلك الجواد (جمع جادة وهي الطريق) مشرقة مضيئة. وهذه الأوصاف حقائق في تشريع الإسلام الذي يؤخذ من مصادره الصحيحة التي تمثله، وليس ما يؤخذ من ممارسات المسلمين فإنها مع بالغ الأسف شيء آخر. فلهذا من الخطإ أن يُحكَمَ على الإسلام بأفعال المسلمين إذ تصدر منهم أفعال غير إسلامية. وأما قوله ﷺ: شريف الفرسان، فهو يهيب بالملتزمين بالإسلام أن يستشعروا هذا الشرف وهذه النعمة بكونهم فرسان الدين.

(والموتُ غايتُه...). وهذه العبارة لها معنيان محتملان وهما متقاربان أيضاً. الاحتمال الأول أن يكون المعنى أنه لا تكليف بعد الموت. والاحتمال الثاني أنه من مقوّمات الدين تأكيده على أنه لا خلود في الحياة فينبغي للإنسان أن يتزود بفعل الصالحات ما دام يعتقد بالآخرة.

(والجنة سُبْقَته): فهي الجائزة بعد كل هذا التسابق في الدنيا، وأَعْظِمْ بها من جائزة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

النص الثاني: هو قوله عليه السلام: [1]

(إِنَّ الله تعالى خصَّكم بالإسلام، واستخلصَكم له، وذلك لأنه اسمُ سلامة...). وهذا تشريف لمن ظهر نور الإسلام بينهم وإن كان للبشر جميعاً. وقوله عليه السلام: اسم سلامة، وصفه الشُّرَّاحُ بأنه تعبير من أروع وأجمع التعبيرات فهو سلامة في الدنيا والآخرة، وسلامة للجوارح والفكر والمشاعر.

(قد أحمى حماه...) أي صان الله تعالى دينه وجعل له حمىً وحدوداً لا يتعداها العباد.

النص الثالث: هو قوله عليه السلام: [2]

(ثم إنَّ هذا الإسلامَ دينُ اللهِ الذي اصطفاهُ لنفسِه...).

هذا التعبير هو من أروع التعابير فقد جاء أن الله تعالى مكَّنَ العباد من التشبه به أي التأدب بآدابه المتمثلة في الإسلام الذي اصطفاه الله لنفسه فيدلل على آدابه، وهذا غاية الحث على التوجه إلى الكمال والسمو، فلا يليق بعد ذلك الاقتداء بالبهائم في عموم الممارسات.

(أذلَّ الأديانَ بعزَّتِه): والمقصود إن كانت الأديان السماوية أنه نسخها، أو المقصود الأديان الوضعية وأنه أذلها بغلبته عليها.

---

١ - خ١٥٢، ص٢١٢.

٢ - خ١٩٨، ٣١٣.

# الإسلام

أولاً: جامعية الإسلام لكل الفضائل

ثانياً: حاجة الدين للجماعة

ثالثاً: إنــذار بالشــر وتحذيـر مـن العواقـب الوخيمـة لـترك المســلمين الإسلام

## مدخل

قالَ اللهُ العظيم في محكَمِ كتابِهِ الكريم:

﴿إنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلام﴾[1]

﴿ومن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقْبلَ منه﴾[2]

تتميماً للحديث السابق نتحدث في هذا الدرس عن أمور تتعلق بتشريعات الإسلام. وهذه الأمور هي:

١- جامعية هذا الدين لكل الفضائل. ومن ذلك ما هو محض تعبد وتعليم خاص من الله تعالى يتعلق بجملة من العبادات.

٢ – حاجة الدين إلى الجماعة.

٣ – إنذار بالشر لترك المسلمين الإسلام والعواقب الوخيمة من وراء ذلك.

## أولاً: جامعية الإسلام لكل الفضائل

وأداءً لحق البحث ينبغي أن نعترف أن استيفاء النصوص حول جامعية الإسلام للفضائل سواء ما يتعلق بالاعتقاد أو بالعبادات والمعاملات أو الأخلاق – يحتاج إلى توسع كبير لا يسعنا في هذا الدرس بطبيعته. ولذلك نجدد الدعوة لقراءة هذا النهج الخالد للاطلاع الواسع على جوانب جامعية الإسلام لكل الفضائل. ونأخذ هنا نماذج لما ذكره الإمام عليه السلام حول هذه الجامعية.

أ – قال عليه السلام متحدثاً عن مصدر الإسلام:[3]

---

١ – سورة آل عمران – ١٩.

٢ – سورة آل عمران – ٨٥.

٣ – خ١٨، ص٦١.

(أمْ أنزلَ ا للهُ سبحانهُ ديناً ناقصاً فاستعانَ بهم على إتمامِه!): جديث الإمام عليه السلام هنا ينعى فيه على العلماء اختلافهم في الفتوى ويذمُّ اختلاف أهل الرأي الذين لا يعوِّلون على المقاييس الصحيحة ولا يأخذون العلم من مصادره، ويبين قبال ذلك أمر الإسلام وكماله وجامعيته للفضائل.

(أمْ كانوا شركاءَ لهُ فلهم أن يقولوا، وعليه أن يرضى؟): فالتشريع إنما هو من ا لله تعالى وحده فهو الحكيم العليم بما يصلِحُ البشر، فعلى الناس أن يرضَوا ويسلِّموا. فلا تنقلب الموازين بعد ذلك لتغير هذه الحقيقة الجوهرية. فالعمل بالهوى والقياس والظنون يغير الحقائق ويصرف عن الحق ﴿فماذا بعد الحق إلاّ الضلال﴾[1].

(أمْ أنزلَ ا للهُ سبحانهُ ديناً تاماً فقصَّر الرسولُ صلى الله عليه وآله عن تبليغِهِ وأدائِه). وهذا استفهام إنكاري من الإمام عليه السلام أن يظَنَّ أن التقصير من الرسول صلى الله عليه وآله، ثم يستدل الإمام بالقرآن الكريم لمن يؤمن به ويعتقد أنه تشريع إلهي، بقوله عليه السلام:

(وا للهُ سبحانهُ يقول: ﴿ما فرَّطْنا في الكتابِ من شيء﴾[2] و فيه تبيانٌ لكلِّ شيء[3]، وذكَرَ أنَّ الكتابَ يصدِّق بعضُهُ بعضاً، وأنه لا اختلافَ فيه فقالَ سبحانه: ﴿ولو كانَ من عندِ غيرِ ا للهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[4] فهو محكم لا يناقض أو يخالف بعضه.

(وإنَّ القرآنَ ظاهرُهُ أنيق، وباطنُهُ عميق، ولا تفنى عجائبُه، ولا تنقضي غرائِبُه، ولا تُكشَفُ الظلماتُ إلاّ به): فظاهر القرآن الكريم أنيق (حَسَنٌ معجِب) وهذا تعبير عن بلاغته وحسنه. وباطنه عميق، ولهذا قال ا لله تعالى: ﴿وما يعلم

---

١ – سورة يونس – ٣٢.

٢ – سورة الأنعام – ٣٨.

٣ – قوله تعالى: ﴿وأنزلنا عليك الكتابَ تبياناً لكلِّ شيء﴾. سورة النحل – ٨٩.

٤ – سورة النساء – ٨٢.

تأويلَهُ إلاّ اللهُ والراسخونَ في العلم﴾[1]، ولا تفنى عجائبه؛ فكلما ازداد الإنسان فكراً وتأملاً اكتشف أسراراً وعجائبَ في قرآن الله الكريم.

إذن نستفيد من حديث الإمام (عليه السلام) حول اختلاف أصحاب الرأي وحديثه عن دعامة الإسلام الأولى القرآن الكريم وإشارته إلى كفاءة المبلغ الرسول (صلى الله عليه وآله) نستفيد من كل ذلك جامعية الإسلام للفضائل.

ب- وتحدث عن مكانة الإيمان فقال (عليه السلام): [2]

(إنَّ أفضلَ ما توسَّلَ به المتوسِّلونَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، الإيمانُ به وبرسولِه).

يعرض الإمام (عليه السلام) جملة من التشريعات لا بنحو الحصر، وإن كانت هذه التشريعات بمكان من الأهمية البالغة وهي أساس مهم في تشريع الإسلام. وقد قدَّم الإمام حديثه ووصفها بأنها أفضل ما يتوسل به المتوسلون ويقربهم إلى الله تعالى زلفى. فالأمر الأول منها الإيمان بالله وهو الدعامة الأولى، والتعبير بالإيمان مرتبة أخرى فوق مجرد إظهار التوحيد، ويعني الاعتقاد الصحيح الراسخ والالتزام الكامل، ثم ذكرَ النبوة (الدعامة الثانية) للإسلام.

بعد ذلك أشار الإمام إلى تشريعات على جانب كبير من الأهمية ولكلٍّ خصائصه وفضله؛ فقال (عليه السلام):

(والجهادُ في سبيلِه، فإنهُ ذروةُ الإسلام). والوجدان أعظم برهان على ذلك؛ فإن هذا الدين لو لم تكن له قوة تحميه لكان ضائعاً لأنه لا حقَّ إلا بالقوة. وليس يعني هذا اعتماد الدين على السيف وإلزامه الناس بالقوة والإيذاء فهذا ليس من الدين في شيء. بل القوة سبب لحفظ الدين من جانب، ولتطبيق أوامره على الناس من جانب آخر. ولذلك احتاج الدين فيما احتاج إلى نصرة أبي طالب (عليه السلام)

---

١ - سورة آل عمران - ٧.

٢ - خ١١٠، ص١٦٣.

خاصة في الظروف الحرجة لبداية الدعوة. واحتاج في كل أدواره وحتى كانت له الغلبة والنصر إلى سيف بطل الإسلام أمير المؤمنين عليه السلام. فقد كان هناك فئات لم تكن تذعن وتنقاد للدين، ولم يكن للدين أن يبقى ويدافع عن نفسه لولا قوة الجهاد. وهذا مظهر من مظاهر حاجة الدين إلى الجماعة كما سنتحدث -إن شاء الله تعالى- في النقطة الثانية.

(وكلمةُ الإخلاصِ فإنها الفطرة) التي فطر الله الناس عليها.

(وإقامُ الصلاةِ فإنها المِلّة). وليس نمط النهج مخالفاً لنمط القرآن الكريم، وليس النهج كالمؤلفات الأخرى في تنظيمه وجهات بحثه، بل هو يعرض لموضوعات عدة وأمور كثيرة في عبارات قصيرة. ويذكر الإمام هنا أن مفهوم الملّة لا يكون له مصداق في الخارج إلاّ بإبراز إقامة الصلاة. وإقامة الصلاة شيء فوق أدائها، فالإقامة تعني الإتيان بها في حدودها وبشروطها المعينة والتأثر بعطائها. ومن ذلك الخطاب للمعصوم عليه السلام في بعض الزيارات: (أشهد أنك قد أقمتَ الصلاة). فمن يؤدي الصلاة كثيرون، ولكن لا يقيمها إلا أهلها العاشقون لها العارفون بها.

(وإيتاءُ الزكاةِ فإنها فريضةٌ واجبة). وهذا التشريع يدخل في محاسن الإسلام كما يدخل في جامعيته. فبعد أن ذكر الإمام عليه السلام ما به حفظ الدين وهو الجهاد، وذكر جانباً روحياً من التشريع وهو الصلاة- يذكر هنا جانباً مادياً يتعلق بالحياة واقتصاد الأمة. وفي ذلك ما لا يخفى من إعانة المحتاج والقضاء على الفقر الذي يكاد يكون كفراً.

(وصومُ شهرِ رمضانَ فإنهُ جُنةٌ من العقاب). فامتناع الإنسان عن الطيبات المباحة طاعة لله تعالى وتقرباً له يوجب له غفران الذنب والأمن من عقاب الآخرة.

(وحجُّ البيتِ واعتمارُهُ فإنهما ينفيانِ الفقرَ ويرحَضَانِ الذنب). ولا يخفى أن في هذه العبارات مجالاً واسعاً جداً للحديث عن أسرار التشريع وجوانب

الحكمة البالغة في التشريعات، وهذا الدرس بطبيعته ومحدودية وقته لا يسع للتوسع كثيراً في ذلك إلا أننا نأخذ القدر اللازم الذي يفي بالغرض، فالإمام (عليه السلام) يشير هنا إلى علاقة بعض التشريعات الدينية بخير الدنيا أيضاً، وهذه العلاقة هي من الأسرار وإن كان لها بعض الجهات الظاهرة كالتجارة التي تحصل في الحج فيكون بسببها نفي للفقر، وإلا فالسبب أن لمثل هذه العبادة الجليلة المهمة خصوصية في استمطار الرزق وإنمائه وبركته، كما أن الحج والعمرة يرحضان (أي يغسلان ويزيلان) الذنب.

ثم يعطف الإمام على جهة أخلاقية وإنسانية يؤكد عليها في ضمن حديثه عن أركان الدين ودعائمه وتشريعاته الكبيرة، فيقول (عليه السلام):

(وصِلَةُ الرحِمِ فإنها مثراةٌ في المال، ومنسأةٌ في الأجل). وهذه أيضاً خصوصية لهذا التشريع بطبعه، ولعل من الروابط بين الأمرين أن إطالة العمر سبب في استحصال الرزق ونماء المال.

(وصدقةُ السرِّ فإنها تكفِّرُ الخطيئة، وصدقةُ العلانية فإنها تدفعُ مِيتةَ السوء). وهذه دعوة إلى العمل وخاصة التصدق في السر والعلانية ولكلٍّ مميزاته وفضله، وبالإضافة إلى ما ذكر هنا فإن صدقة العلانية فيها دعاية لها وحث الناس عليها، ولهذا كان الإمام الرضا يأمر ولده الإمام الجواد (عليهما السلام) وهو بعد غلام أن يخرج من مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماراً بالشارع العام ويكون عنده المالٍ حتى يراه المحتاجون فيعطيهم فيسدُّ حاجتهم ويكون بذلك إشاعة للصدقة وحثٌ عليها.

(وصنائعُ المعروفِ فإنها تقِي مصارعَ الهوان)[1]. وهذه كلمة جامعة للمعروف وإن له أثراً في إبعاد الهوان والذل عن الإنسان في حياته وعند مماته.

---

١ - وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (صنائع المعروف تقي مصارع السوء). وسائل الشيعة، ج١١، ص٥٢٢.

ج - وتحدث الإمام عليه السلام عن الصلاة وموقعها: [1]

(تعاهدوا أمرَ الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرَّبوا بها، فإنها ﴿كانت على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً﴾[2]. ألا تسمعونَ إلى جوابِ أهلِ النارِ حين سُئِلوا: ﴿ما سلككم في سقر ۞ قالوا لم نكُ من المصلين﴾[3]. وإنها لَتَحُتُّ الذنوبَ حتَّ الورق، وتطلقُها إطلاقَ الرِّبَق، وشبهها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالحَمَّةِ تكونُ على بابِ الرجل، فهو يغتسلُ منها في اليومِ والليلةِ خمسَ مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن؟...). في هذا النص الشريف بيان لأهمية الصلاة وأنها تقربٌ إلى الله تعالى. وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (الصلاةُ قربانُ كلِّ تقي)[4]. وكذلك يبين الإمام عقوبة تاركها ودورها في مغفرة الذنوب وأنها تحتها كالورق وتطلقها كالربق (الحبال)، ومَثَلُها كالحَّمة وهي المياه المعدنية الحارة أو مطلق المياه الحارة التي بطبيعتها تنقي البدن مما يعرض له من الدرن أي القذارة والوسخ. وفي هذا التشبيه لا يُقصَدُ طهارة البدن فقط. فالصلاة تتطلب الوضوء أو الغسل وفي هذا طهارة للبدن، ولكن الطهارة بالصلاة تشمل طهارة الروح فتزيل ما يحول بينها وبين الخشوع والخضوع لله تعالى من الذنوب وأمراض النفس. ثم يتحدث عن الزكاة بقوله عليه السلام:

(ثم إن الزكاةَ جُعِلَتْ مع الصلاةِ قرباناً لأهلِ الإسلام، فمن أعطاها طيبَ النفسِ بها، فإنها تُجعَلُ له كفارةً، ومنَ النارِ حجازاً ووقاية. فلا يتبِعَنها أحدٌ نفسَه، ولا يُكثِرَنَّ عليها لَهَفَه...) والتعبير بـ (أهلِ الإسلام) أسلوب رائع وله دلالة مهمة في أن من يدع أمر الزكاة فقد خرج على الأقل عن مظهر الإسلام. ثم يعالج

---

١ - خ١٩٩، ص٣١٦.

٢ - سورة النساء - ١٠٣.

٣ - سورة المدثر - ٤٢، ٤٣.

٤ - الكافي ٣/٢٦٥.

* يمكن مراجعة نصوص أخرى حول النقطة الأولى فمن ذلك:
الخطبة رقم١، ص٤٥، وَ الحكمة رقم١٥٢، ص٥١٢، وتمام النص في ص٣١٦ وَ ٣١٧.

الإمام عليه السلام قضية من أشد القضايا وهي حرص الإنسان على المال واعتباره إياه سرَّ حياته ووجوده. وأن نتائج ذلك الحرمان من الأجر والندم نتيجة لمنع الزكاة أو إعطائها بغير طيب نفس.

د- وفي واحدة من روائعه تحدث حول آثار بعض العبادات فقال عليه السلام:[1]

(وعن ذلك ما حرَسَ ا لله عبادَهُ المؤمنين بالصلواتِ والزكوات، ومجاهدةِ الصيامِ في الأيامِ المفروضات، تسكيناً لأطرافِهم، وتخشيعاً لأبصارِهم، وتذليلاً لنفوسِهم، وتخفيضاً لقلوبِهم، وإذهاباً للخُيَلاء عنهم...). وفي ذلك بيان لبعض أوجه الحكمة المهمة من بعض العبادات وأثرها على الجوارح وكذلك أثرها العظيم على الجوانح.

## ثانياً: حاجة الدين للجماعة

وقد يكون هذا التعبير غريباً باعتبار أن المعروف لدينا أن الجماعة بل كل البشر تحتاج إلى الدين فيضمن سعادتها ونجاتها، فما معنى أن الدين بحاجة إلى الجماعة. والجواب أن الدين مجموعة من المعارف والتشريعات التي لو كانت مقتصرة على وجودها في كتاب مقدس أو مقتصرة على فئة معينة من حملة الدين المؤمنين به لما استفاد منها البشر. فلا بد إذن من جماعة تأخذ على عاتقها نصرة الدين وتقوم بتنفيذه بين الناس وتبلغه ليكون ديناً لهم. ولا يعني هذا -بالطبع- حاجة ا لله تعالى للبشر بل يعني أن أمر الدعوة يحتاج إلى من يقوم به ويدافع عنه كما أشرنا إليه في النقطة الأولى حول موضوع الجهاد.

ومن النصوص حول هذه النقطة قوله عليه السلام: [1]

(ولقد كنا مع رسول ا لله صلى الله عليه وآله نقتل آباءَنا وأبناءَنا وإخواننا وأعمامنا: ما

---

١ - خ١٩٢، ص٢٩٤.

١ - خ٥٦، ص٩١.

يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومُضياً على اللَّقَم، وصبراً على مضَضِ الألم وجِدّاً في جهادِ العدو....). في الواقع إن هذا الحديث مثير وهو يكشف عن مدى تغلغل الإسلام في نفوس من آمن به وفضلهم في وصوله إلينا، وإن كان مصدر الفضل هو الله تعالى، وللرسول ولأمير المؤمنين الفضل الأكبر في ذلك.

وهو هنا يتحدث عن وضع المسلمين بشكل عام يوم آمنوا بالإسلام وتقدموا لأجله في ساحات الجهاد، مسلّمين ماضين على اللّقم وهي جادة الطريق أو معظمه، والمقصود طريق الحق الواضح.

(فلما رأى الله صدقَنا أنزلَ بعدوِّنا الكبْت، وأنزلَ علينا النصرَ حتى استقرَّ الإسلامُ ملقياً جِرَانَه، ومتبوئاً أوطانَه. ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود...). فالصدر الأول الذين شيدوا دولة الإسلام لهم الفضل في قيامه بها، حتى ألقى الإسلام جرَانه وهذا التعبير في معناه الأولي هو إلقاء البعير منحره (جرانه) على الأرض تعبيراً عن استقراره واطمئنانه، والمعنى المجازي هنا استقرار الإسلام. والإمام في معرض المقارنة بين جيش الرسول وبين جيشه يوم صفين وأن أولئك لو كانوا كهؤلاء لما قام للإسلام عمود أو كانت له الغلبة والنصر. ثم يقول عليه السلام:

(وأيمُ اللهِ لتحلبنَّها). والمنتظر أن ما يحلب يكون لبناً سائغاً فيه الخير والفائدة، لكنه يقول:

(دَماً) كناية عن العواقب الوخيمة لتركهم الدين.

(ولتتبعُنها ندماً). وهذا إنذار أيضاً بالشر كما سنتحدث عنه في النقطة الثالثة التالية.

## ثالثاً: إنذار بالشر وتحذير من العواقب الوخيمة لترك

وهذا تعبير رهيب في واقع الأمر، إلا أن وجود العواقب الوخيمة لترك عملٍ ما دليل على أهميته وأحقيته. فإذا كان الأمر في فعل أو ترك العمل سواء كان هذا العمل وضيعاً ليس له هيبة أو أهمية في حياة البشر. فللدين إذن هذه الهيبة وهذه الحساسية والأهمية الخاصة بحيث أنه إذا طُبِقَ فإنه يضمن سعادة البشر ورقي المجتمعات، وإذا ترِكَ فإن نتيجة ذلك انتشار الجهل والفساد وهيمنة الظلم، بل ما هو وراء ذلك ألا وهو الحساب والعذاب يوم القيامة. ﴿وأن لو استقاموا على الطريقةِ لأسقيناهم ماءً غَدَقاً﴾[1]. ﴿ولو أنَّ أهلَ القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماءِ والأرضِ ولكنْ كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[2]، ﴿وإن ربَّكَ لبالمرصاد﴾[3].

ومما قاله عليه السلام في هذا الإنذار والتحذير:

أ – قوله عليه السلام:[4]

(فمن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً تتحقّقْ شِقوتُه، وتنفصِمْ عُروتُه، وتعظُمْ كَبوتُه، ويكنْ مآبُهُ إلى الحزنِ الطويل، والعذابِ الوبيل). وهذه العواقب لترك الدين يقرِّرها الإمام عليه السلام كما قرَّرها الله تعالى في كتابه الكريم. فإن نتيجة الأخذ بالإسلام السعادة وعاقبة تركه الشقاء وانفصام العرى المربوطة الوثيقة والكبوة والوقوع في الأمر الشائك والخطيئة الكبيرة، ثم يؤدي ذلك إلى الحزن الطويل (في الدنيا) والعذاب الشديد (في الآخرة).

ب – وفي إحدى كلماته القصيرة الجامعة قال عليه السلام:[5]

---

١– سورة الجن – ١٦.

٢ – سورة الأعراف – ٩٦.

٣ – سورة سورة الفجر – ١٤.

٤ – خ١٦١، ص٢٣٠.

(لا يترك الناسُ شيئاً من أمرِ دينِهم لاستصلاحِ دنياهم إلاّ فتحَ الله عليهم ما هو أضرُّ منه). ولعلَّ المصداق العملي لذلك ملاحظة البشر في تاريخهم الطويل، بل ملاحظة أهل المنطقة الصغيرة، بل ملاحظة الإنسان لنفسه ليرى العواقب التي تنزل عند ترك الدين والإعراض عنه رغبةً في الدنيا، فإذا بالخسارة والضرر يكون أكثر. فقد يلهو الإنسان بالمال ويضيعُ حقَّ الله تعالى حرصاً منه على المال فإذا بجوانب الشر من مرض أو موت أو مصيبةٍ ما أو خذلان في الدنيا تسارع إليه بسبب اختياره السيء.

إذن فهذه عواقب يحذِّر الإمام عليه السلام عنها ويرشد إلى أن سبيل النجاة منها هو اتباع دين الله تعالى ﴿ومن أعرضَ عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[1]. ﴿ومن يعشُ عن ذكرِ الرحمنِ نُقَيِّضْ له شيطاناً فهو له قرين﴾[2] وأي عاقبة أشد من ذلك؟

نسألُ الله تعالى أنْ يَبصرَنا دينَه، وأن يعرِّفَنا أحكامَه، وحلالَهُ وحرامَه، ويحيينا حياةً طيبةً على نهج محمد وعلي وآلهما، عليهما وآلهما الصلاةُ والسلام.

---

٥ – خ١٦١، ص٢٣٠.

١ – سورة طه – ١٢٤.

٢ – سورة الزخرف – ٣٦.

# سيرة النبي وارتحاله إلى الرفيق الأعلى

أولاً: حياة النبي ﷺ

ثانياً: النبي أكمل الخلق

ثالثاً:النبي الأمان والرحمة

رابعاً: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾

خامساً: الفاجعة الكبرى بارتحال النبي ﷺ

## مدخل

قالَ اللهُ العظيم في محكَمِ كتابِهِ الكريم:

﴿ماكان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم ولكنْ رسولَ اللهِ وخاتمَ النبيين﴾ (١)

رغبتُ أن يكون هذا الحديث مسك الختام لأحاديث النبوة بالحديث حول خير الأنام وخاتم النبيين ﷺ في جملة من شؤونه ومواقفه، ثم ارتحاله إلى الرفيق الأعلى.

## أولاً: حياة النبي ﷺ

وهي حياة عجيبة حافلة بالمواقف. فمما يثير الانتباه حقاً أن هذا الرجل العظيم بما يملك من مقام كبير ومنزلة من الله تعالى وسيادةٍ للمجتمع وأفضلية على الخلق وبما يحمل من سائر الكمالات- نجد أن شؤونه في نفسه ومع أهله وصلته بالناسِ وعموم أدوار حياته كلها مواطن تستوجب منا الوقوف والتأمل فيها طويلاً. وهذا التأمل في هذه السيرة العظيمة لا شك أنه يقوي إيماننا بمقام الرسول العظيم الذي هو برهان بذاته على حسن اختيار الله تعالى له وأهليته لتحمل أعباء الرسالة الكبيرة. وهذا أمر مهم جداً في المقام. وفي هذا المجال يتحدث الإمام عليه السلام عن يوميات النبي وممارساته الطبيعية التي كان يحياها: (٢)

(ولقد كان ﷺ يأكلُ على الأرض، ويجلِسُ جلسةَ العبد، ويخصِفُ بيدِهِ نعلَه، ويرقّعُ بيدِهِ ثوبَه، ويركبُ الحمارَ العاري ويُردِفُ خلفَه): وذلك مظهر التواضع من هذه النفس الفذة التي هي بالأفق السامي، ومع ذلك فهو يجلس ليأكل على الأرض. ولم يأخذ به منصب النبوة والسيادة بل والطباع البشرية التي تلازم

---

١- سورة الأحزاب - ٤٠.

٢ - خ١٦٠، ص٢٢٨.

المناصب العليا بطبعها، فهو مع كل ذلك يجلس كالعبد، وهو أنموذج آخر مغاير لكل هذه الاعتبارات فبيده يصلح نعله، وثوبه مرقوع وراقعه هو نفسه. وأما مركبه فلا سروج من ذهب عليه ولا بطائن من حرير بل هو المركب العادي الذي يساويه في ذلك بعامة الناس ويُركِبُ عليه معه (يردف) من يكون من الناس.

(ويكون السترُ على بابِ بيتِهِ فتكونُ فيه التصاويرُ فيقول: "يا فلانةُ - لإحدى أزواجِهِ- غيبيهِ عني فإني إذا نظرتُ إليه ذكرتُ الدنيا وزخارِفَها"...): فقد أعرض عنها وزهد فيها بقلبه وصرفها عن نظره كما صرفها عن فكره (لكيلا يتخذَ منها رياشاً ولا يعتقدها قراراً...) فيعمرها ويعمل لها ويهيء له فيها أسباب النعيم بل هو يعتقدها -كما هي- ممرّاً عاجلاً إلى الآخرة. هذه حياة مميزة ونفسية فذة سمت من السمو ما تحار به العقول.[1]

## ثانياً: النبي أكمل الخلق

لا شك أن مظهر الشجاعة ومظهر القوة التي دافعت عن الإسلام وأعزته تَمثّلَ في بطولات أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولكن ينبغي أن لا يُغفل عن حقيقة أن النبي (صلى الله عليه وآله) هو أشجع الناس من غير حاجة إلى شهادة أحد. وكذلك هو الأمر في الخطابة والبلاغة فمظهرها وشمسها هو أمير المؤمنين، ولكن النبي هو أبلغ الناس وقد أوتي جوامع الكلم، وهكذا هو الأمر في كل فضيلة لأن النبي لا بد وأن يكون أكمل الناس ليكون لائقاً بهذا المنصب، وهذا ما يقتضيه الاعتقاد الصحيح كما أنه مما تشهد به سيرة النبي (صلى الله عليه وآله). والإمام (عليه السلام) يقرِّر هذه الحقيقة بل جاء في بعض تعبيراته: (أنا عبدٌ من عبيدِ محمد). والشهادة من الإمام (عليه السلام) لها قيمتها الخاصة نظراً للشجاعة الكبيرة التي اتصف بها فتكون شهادته شهادة الخبير العارف المختص.

---

١ - من المفيد مراجعة كتاب (سنن النبي) للسيد الطباطبائي صاحب الميزان.

سجل الإمام عليه السلام شهادته فقال: [1]

(كنا إذا احمرَّ البأسُ اتّقينا برسولِ الله صلى الله عليه وآله فلم يكن أحدٌ منا أقربَ إلى العدوِّ منه). وليس بعد هذا الوصف وصف فعند اشتداد البأس يكون الرسول درعاً للمسلمين وأقربهم إلى العدو. وقد علم الجميع شجاعة أمير المؤمنين فهذا الأمر إذاً ليس ضعفاً فيه أو خوفاً في بعض الأوقات بل هو دلالة وشهادة بشجاعة النبي التي لا تضاهيها شجاعة. فكون النبي له عريش في المعركة يوجِّهُ منه أصحابه ويشاورهم لا يعني بُعدَه عن القتال. ولكن اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يباشر الرسول سفك الدماء بنفسه بكثرة وإن كان هذا في سبيل الله، وذلك لأنه صاحب الدعوة الأول وهو مظهر الرحمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾[1] فاقتضى الأمر أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة الشخص الثاني في الدعوة ونفس النبي علي عليه السلام. وشتان بين شجاعة النبي والوصي من جهة وبين ما كان عليه غيرهما كالأول والثاني اللذين يعتذر لهما ابن أبي الحديد بقوله:

عذرتُكما إن الحِمامَ لمبغضٌ    وإن بقاءَ النفسِ للنفسِ محبوبُ

مذكراً بفرارهما يوم أحد، وعودتهما منهزمين من خيبر يجبن كل منهما أصحابه ويجبنونه، ولا يخفى أن هذا العذر هو في حدِّ ذاته ذمٌّ لهما.

## ثالثاً: النبي الأمان والرحمة

كما يعرف من التأريخ أن الأمم السابقة كانوا يعاجَلون بالعقوبة والعذاب عند تكذيبهم للرسل. إلا أن أمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله كانت آمنةً من العذاب والعقوبة في الدنيا وما ذلك إلا لامتياز الرسول على بقية الرسل برحمةٍ إلهية خاصة وشاملة، ولهذا يُطلب منه أن يدعو على قومه فيدعو لهم لا عليهم قائلاً: (اللهم

---

١ – غريب كلامه رقم٩، ص٥٢٠.

١ – سورة الأنبياء – ١٠٧.

اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون).

وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: [1]

(كان في الأرضِ أمانانِ من عذابِ الله، وقد رُفِعَ أحدُهما، فدونكمُ الآخرَ فتمسكوا به: أما الأمانُ الذي رُفِعَ فهو رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وأما الأمانُ الباقي فالاستغفار. قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾[2].

قال الرضي: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

ويلاحظ تركيز كثير من الروايات والآثار على هذه الناحية في حق النبي وفي حق آله وأنهم سببٌ لرحمة الله تعالى لعباده وإخراج الخيرات من الأرض وإنزالها من السماء. وينبغي أن يلاحظ أن رفْعَ الأمان لا يعني رفع الخير والبركات الأخرى للرسول بعد ارتحاله للرفيق الأعلى فخيره وبركاته والرحمة به باقية. وهذه ليست قضية جزئية بل هي أمور تكوينية تتعلق بالكون ونظامه، إضافةً إلى انتفاع الناس العظيم بالدعوة التي شيدها الرسول وتركها لهم إن تمسكوا بها.

## رابعاً: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [2]

ولا يعنينا -هنا- الحديث عن الوسيلة ببيان أنها ليست مظهراً للشرك -والعياذ با لله- أو ليست مظهراً لعدم التوكل على الله تعالى والثقة برحمته، مع تمام وثوقنا بصحة معتقداتنا ووضوحها ورسوخها وقيام الدليل التام عليها وبعدها عن أدنى مغالطة أو شك، بل يعنينا بيان ارتباطها بشخص الرسول الأعظم بالدرجة الأولى، فالرسول بما يملك من قدسية ونفسية فذة جعل الله تعالى وجوده رحمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وقد قال صلى الله عليه وآله: (أنا الرحمةُ المهداة). ولكون

---

١ - الحكمة رقم٨٨، ص٤٨٣.

٢- سورة الأنفال - ٣٣.

حرمته حياً كحرمته ميتاً ولبقاء بركاته فإن الصلة به لم تنقطع بارتحاله إلى الرفيق الأعلى بل هذه الصلة باقية. ويلاحظ كما تشير إليه الروايات أنه لو لم يخلّد ذكر الرسول في القرآن الكريم ويكون له وجود في الشعائر الإسلامية ومنها الأذان، وكذلك العبادات كالصلاة، لنسِيَ ذكره الشريف ونسيانه حرمان من الخير والعطاء. وهذا الخلود هو مصداق لقوله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرَك﴾[1].

إذن فهو بهذا المقام حينما يُتّخَذُ وسيلةً إلى الله تعالى إنما لأنه العبد المرتضى والحبيب المصطفى ونحن نستعين به لغفران الذنب وتهذيب النفس الأمارة بالسوء ولعموم الخير والرحمة ﴿ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسَهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفرَ لهم الرسولُ لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾[2].

وبين عليه السلام أدب مسألة الله تعالى فقال: [3]

(إذا كانت لك إلى اللهِ سبحانه حاجةٌ فابدأ بمسألةِ الصلاةِ على رسولِهِ صلى الله عليه وآله ثم سلْ حاجتَك، فإن الله أكرمُ من أن يُسألَ حاجتين فيقضيَ إحداهما ويمنعَ الأخرى). فسمّى الصلاة مسألة لأنك تسأل الله أن يصلي عليه، وكما نعتقد -وهو الحق- أن الله لا يرضى ورسوله لا يرضى بالصلاة البتراء إنما يرضى الله تعالى ويرضى رسوله بالصلاة التي شرَّعها الله تعالى. فيصلي صاحب الحاجة قائلاً: اللهم صلِّ على محمدٍ وآلِ محمد وهذه المسألة مقضية لحب الله تعالى لرسوله، فإذا سأل السائل بعدها بمسألته المشروعة قضاها الله تعالى لأنه أكرم من أن يمنع حاجة وقد قضى أخرى، وذلك بغض النظر عن وجه استجابة الدعاء، فقد يستجاب سريعاً وقد يؤجل في الدنيا وقد يؤخر ويدَّخر للآخرة، وقد يدفع الله به بلاء عن السائل.

---

١- سورة الشرح - ٤

٢ - سورة النساء - ٦٤.

٣ - الحكمة رقم٨٨، ص٤٨٣.

## خامساً: الفاجعة الكبرى بارتحال النبي صلى الله عليه وآله

وهذه الفاجعة ألَمّت بالدرجة الأولى بالإمام عليه السلام لأن الشخص إنما يتأثر بارتحال العظيم بقدر ما يدرك من مقامه. ومن هذا ما حدثني به أحد أجلاء أساتذتي أن الشيخ عبدالحسين الأميني صاحب الغدير كان يأتي لحرم أمير المؤمنين عليه السلام كل ليلة فيستقبل الضريح ساعة كاملة يتفجر بركاناً من البكاء، لأنه كان يعرف الكثير عن مقام ومظلومية أمير المؤمنين عليه السلام ولهذا فإن تأثر الإمام وتصويره لرحلة النبي إنما هو ناتج عن معرفته التامة والخاصة بمقام النبي وبركات وجوده الشريف وارتباط الأرض بالسماء لوجوده. كما أنه يصور خطورة الفادحة وشدة آثارها على الأمة.

عبر الإمام عليه السلام عن ارتحال النبي صلى الله عليه وآله: [1]

(ولقد قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وإنَّ رأسَهُ لعلى صدري، ولقد سالت نفسُهُ في كفّي فأمرَرْتُها على وجهي. ولقد وُلّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله والملائكةُ أعواني...).

وتستوقفنا في هذا النص الشريف عدة مواطن نشير إليها فيما يلي:

أ - تفنيد وكذب ما يرويه بعضهم من أن النبي صلى الله عليه وآله مات عند عائشة وهو بين سحرها ونحرها محاولين أن يجعلوا لها بهذا مقاماً، ومن المعروف أن النبي كان في لحظاته الأخيرة لا يأنس إلا بعلي والزهراء والحسنين عليهم السلام ويدعوهم إليه، والإمام يشير هنا بوضوح أنه صاحب هذا المقام وهذا الفضل في كونه مع الرسول حين قُبِضَ وإن رأسه لعلى صدره.

ب- ماذا يعني بالنفس؟ يرى البعض أن المعني بالنفس هو الدم كما هو أحد معانيها. وأنه خرج من النبي عند احتضاره دم أخذه علي وأمرّهُ على وجهه. أما التفسير الآخر وهو اللائق والمناسب كما يذكره الميرزا حبيب الله الخوئي رحمه الله فهو أن المقصود بالنفس هي الروح الطيبة المقدسة التي استلهم منها الإمام البركة

---

١ - خ١٩٧، ص٣١١.

والقداسة والشرف الأرفع. ولا يخفى أن هذا بعيد كل البعد عن حلول روح النبي في الإمام فإن هذا مما لا يصح أصلاً. ومن قبيل التشبيه العادي لتقريب المعنى ما يفعله المسلمون عند ذكر النبي أو بعد الدعاء من أنهم يمرُّون أيديهم على وجوههم طلباً للرحمة والبركة. كما لا يخفى أن الحقيقة التامة لهذا الأمر هي من أسرار النبي والوصي وهذا ليس بغريب عن عالمهما إذْ ضمَّ من الأسرار الشيء الكثير. وإلا فأي معنى مثلاً لقوله: (علمني رسولُ اللهِ ألفَ بابٍ من العلم ينفتح لي من كل بابٍ ألفُ باب)، وأيُّ أسلوب هذا الذي يتعلم فيه الإمام مليون (ألف ألف) باب من العلم في مناجاة واحدة.

ج - أن مهمة وشرف تغسيل النبي وتجهيزه ومواراته كانت موكولة إلى نفسه علي والملائكة أعوان له.

وقال عليه السلام عند تغسيله النبي صلى الله عليه وآله مُؤَبِّناً ومُتَفَجِّعاً: [1]

(بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله! لقد انقطعَ بموتِكَ ما لم ينقطعْ بموتِ غيرِكَ من النبوةِ والإنباء، وأخبارِ السماء): فالأنبياء السابقون كان لهم بعد ارتحالهم خلف من الأنبياء، وأما الرسول فارتحاله نهاية لوجود النبوة الظاهر.

(خَصَصْتَ حتى صِرْتَ مسلياً عمن سواك وعَمَمْتَ حتى صارَ الناسُ فيك سواء...): فقد ملك النبي على الإمام كل مشاعره إذ كان وجود الرسول هو كل شيء عند أمير المؤمنين.

(بأبي أنت وأمي! اذكرنا عند ربِّك واجعلنا من بالِك!). وهذه التفاتة رائعة من الإمام لحياة النبي الخاصة عند الله تعالى وأنه يسأله أن يذكره ويجعله من اهتماماته.

ومما أظهره من الأسى على قبر الرسول ساعة دفنه: [1]

---

١ - خ٢٣٥، ص٣٥٥.

١ - غريب كلامه رقم٢٩٢، ص٥٢٧.

(إن الصبرَ لجميلٌ إلا عنك، وإن الجزعَ لقبيحٌ إلا عليك، وإن المصابَ بك لجليل، وإنه قبلك وبعدك لجلل). فالإمام يصور افتجاعه بارتحال النبي الذي عاش معه وعاصر دعوته كلها ثم بقي بعده ورأى الآثار وخطورة الموقف بارتحاله وحيرة الأمة وتخبطها وانقلابها بعده. كما أنه رأى اختلاف الحال يوم أن كان مع الرسول يُرمَقُ كالنجم، وإذا به بعده ينزِله الدهر حتى صار يُقرَن إلى تلك النظائر وتلك هي المأساة التي لم يصب بمثلها أحد. ولذلك كان له أن يبوح ويبث آهاته.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يهتدي بهدي محمد وآله

وأن يوفقنا للسير على نهجهم وإحياء أمرهم

# الإمامة

أولاً: تعريف الإمامة

ثانياً: أهميتها

ثالثاً: أحاديث الإمام عليه السلام حول الإمامة

## مدخل

قالَ اللهُ العظيم في محكَمِ كتابِهِ الكريم:

﴿وإذِ ابتلى إبراهيمَ ربـُّهُ بكلماتٍ فأتمهنَّ قال إني جاعلُكَ للناسِ إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينالُ عهدي الظالمين﴾[1]

هذا الحديث هو بداية أحاديثنا -إن شاء الله تعالى- حول الإمامة. ومعلوم أننا نتناول مواضيع هذا الدرس الشريف من خلال كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه العظيم. وحديث الإمامة له تمام الأهمية لأنه يواكب ويتصل بحياتنا. وقد تحدث الإمام عن الإمامة كثيراً في ذاتها وفي أهميتها وشروط القائم بها ونهجها الذي يجب أن تنهجه كي تقود الأمة للهداية عبر الطرق الإلهية الصحيحة، وعن الملابسات التاريخية التي اكتنفت وحفت هذا الموضوع الخطير. وحديث الإمام له أهمية خاصة باعتباره معنياً مباشرة بموضوع الإمامة، وهو رجل القضية وبطلها، وقوله الحق والفصل. ونتناول في هذا الحديث تعريف الإمامة وأهميتها ثم عرض المواضيع التي تناولها الإمام في نهجه الخالد.

## أولاً: تعريف الإمامة

أ- الإمام بالمعنى اللغوي هو القدوة سواء كان في الحق: ﴿وجعلناهم أئمةً يهدُون بأمرِنا﴾[2] أو في الباطل: ﴿وجعلناهم أئمةً يدعون إلى النار﴾[3]

ب- أما في الاعتقاد فهناك تعاريفُ كثيرة ومنها ومن أشهرها تعريف العلامة الحلي بأن الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا، لشخصٍ من

---

١- سورة البقرة - ١٢٤.

٢ - سورة الأنبياء - ٧٣.

٣ - سورة القصص - ٤١.

الأشخاص نيابةً عن النبي ﷺ.

فهي إذن رئاسة والناس مرؤوسون، وهي لا تحدُّ بحد بل هي في جميع الشؤون الدينية والدنيوية فهي في مجال الحكم التشريعي والتنفيذي فيما يتعلق بالإدارة والسياسة وجميع قضايا الحياة، بخلاف من يعرِّفها بأنها خاصة بالسياسة فقط ولا تتصل بالمعتقد والشريعة. وهي إذن ليست على غرار النبوة بل هي نيابة عن النبوة وامتداد لها، فلها جميع صلاحيات ومقومات النبوة باستثناء ما يتعلق بالوحي ويختص بالنبي فالإمام ليس نبياً.

## ثانياً: أهميتها

وأحسب أن أهميتها للحياة والبشر أمر بدهي لا حاجة إلى الإفاضة فيه. فحتى في المحيط الضيق في العائلة أو المدرسة ندرك بالوجدان أنه إذا لم يكن هناك من يقوم بشؤونها وينظر في مصالحها فإن مآلها إلى الضياع نظراً لتشتت الأهواء وعبث الأفكار واختلاف المقاييس، وقد قِيلَ:

لا يصلحُ الناسُ فُوضى لا سُراةَ لهم ولا سراةَ إذا جهالُهم سادوا

وقد "ضلَّ من ليس لهُ حكيمٌ يرشده".

فإن الذي يضبط الأمور إما أن يكون عقل الفرد أو المجتمع أو الدين أو الإمام. فأما عقل الفرد فقد يكون مغلوباً خاضعاً للأهواء ومؤثرات أخرى، قاصراً عن إدراك المصالح. وأما المجتمع فتختلف فيه النزعات والأهواء وتتضارب المقاييس. وأما الدين فقد يكون معارضاً غير قادر أن يبثَّ تشريعاته كما هي الحال في فترات كثيرة من التأريخ كان الحكم فيها لغير الدين بل لحكومات لا تحكم بالدين مطلقاً أو لا تحكم بكل تشريعاته. فلا بدَّ إذن من إمام. أما الإمام الجائر أو الجاهل فلا يزيد الأمة إلا ضلالاً وشقاء. فلا بد من إمام عالم عادل يأخذ بالبشرية إلى الطريق الصحيح ويكفل لها سعادتها. ومتى وُجِدَتْ أمة في التأريخ دون حاكم؟ نعم ظهرت جماعة غير إسلامية تتبنى فكرة أو مذهباً وتدعو إلى إحياء

الفوضوية وعدم وجود أي حكومة تحكم البشر. وقد كان هذا كردة فعل نظراً لأن الحكومات بطبعها مستبدة وجائرة تتحكم فيها الأهواء والعواطف. إلاّ أنه -كما نعتقد- ليس هذا هو الحل، بل الحل في وجود إمام عادل. ومن مظاهر أهمية الإمامة والتركيز عليها وجود حجة من قبل الله تعالى في عموم تاريخ البشر. فيوم أن كان وجود البشر منحصراً في فرد واحد هو آدم عليه السلام كان هو نفسه الحجة. ولم يخلُ الناس من حجة في عموم حياتهم، فكان الأنبياء وكان أوصياؤهم الذين حملوا هديهم إلى الناس، حتى وصل الأمر إلى خاتم الأنبياء وامتد في إمامة الأئمة عليه وآله وعليهم الصلاة والسلام.

وقد تحدث الإمام عليه السلام كثيراً عن هاتين النقطتين وما يتعلق بهما، فمن جملة ذلك ما يلي:

أ - لما سمع قول الخوارج "لا حكم إلا لله" قال عليه السلام: [1]

(كلمةُ حقٍّ يُرادُ بها باطل... وإنه لا بدَّ للناسِ من أميرٍ بَرٍّ أو فاجرٍ يعملُ في إمرتِهِ المؤمن، ويستمتعُ فيها الكافر، ويبلِّغُ الله فيها الأجل، ويُجمعُ به الفيء ويُقاتَلُ به العدو وتَأمنُ به السبل، ويؤخذُ به للضعيفِ من القوي...). وليس من غرضي هنا التفصيل في هذه النصوص الشريفة وإنما نأخذ منها مواضع الشواهد. فالإمام عليه السلام يشير إلى الضرورة الملحة للإمرة سواءً كان يعني بها الإمامة أو الإدارة بشكل عام.

ب - وتحدث عن الإمان بالإمام من الاختلاف والضلال فقال عليه السلام: [2]

(فياعجباً! ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلافِ حججها في دينِها! لا يقتصُّون أثَرَ نبي، ولا يقتدون بعملِ وصي... كأنَّ كلَّ امريءٍ منهم إمامُ نفسه). فيعجب الإمام من ذلك الشتات فالكل له حجة ودليل والكلُ يرى أنه

---

١ - خ٤٠، ص٨٢.

٢ - خ٨٨، ص١٢١.

على الحق، ويقرن الإمام ضلالهم بعدم اتباع النبي أو الوصي اللذين هما في منصب إمامة الناس، فكل فرد إذن أصبح وكأنه إمام نفسه.

ج - ويركز الإمام على أهمية الإمامة ثم على ممارسات الإمام في صدد تعليله لطلبه للحكم، فيقول (عليه السلام): [1]

(وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروجِ والدماءِ والمغانمِ والأحكامِ البخيلُ فتكونَ في أموالِهم نهمته، ولا الجاهلُ فيضلّهم بجهلِه، ولا الجافي فيقطعَهم بجفائِه، ولا الحائفُ للدُّوَلِ فيتخذَ قوماً دونَ قومٍ ولا المرتشي في الحكمِ فيذهبَ بالحقوق...). فهناك أحكام يجب القيام بها وتستلزم وجود الإمام ومن أهم هذه القضايا النكاح والدماء أي ما يتعلق بها من قصاص وغيره وكذلك غنائم الحرب وهناك إمامة المسلمين بشكل عام، فلا بد إذن من وجود الإمام. وهذا الإمام له صفات تميزه وتؤهله للقيام بهذا المنصب وهذه القضايا. فلا يكون الإمام بخيلاً فيطمع في أموالهم ويستأثر بها لنفسه، ولا جاهلاً فيقودهم ولكن إلى الضلال فهم بحاجة إلى عالم بما يصلحهم، ولا الجافي الذي لا أريحية ولا لين فيه فيقطعهم ويقسو عليهم.

وينبغي أن يلاحظ أن تكرار الإمام لبعض المعاني في نصوص مختلفة إنما هو بسبب اختلاف المناسبات والحاجة إلى تلك المعاني بعينها فيها. وفي هذا النص التالي يأخذ الإمام بأسلوب آخر، وذلك حين استشاره عمر في أن يخرج مع الجيش لقتال الفرس سواء في القادسية أو غيرها[1]، فقال (عليه السلام): [2]

(ومكانُ القيِّم بالأمرِ مكانُ النظامِ من الخرزِ يجمعُه ويضمه: فإن انقطعَ النظامُ تفرَّقَ الخرزُ وذهبَ ثم لم يجتمعْ بحذافيرِهِ أبداً). فقد أشار الإمام على عمر

---

١ - خ١٣١، ص١٨٩.

١- من أجل الوقوف على تفصيل هذه الاستشارات يمكن مراجعة شرح الميرزا حبيب الله الخوئي لهذا النص الشريف في كتاب (منهاج البراعة).

٢ - خ١٤٦، ص٢٠٣.

بعدم الخروج، وقد يكون ذلك لحكمة ظاهرة كالحفاظ على من جُعِلَ رمزاً وسُمِّيَ خليفة للمسلمين، أو كان السبب هو خوف الإمام من هزيمة المسلمين بسبب القائد الذي كانت على يديه الهزيمة أولاً في خيبر، أو كان ذلك لحكمة لا نعلمها فعلى أي حال فإن مصلحة الإسلام عند الإمام هي فوق كل اعتبار آخر. وتشبيه الإمام هنا تشبيه حسي يصور فيه الناس كالخرز، وإمامهم بمثابة النظام وهو السلك الذي يجمع الخرز فإذا انقطع السلك تناثر الخرز وتعسَّر جمعه. وذلك كناية عن شتات الناس وضياعهم دون إمام.

د - وفي كتاب هو من عجائب الدهر وجهه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة وقد بلغه أنه دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها، فمما قاله عليه السلام في هذا الكتاب في شأن الإمامة: [١]

(ألا وإن لكلِّ مأمومٍ إماماً يقتدي به، ويستضيءُ بنورِ علمِه، ألا وإن إمامكم...).

## ثالثاً: أحاديث الإمام عليه السلام حول الإمامة

تحدث الإمام عليه السلام كثيراً عن موضوع الإمامة، ونعرض هنا بعض المواضيع والتي سوف نتناولها فيما نستقبل من دروس إن شاء الله تعالى. فقد بثَّ شجونه وآهات جراحه التي ضمها، فذكر الوصية والإمامة وموقع أهل البيت عليهم السلام منها، وذكر مناقبه التي هي مؤهلاته للإمامة وفي هذا أيضاً نعيٌ ونقدٌ واعتراض على الذين كان لهم الحكم مع أنهم يفقدون كل مقوِّمات الإمامة والحكم، فتقدموا وأخروه رغم ما كان يملكه من كمالات، وأنزله الدهر حتى صار يقرن بتلك النظائر.

وتحدث الإمام عن ضياع الناس وحيرتهم بعد الرسول حتى أنتجت

---

١ - الكتاب رقم٤٥، ص٤١٧.

سقيفتهم ما أنتجت، فخاض الإمام هذا الموضوع بما فيه من حساسية بقلب مألوم، وانتقد بكل وضوح وصراحة من تولى الحكم. وهذا النقد والإعتراض له أهميته الخاصة لأنه صدر من البطل الذي عاصر الدعوة من أولها إلى آخرها وبقى بعدها ورأى الحال التي وصلت إليها الأمة. وهذا النقد لا نجده عند غير الإمام وهذا سبب آخر لأهميته، فقد سجل في مناسبات عدة على الحاكمين ملاحظات وجوانب نقد سواء كان في مؤهلاتهم العلمية أو الإدارية أو الحكمة أو غيرها من الجهات.

كما تحدث الإمام عن برنامجه ونظامه في الحكم من أحكام إلهية كان يجب للناس أن يهتدوا بهديها، إلا أنه نُحِّيَ عن الحكم فترة، ثم أتاه الناس يريدونه حاكماً بعد أن أحدث الأولون في الدين والأمة ما أحدثوا، فكانت المهمة صعبة. وفوق كل ذلك انشغل بحروب طويلة فكانت الجمل وكانت صفين والنهروان. فلم يتأتَّ له أن يطبق نهجه الإلهي العظيم في الحكم. وقد بين الإمام جوانب من هذا النهج في عهده العظيم الخالد لصاحبه ورفيق دربه العزيز على قلبه مالك الأشتر، رضوان الله تعالى عليه، مبيناً فيه نظام الحكم كما أراده الله تعالى أن يجري ويطبق، ولكن الناس أبوا واتبعوا أهواءهم ﴿وأن لو استقاموا على الطريقةِ لأسقيناهم ماءً غدَقاً﴾ [1].

---

١- سورة الجن - ١٦.

# الإمامة والنص

أولاً: دعوى الإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام

ثانياً: النص على الإمام

## مدخل

قالَ اللهُ العظيم في محكَمِ كتابِهِ الكريم:

﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُهُ أمراً أن يكونَ لهم الخيرةُ من أمرِهم ومن يعصِ اللهَ ورسولَهُ فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾ [1]

الدرس الثاني في هذا الموضوع المثير الحساس، الإمامة، يدور حول نقطتين: دعوى الإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام، والنص عليه.

## أولاً: دعوى الإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام

للإمامة أهمية بالغة في الإسلام وهي على جانب كبير من الخطورة حتى قال في حقها الباحثون أنه ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على موضوع كما سُلَّ على موضوع الإمامة. وأهميتها فوق سائر الأركان التي يقوم عليها الدين لأنها أساسه وامتداد للرسالة والنبوة. وهذا الادعاء من الإمام عليه السلام للإمامة ومطالبته بتصديه لمهامها هو تكليف ومهمة إلهية على غرار ادعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنبوة وإقامته المعجز دليلاً عليها. فالإمامة أمر إلهي لا يدَ للبشر فيه، وهي ليست فعلاً اختيارياً يمكن أن يرفضه الإمام أو يتخلّى عنه. ولهذا يلاحظ في التأريخ أن الأئمة عليهم السلام لم يتنازلوا عن الإمامة بل لم يعملوا بالتقية فيها رغم المحن والبلاء العظيم الذي عاشوه. وفي المواطن التي تستدعي إظهار الكمالات الشخصية والمؤهلات للإمامة نجد أن الإمام يشير إليها بوضوح ويصرح بفضائله وخصوصياته. وليس هذا فخراً لا يحسن أو تزكية للنفس وثناء عليها بل هو إظهار للحق وحديث عن المؤهلات لا سيما وأن الآخرين الذين تصدوا للحكم كانوا يفقدونها. فالمنصب إلهي وعلى تمام الأهمية فلا مجال للتواضع فيه وليس هذا محله. ومن شواهد ذلك في حياة الأنبياء قول نبي

---

١- سورة الأحزاب - ٣٦.

الله يوسف (عليه السلام): ﴿اجعلني على خزائنِ الأرضِ إني حفيظٌ عليم﴾[1] إذ هو جدير لأن يقوم بهذه المهمة.

ونأخذُ هنا بعض النصوص الشريفة حول هذه النقطة، فمن ذلك ما يلي:

أ – أشار إلى أهم مؤهلات الإمام فقال (عليه السلام):[1]

(ولهم خصائصُ حقِّ الولاية وفيهم الوصيةُ والوراثة). فهو يتحدث عن أهل البيت عموماً وهو سيدهم، فهي إذن دعوى منه أنه يمتلك صفات اختص بها وهي تؤهله لأن يكون ولياً، وبالنتيجة فإن من لا يحملها لا يكون أهلاً للولاية.

(الآن إذْ رجعَ الحقُّ إلى أهلِه، ونُقِلَ إلى منتقَلِه). فهذه الخطبة قالها في أيام خلافته وبعد انصرافه من صفين، فهي إذن بعد فترة طويلة ضاع فيها حقه ثم عاد إليه حيث المكان الذي انتقل منه وكان يجب أن يبقى فيه.

ب – وفي الخطبة المعروفة بالشقشقية، قال (عليه السلام):[2]

(أما واللهِ لقد تقمَّصَها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محلُّ القطبِ من الرحى، ينحدرُ عني السيل، ولا يرقى إليَّ الطير).

وهذه الخطبة اشتهرت باسم الشقشقية نسبة إلى الكلمة التي جاءت في جواب الإمام لابن عباس بعد الخطبة وهي قوله: "تلك شقشقة هدَرَتْ ثم قرَّت". وقوله (فلان) واضح في الدلالة على أبي بكر لأنه هو أول من حكم بعد الرسول وتقمص الخلافة أي لبسها كالقميص، وفي نسخ أخرى التصريح: (لقد تقمصها ابن أبي قحافة). وهذا بيان واضح في أن الأول أخذ الخلافة بدون حق وكان يعلم أن الإمام (عليه السلام) هو صاحبها وقطب رحاها وأنه في تمام علو المنزلة والشأن. وليكن

---

١ – سورة يوسف – ٥٥.

١ – خ٢، ص٤٧.

٢ – خ٣، ص٤٨.

هذا التصريح فخراً أو تعريفاً بالنفس أو ثناءً عليها، فعلى أي حال (عليٌّ مع الحق، والحقُّ مع علي) كما شهد له بذلك الرسول ﷺ وإن تحدث فإنما يتحدث لإحقاق الحق وكفى.

(فسدَلْتُ دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً). أي أغضيت عنها، وليس هذا الأمر أمراً سهلاً بل كان مرارةً، وكان باعثاً على التفكير في أمر الأمة والقلق بشأنها والخوف عليها من الضياع. فقد بُنِيَتْ شرائعها وأحكامها وقضاؤها وحربها وسلمها على هذا الأساس الذي وضعه مَن حَكَمَ بعد الرسول وبعد أن أزالوا الأسس التي وضعها الله تعالى وفي مقدمتها الإمامة التي كان الإمام قطب رحاها وبطلها الأول.

(وطفقْتُ أرتئي بين أن أصولَ بيدٍ جذّاء، أو أصبرَ على طَخيةٍ عمياء). فقد أخذ الإمام يخير نفسه بين أن يصول ويقاتل بلا أنصار وبين أن يصبر على هذه القضية التي هي ظلم وظلمات، ولكنه اختار أن يصبر محتسباً ذلك في ذات الله تعالى.

ج – وحين أُشيرَ عليه أن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال، كان مما قاله عليه السلام: [1]

(فوا للهِ مازلتُ مدفوعاً عن حقي، مستأثراً عليَّ، منذُ قَبَضَ الله نبيَّه ﷺ حتى يومِ الناسِ هذا). فهو يسجل هذه الحقيقة بعد ٣٥ سنة من حياته التي كانت توأماً مع العناء والجفوة من الآخرين الذين صدوه عن حقه واستأثروا به لأنفسهم.

د – ويصف حاله قبل البيعة له بقوله عليه السلام: [2]

(فنظرتُ فإذا ليس لي معينٌ إلا أهلُ بيتي، فضَنِنْتُ بهم عن الموت، وأغضَيتُ على القذى، وشرِبتُ على الشجا...). فقد كان الحق له ولو أمكنه أن

---

١ – خ٦، ص٥٣.

٢ – خ٢٦، ص٦٨.

يسترجعه بالقوة لفعل وذلك واجب عليه لأن هذا الحق (الإمامة) ليس حقاً شخصياً بل هو حق الله تعالى. إلا أن استرجاع الحق لم يكن ممكناً لعدم توفر الجيش القادر على ذلك، فليس له إلا أهل بيته الذين سيُقتلون إن حارب بهم ولن يحقق نصراً يمكنه من استرجاع ذلك الحق. وستمر علينا في النصوص التالية أسباب اخرى لسكوت الإمام عن الحق أخيراً كخوفه على الإسلام من أعدائه الذين يتربصون به. فأغمض عينه عن حقه الضائع رغم صعوبةِ وألمِ ذلك وتجرّع الغصص صابراً محتسباً وفي القلب شجا وفي العين قذى لأنه أغضى بها عن أمر عظيم.

هـ – وفي كتاب وجّهَهُ إلى أهلِ مصرَ مع مالك الأشتر حين ولاّه إمارتها قال عليه السلام: (1)

(فلمّا مضَى عليه السلام تنازع المسلمون الأمرَ من بعدِه، فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العربَ تُزعِجُ هذا الأمرَ من بعده صلى الله عليه وآله عن أهلِ بيته ولا أنهم مُنَحُّوهُ عني من بعده، فما راعني إلا انثيالُ الناسِ على فلان يبايعونه فأمكستُ يدي حتى رأيتُ راجعةَ الناسِ قد رجعتْ عن الإسلامِ يدعونَ إلى محقِ دينِ محمدٍ صلى الله عليه وآله فخشيتُ إن لم أنصرِ الإسلامَ وأهلَهُ أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكونُ المصيبةُ به عليَّ أعظمَ من فوتِ ولايتكم التي إنما هي متاعُ أيامٍ قلائل يزولُ منها ما كان كما يزولُ السراب أو كما يتقشّعُ السحاب، فنهضتُ في تلك الأحداثِ حتى زاحَ الباطلُ وزهق، واطمأنَّ الدينُ وتنهْنَه...). فهو يركز على دعواه للإمامة وأنه كان على عقيدةٍ راسخة ووثوق تام بأنه الإمام والوصي، ولم يكن يخطر بباله – بحسب المقاييس الطبيعية ولكثرة ما جاء في حقه– أن الناسَ تبايع غيره. وهذا لا يعني أنه لم يكن يفهم نفسيات القوم وطمعهم بل كان يقرأ ذلك بعينه ويعقله بفكره ولكنه يسجله عليهم. ولذلك لنا أن نأخذ تلك النصوص وثائقَ تأريخية صادقة على تلك الأحداث. وهو هنا يذكر سبباً آخر أكثر أهمية لصبره وسكوته

---

١ – الكتاب رقم٦٢، ص٤٥١.

عن حقه ألا وهو خوفه على الإسلام من أعدائه الذين أرادوا أن يستغلوا النزاع بين المسلمين لكي يقضوا على الدين تماماً وقد رأى شتات الأمة وضياعها فاختار أن يحافظ على الإسلام ويرعى قضاياه ويصلح شؤونه وإن أُبْعِدَ عن المنصب الحقيقي الذي أراده الله تعالى له، وهو القائل: "ووالله لأسلِمَنَّ ما سَلِمَتْ أمورُ المسلمين و لم يكن فيها جورٌ إلا عليَّ خاصة" [1].

و - وفي كتاب بعثه إلى معاوية، قال (عليه السلام): [2]

(فيا عجباً للدهر!؟ إذْ صِرْتُ يُقرَنُ بي من لم يسعَ بقَدَمي، ولم تكن له كسابقتي، التي لا يُدلي أحدٌ بمثلِها، إلا أن يدَّعي مدَّعٍ ما لا أعرفه، ولا أظنُّ الله يعرفُه، والحمدُ للهِ على كلِّ حال). يعجب فيه من الدهر حين ضاعت المقاييس و لم يبقَ للناس موازينُ صحيحة، حتى صار المفضول يُقدَّمُ على الفاضل، وصار يُقرَن بعليٍّ من لم يكن له شيءٌ من جهاد عليٍّ أو شجاعته أو علمه أو إيمانه. والإمام يتحدَّى أن يدَّعي غيرُهُ ما له من كمالات إلا أن يدعي كذباً. وكلمة الإمام عجيبة حين أراد أن يصور كذب دعوى من يدعي أن له من الكمالات والمؤهلات ما لعلي، فوصف الإمام هذه الكمالات المدَّعاة بأن الله لا يعلمها وذلك دليل على أنها غير موجودة في الواقع. وقوله (ولا أظن) ليس احتمالاً بل جزماً كما هو معروف من بعض استخدامات هذا الأسلوب.

ز - وأخيراً نذكر هذا النص الشريف الذي عبّر فيه الإمام عن خلاصة القضية، فقد سأله أحد أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فكان مما قال (عليه السلام): [1]

(وقد استعلمتَ فاعلم: أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً والأشدون برسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) نوطاً فإنها كانت أَثَرةً شحَّت عليها نفوسُ قوم،

---

١- خ٧٤، ص١٠٢.

٢ - الكتاب رقم٩، ص٣٦٩.

١ - خ١٦٢، ص٢٣١.

وسَخَتْ عنها نفوسُ قومٍ آخرين؛ والحكَمُ الله، والمَعْوَدُ إليه القيامة).

## ثانياً: النص على الإمام

وحديثنا حول هذه النقطة مستوحىً -بطبيعة البحث- من كلام أمير المؤمنين في نهجه العظيم، وإلا فلو أردنا الحديث عن هذه النقطة بالذات من خلال القرآن الكريم أو السنة الشريفة لطال بنا المقام كثيراً. وفي حدود ما لاحظت في النهج لم أجد استشهاداً من الإمام بالآيات والروايات التي نصَّت على إمامته عليه السلام، وإنما وجدتُ جملة من النصوص تدخل في هذا الباب، فمن جملة ذلك ما يلي:

أ – قوله عليه السلام وهو النص الأول الذي استشهدنا به على النقطة الأولى:[1]

(وفيهم الوصيةُ والوراثة). وهذه إشارة واضحة للنص بالإمامة. والوراثة لا تعني وراثة المال بالنسب وإلا لكانت الزهراء عليها السلام أولى بذلك، ولكن المعنيَّ بها وراثةُ اللهِ على دينِه وقرآنه وأحكامه.

ب– وأشار عليه السلام إلى بعض مكانة الأئمة عليهم السلام فقال: [1]

(إن الأئمةَ من قريشٍ غُرِسوا في هذا البطنِ من هاشم، لا تصلُحُ على سواهم، ولا تصلُحُ الولاةُ من غيرهم). فالنص على الأئمة جلي وأنهم من قريش. ثم أضاف الإمام جملة دقيقة ولم يجعل العنوان عاماً يدور في قريش هذه الأسرة الكبيرة بل خصَّصه في محله فصرَّح أن النص في بني هاشم. وذلك معنى الحديث المشهور الذي من رواياته ما رواه جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا يزال هذا الدينُ عزيزاً منيعاً إلى إثني عشر خليفة. قال جابر: فقال كلمة أصَمَّنِيها الناس،

---

١ – خ٢، ص٤٧.

١ – خ١٤٤، ص٢٠١.

فقلت لأبي: ماذا قال؟ قال: كلُّهم من قريش)[1].

وفيما لاحظتُ وأحسب أنها ملاحظة مهمة ما ذكره العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي حول هذه القضية حين ناقشها ونبَّهَ أن بعض النصوص كما في (ينابيع المودة) وَ (منتخب الأثر) تشير إلى أن عبارة الرواية (كلهم من بني هاشم)[2]، وأحسب أنه لا يمنع أن تكون الرواية جامعة للتعبيرين (كلهم من قريش من بني هاشم) فهو تخصيص بعد تعميم كما في كلمة الإمام في هذا النص.

ج - وتحدث عن يوم الشورى وما حمله فقال عليه السلام: [3]

(وقد قالَ قائلٌ: إنك على هذا الأمرِ يابن أبي طالبٍ لحريص؛ فقلتُ: بل أنتم واللهِ لأحرصُ وأبعد، وأنا أخصُّ وأقرب، وإنما طلبتُ حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه. فلما قرَّعته بالحجة في الملإ الحاضرين هبَّ كأنه بُهِت لا يدري ما يجيبني به!). ويذكر بعض الشراح للنهج أن القائل هو سعد بن أبي وقاص[4]. وهبَّ أي صاح وتكلم بالمهمل في سرعةٍ حمله عليها الغضب.

د - واستشهد الإمام بما قاله له رسول الله عليهما وآلهما الصلاة والسلام، فقال: [5]

(إنك تسمعُ ما أسمع، وترى ما أرى إلا أنك لستَ بنبيٍّ ولكنك لوزير). وهذه إشارة واضحة إلى النص الواضح عليه من قبل رسول الله وهو معنى حديث المنزلة المشهور عن رسول الله مخاطباً علياً: (أنت مني بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا

---

١- ومن مصادر هذا الحديث صحيح مسلم ٦/٤، وَ (إحقاق الحق) - الملحقات ١/١٦.

٢ - الغدير والمعارضون/٩٦، للعلامة السيد جعفر مرتضى العاملي وهو باحث ومتتبع جريء.

٣ - خ١٧٢، ص٢٤٦.

٤ - قال ابن أبي الحديد: والذي قال له: "إنك على هذا الأمر لحريص" سعد بن أبي وقاص، مع روايته فيه: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) وهذا عجب. شرح نهج البلاغة مجلد٣، ص٣٥٠.

٥ - خ١٩٢، ص٣٠١.

أنه لا نبيٌّ بعدي).

هـ - وفي كتاب وجهه إلى أخيه عقيل جواباً، قال عليه السلام: [1]

(فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حربِ رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي، فجَزَتْ قريشاً عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطانَ ابنِ أمي). والأمر ليس مسألة قبلية أو عربية أو سلطاناً يملكه الإمام بل هو سلطان الله تعالى.

وأخيراً فقد استعرضنا في هذا الدرس دعوى الإمام للإمامة وبيانه للمؤهلات التي تؤهله لذلك ومنها النص عليه، وسنتحدث في الدرس القادم -إن شاء الله تعالى- عن سائر المؤهلات والكمالات التي كانت للإمام عليه السلام والتي أهلته لمنصب الإمامة.

---

١ - الكتاب رقم٣٦، ص٤٠٩.

# مؤهلات الإمام

**أولاً: العلم**

**ثانياً: العصمة**

**ثالثاً: الشجاعة**

## مدخل

قالَ ا للهُ العظيم في محكَمِ كتابِهِ الكريم: [1]

﴿وقال لهم نبيُّهم إن ا للهَ قد بعثَ لكم طالوتَ ملِكاً

قالوا أنّى يكونُ لهُ الملكُ علينا ونحن أحقُّ بالملكِ منه ولم يُؤْتَ سَعَةً من المال

قال إن ا للهَ اصطفاهُ عليكم وزادَهُ بَسْطةً في العلمِ والجسم

وا للهُ يؤتي مُلْكَهُ من يشاءُ وا للهُ واسعٌ عليم﴾

نتحدث في هذا الدرس وهو الحلقة الثالثة حول الإمامة عن بعض مؤهلات أمير المؤمنين عليه السلام لمنصب الإمامة، وإن كانت تصلح في مجملها كمؤهلات لإمامة سائر الأئمة من ذريته عليه وعليهم الصلاة والسلام.

إن واقع الإمامة مقرون بواقع الأمة في هذا الدين الجديد على الناس والذي بذل الرسول صلى الله عليه وآله ٢٣ سنة من عمره الشريف يبلّغه للناس حتى دخلوا فيه أفواجاً. وأخذاً بهذه الحقيقة نلاحظ أمرين استوجبا أن تكون الإمامة امتداداً لائقاً بالنبوة ومواصلاً لمهمتها في التبليغ، وهذان الأمرانِ هما:

١ - أنه وبطبيعة الحال لم تتوغل أفكار الإسلام وأهدافه في نفوس كل المسلمين الداخلين في هذا الدين، فقد كان منهم حديثو العهد بالإسلام، ومنهم الطلقاء الذين دخلوا في الدين خوفاً عند فتح مكة، ومنهم المشككون ومنهم المنافقون الذين مردوا على النفاق.

٢ - يضاف إلى ذلك أن هذا الدين القادم شكل خطراً بحيث كاد أن يقضي تماماً على سائر الأديان الأخرى في حينها. وكان لهذا أن يتم لو شاء ا لله تعالى لنبيه أن يعيش فترة أطول أو لم يحصل الارتداد بعد وفاته. فكان أعداء

---

١- سورة البقرة - ٢٤٧.

الإسلام يبثون الشكوك في الإسلام ويتحينون الفرص للقضاء عليه، ولم تكن فرصة مواتية لهم كالفترة التي سيرتحل فيها النبي إلى جوار ربه، فكانوا يهيئون لإبراز أحقادهم وشن غاراتعلى الإسلام والمسلمين.

إذن فبملاحظة أتباع الإسلام أو أعدائه كان ارتحال النبي يشكل فترة عصيبة وخطرة، ولهذا كان لا بد لهذا الموقف من شخص يملؤ هذا الفراغ الذي خلَّفَهُ النبي فيصعد المنبر ليرشد الناس ويتولى القضاء ويرعى شؤون الأمة بالحكمة التي كانت لرسول الله وبعلمه وهديه وشجاعته وصموده درعاً وحصناً للإسلام والمسلمين. فيجب إذن أن يكون من يخلف النبي يليق بشأنه الرفيع ومقامه الجليل، ويليق كذلك بالمهمة الكبيرة بعد ارتحال النبي. ومن غير المعقول أن يكون من يخلف النبي بعيداً في مؤهلاته عنه، فيؤول الأمر من تلك القمة الشامخة إلى الحضيض. فهي إذن وجهة عقلية تستلزمها تلك الفترة العصيبة بما حملت من محنٍ شتى. فلا بد إذن من شخص تتوفر فيه مؤهلات وكمالات تهيؤه لخلافة النبي في مهمته العظيمة. ومن أهم تلك المؤهلات ما يلي:

## أولاً: العلم

وغنيٌّ عن البيان الحاجة والأهمية البالغة للعلم في شخص الإمام. وتركيزنا هنا على العلم بالشريعة دون العلوم الأخرى، فإنها وإن كانت من الكمالات التي يتفاضل بها العظماء إلا أنها ليست بأهمية العلم بالشريعة بالنسبة للإمام. فمن غير اللائق أن يكون إمام المسلمين الذي يخلف النبي يُسألُ عن مسألةٍ تتعلق بالدين في معتقده أو عباداته أو أخلاقه فيقول: لا أدري، جاهلاً محتاجاً إلى أن يتعلم. خاصة إذا كان من يسأل من غير المسلمين فيجد أن إمام المسلمين جاهلٌ ولو بشيء من مسائل الإسلام. وقد حاز أمير المؤمنين عليه السلام هذا المؤهّل وهذه الميزة وفاقها أيضاً. فقد أحاط بعلم الشريعة بكل تفاصيله بل فاقه حتى بلغ العلم بالملإ الأعلى، وحتى شمل بعلمه علوم الطبيعة وأسرار الكون، ولم يشاركه في كل ذلك أحد. والإمام يجعل هذه الناحية من ركائز إمامته المهمة، وهو القائل: "إن هاهنا لعلماً جماً لو

أصبتُ له حَمَلة"[1]. بل كان (عليه السلام) يتحدى بعلمه لإقامة الحجة على الناس بأحقيته بالإمامة. وكان مرموقاً بينهم جميعاً ولم تكن منزلته في العلم خافية عليهم فكانوا يفزعون إليه في المهمات. ولسنا بصدد استعراض حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) عن علم الإمام أو حديث الصحابة أو التأريخ، بل نحن وكما هو منهج الدرس، نأخذ كلمات الإمام كوثائق تحمل في طيها ادعاء الإمام للإمامة والمواصفات التي يجب أن تتوفر عند الإمام الذي يشغل مقام النبي[2].

فمن جملة هذه النصوص ما يلي:

أ - قال (عليه السلام) عن مناهل علمه الشريف: [3]

(ولقد قرنَ الله بنبيِّهِ (صلى الله عليه وآله) من لدُنْ أن كانَ فطيماً أعظمَ ملَكٍ من ملائكتِهِ يسلُكُ بهِ طريقَ المكارم، ومحاسنَ أخلاقِ العالم، ليلَهُ ونهارَه. ولقد كنتُ أتّبعُهُ اتّباعَ الفصيلِ أثَرَ أمِّه، يرفعُ لي في كلِّ يومٍ من أخلاقِهِ علَماً ويأمرني بالاقتداءِ به). والأخلاق هنا لا تعني فقط حسن المعاشرة أو جوانب الأخلاق كالصبر وغيره بل هي عامة تشمل العلم بكل ما يتعلق بالشرع وبسائر المجالات التي يكون فيها كمال المتصف بها.

ب - وأضاف (عليه السلام): [4]

(بل اندمجتُ على مكنونِ علمٍ لو بُحتُ بهِ لاضطربتم اضطرابَ الأرشيةِ في الطويِّ البعيدة). الأرشية: جمع (رشا) وهي الحبل تنزل في البئر لاستخراج الماء، والطوي: هي البئر، والبعيدة بمعنى العميقة. فيقول أنني اشتملت وضمت جوانحي

---

١- الحكمة رقم١٤٧، ص٤٩٦.

٢- وقد عرضتُ في كتاب (ثلاث مقالات) في المقالة الخاصة بعلم الإمام توسعاً في هذا المجال يمكن مراجعته للفائدة.

٣ - خ١٩٢، ص٣٠٠.

٤ - خ٥، ص٥٢.

من العلوم ما لو أطلعتكم عليه لاضطربتم كالجبال تضطرب بسبب عمق البئر وتلك كناية عن علمه الغزير الذي لا ينال. وهذا الكلام قاله الإمام وجهر به أمام الملأ فكان بإمكان أي أحد أن يحاجه ويناقشه لو كان يستطيع لذلك سبيلاً.

ج - وتحدث عليه السلام ملؤه علم وثقة: [1]

(فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة... إلا أنبأتكم...). وهذه من الكلمات الخاصة بالإمام والتي سُجِّلَتْ حولها النوادر أيضاً في ذكر من قال: سلوني، ثم افتضح لأذل سائل وأقل مسألة[2]. ويشاء الله تعالى أن ينطق التأريخ بفضل علي. وقوله (وبين الساعة) تحدٍّ عجيب لا يحتمله أحد غيره. ثم يتمم ذلك بتتميمٍ رائعٍ قائلاً:

(ولو قد فقدتموني ونزلَتْ بكم كرائِهُ الأمور، وحوازبُ الخطوب، لأطرَقَ كثيرٌ من السائلين وفَشِلَ كثيرٌ من المسؤولين). وذلك هو الفرق بين علي الذي لا يتحير في مسألة وبين غيره ممن قبله وبعده.

د - وفي نص عُنْوِنَ بِـ (علم الوصي) قال عليه السلام: [3]

(أيُّها الناسُ، سلوني قبلَ أن تفقدوني، فلأنا بطرقِ السماء أعلمُ مني بطرُقِ الأرض، قبل أن تشغَرَ بِرِجلها فتنةٌ تطأُ في خطامِها وتذهَبُ بأحلامِ قومِها). والإمام هنا لا يقصد أنه لا يعلم بعلوم الأرض بشكل تام كعلمه بالسماء، ولكن حديثه هذا لعله باعتبار أن علوم السماء أكثر سعة من علوم الأرض، أو باعتبار أن سائر الناس تعلم بعلوم الأرض أكثر من علمها بالسماء فتكون له عليه السلام الميزة والأعلمية في هذا المجال. ويستخدم الإمام الكنايات لهذه الفتن القادمة التي تشغر برجلها أي ترفعها كناية عن كثرة مداخل الفساد وعدم العدة للنجاة من الفتن التي

---

١ - خ٩٣، ص١٢٧.

٢ - يمكن مراجعة كتاب (الغدير) ٦/١٩٥-١٩٦.

٣ - خ١٨٩، ص٢٨٠.

تطاً في خطامها أي تتعثر كناية عن الطيش وأنه لا قائد لها، فحينها تشتد الفتن وتكثر الخطوب ويحار الناس ويحتاجون إلى من يفزعون إليه فلا يجدون علياً وقد فقدوه، فعليهم إذن أن يبادروا بسؤاله الآن فهو المفزع والنجاة. ونؤكد أن الإمام كان يقول هذا أمام الملأ وفيهم خصومه وأعداؤه الذين يعدون عليه أنفاسه ولو كانوا يملكون حيلة لأفحموه وأحرجوه أمام الناس، ولكن يأبى الله إلا أن يظهر الحق على يد وليه.

هـ - وسجل عليه السلام هذه الحقيقة مضيفاً امتيازاً آخر:[1]

(وليس كلُّ أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله من كان يسأله ويستفهمه، حتى إنْ كانوا ليحبُّون أن يجيءَ الأعرابيُّ والطاريءُ فيسألَهُ عليه السلام حتى يسمعوا، وكان لا يمرُّ بي من ذلك شيءٌ إلا سألتُهُ عنه وحفظتُه). فهي إذن ميزة كان يتصف بها الإمام ويفقدها غيره.

## ثانياً: العصمة

ولا نقصد بهذا العنوان الحديثَ عن جهات العصمة المتعددة فإن المقام وإن كان مهماً إلا أنه يطول بنا. فنتحدث فقط عن أهميتها ودورها في منصب الإمامة وما ينبغي أن يكون عليه من سيكون حاكماً في أموال الناس ودمائهم وأعراضهم، ومالكاً للأمر في قضايا الحرب والسلم وما يتعلق بمقدرات الأمة. فيجب أن يكون على نحو كبير من الإيمان والتقوى والتعلق با لله تعالى بحيث لا تزيده كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة. ويجب أن يكون محيطاً بالشريعة وأوضاع الأمة إحاطة تعصمه من الخطأ مهما كان. وهذا ما لا يقوى عليه عامة البشر إلا من اختصهم ا لله تعالى واصطفاهم لذلك. والعصمة جهة باطنية فإن أعماق الشخص لا تعرف ولا يطلع على سره إلا ا لله تعالى وهو وحده يعلم إن كان ذلك الشخص يذنب سراً أم لا، وهو وحده العالم بنفسيته ومؤهلاته ومدى استعداده.

---

١ - خ ٢١٠، ص٣٢٧.

وهو إذن العالم بالإمام وجدارته لهذا المنصب وهو وحده من يملك حق الاصطفاء. والملاحظ أن الإمام كان يذكر لأصحابه ولأعدائه في كتبه إليهم شواهد من حياته حينما تقتضي المناسبة فتتجلى فيها صورة فريدة من الانضباط والنزاهة والعصمة التي ما كان يقدر عليها سواه. ومن جملة هذه النصوص ما يلي:

أ – وأشار إلى مستوى من العصمة فقال (عليه السلام): [1]

(ما شكَكْتُ في الحقِّ مذْ أُرِيتُه). وكلمة الحق تشمل كل حقٍّ، علماً كان أو عملاً وممارسة. فالإمام فيما يعتقد وفيما يفعل ويترك كان على الحق وهذا غاية الكمال وشاهد على العصمة لأن الخطأ هو باطل مجانب للحق.

ب – وقال (عليه السلام) حينما بويع بالخلافة: [2]

(واللهِ ما كتمتُ وشمة، ولا كذَبتُ كِذبة). والوشمة هي الكلمة. ومن ذا الذي يحتمل أن لا يكتم شيئاً من الحق ولا يكذب مطلقاً حتى ولو كان سهواً ؟ فهذه منزلة ليست لكل أحد ورتبة سامية دعا الله عباده إليها: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [3]

ج – ومما قاله (عليه السلام) للخوارج: [4]

(واللهِ إنْ جئتُها لَلْمحقُّ الذي يُتَّبع، وإن الكتابَ لمعي، ما فارقتُهُ مُذْ صحبتُه). فهو يصرح وبنفس واثقة بأنه أحق أن يُتَّبع، وأن الكتاب الذي ﴿يهدي للتي هي أقوم﴾ [5] معه يشهد له بأنه على الحق، هذا وهو عِدْلُ الكتاب، بل هو كتاب الله الناطق.

---

١ – خ٤، ص٥١.

٢ – خ١٦، ص٥٧.

٣– سورة التوبة – ١١٩.

٤ – خ١٢٢، ص١٧٩.

٥ – سورة الإسراء – ٩.

د – وقال (عليه السلام): [1]

(ولقد عَلِمَ المُستحفَظونَ من أصحابِ محمد (صلى الله عليه وآله) أنـي لم أردَّ على الله ولا على رسولِهِ ساعةً قط). وتلاحظَنَّ هنا براعة الاستهلال لهذا النص الشريف. وهـو يستشهد بما يعلمه الصحابة الذين استحفظوا (علي الحديث) ولم يكـن في قلوبهـم زيغ ولا خصومة وبغض للحق، فهم يعلمون علماً يقيناً بمدى نصرة الإمام وطاعته لله ولرسوله وأنه لم يرد على الله ولا على رسوله أبداً وهذا نهاية التسليم.

(ولقد واسيتُهُ بنفسي في المواطنِ الـتي تنكِـصُ فيهـا الأبطـالُ، وتتـأخرُ فيهـا الأقدام، نجدةً أكرمني الله بها). وإن الاستدلال بهـذا على العصمـة واضـح فهـي الالتزام الاعتقادي والعملي.

## ثالثاً: الشجاعة

فإن قائد الأمة ينبغي له من القوة والشـجاعة مـا يكـون بـه سـنداً ووجـوداً يرهبه الأعداء. ولا يعني هذا أن يكون ظالماً يبطش بالعباد أو تنزع منه الرحمة، بـل هي القوة والشجاعة في الحق ونصرتـه، فـالحق لا يُحْفَـظُ إلا بقـوةٍ تتكفـل بإقامتـه والدفاع عنه وإلا أَلَمَّتْ به الفتن وشمله البـلاء. وإن مـن نافلـة الحديـث أن نقـول: عليٌّ شجاع. وكفى بالتأريخ دليلاً بما ضمه من مواقف خـالدة وبطـولات عجيبـة ونماذج من شجاعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

وإذا أردنا أن نستشهد بكلماته هو والتي صرح فيها بشجاعته إبـرازاً لصفـة من صفات الإمام وأنه أولى بالإمامة من غيره. فمن ذلك ما يلي:

أ – ومما قاله (عليه السلام) : [2]

(والله لابنُ أبي طالبٍ آنسُ بالموتِ من الطفـلِ بثـدي أمِّـه). وأي شـجاعة

---

١ – خ١٩٧، ص٣١١.

٢ – خ٥، ص٥٢.

كالأنس بالموت وعدم الاكتراث به، ولِلعلمِ فإن مظهر الشجاعة ليس في الحرب فقط بل هي أيضاً القوة القلبية في تحمل الشدائد والصبر على البلاء.

ب – وقال عليه السلام مؤرخاً لذلك السجل الحافل: [1]

(حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالبٍ رجلٌ شجاع، ولكن لا علمَ له بالحرب. للهِ أبوهم! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مراساً، وأقدمُ فيها مقاماً مني! لقد نهَضتُ فيها وما بلَغتُ العشرين، وهأنذا قد ذرَّفتُ على الستين! ولكن لا رأيَ لمن لا يُطاع). فلو اقتصرنا على مظهر الشجاعة في الحرب لوجدنا أنها تربو على أربعين سنة خاض الإمام فيها الحرب بطلاً للإسلام ومدافعاً عن الحق، لم يمنعه صغر السن و لم تقعده الستون. ومن العجب أن القوم أبوا عليه الخلافة لصغر سِنّهِ كما صرَّحوا بذلك، فلماذا إذن لم يستصغروا سنه فيخرجون بدله حين خرج يواجه الأبطال في بدر وأحد والخندق وخيبر وكثير غيرها. ولماذا كان الكبار كباراً للخلافة وصغاراً في حروب الإسلام.

ج – وفي كتاب وجَّههُ إلى معاوية قال عليه السلام: [2]

(وقد دعوتَ إلى الحربِ، فدعِ الناسَ جانباً واخرجْ إليَّ، وأعْفِ الفريقين من القتال، لتعلمَ أيُّنا المَرِينُ على قلبِه، والمُغطّى على بصرِه! فأنا أبو حسنٍ قاتلُ جدِّكَ وأخيكَ وخالكَ شدخاً يومَ بدر، وذلك السيفُ معي، وبذلك القلبِ ألقى عدوي، ما استبدلتُ ديناً، ولا استحدثتُ نبياً. وإني لعلى المنهاجِ الذي تركتموهُ طائعين، ودخلتم فيه مكرَهين). أمير المؤمنين عليه السلام إمام البلاغة ومَشْرَعُ الفصاحة، وأسلوبه هنا من الأساليب التي ترهب أعداء الله وتدخل الخوف على قلوبهم فلا يهنؤون بحياة، وكلماته عليه السلام كسيفه، وفي أسلوبه أيضاً الفخر الذي هو في محله لإحقاق الحق واستثارة أعداء الحق.

---

١ – خ٢، ص٧٠-٧١.

٢ – الكتاب رقم١٠، ص٣٧٠.

د – وفي كتاب بعثه إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رضي الله عنه لما ولاّه عليها قال عليه السلام:[1]

(إني والله لو لقيتُهم واحداً وهم طِلاعُ الأرضِ كلّها ما باليتُ ولا استوحشت). فعليٌّ يتحدَّى الدنيا بأسرها بشجاعته، وهو الكفؤ الذي كان حامية الإسلام والمسلمين والبطلَ المدافِعَ حين اشتداد الخطوب. فإن القائد إذا كان علياً فإن جيش الإسلام به منتصر كما كان كذلك، وإن الجند إنما يثبتون بثبات قائدهم فيربي منهم الأبطال أمثال مالك والمرقال وقيس بن سعد. وأما إذا كان القائد جباناً فإن الجيش ينهزم بانهزامه ويفرُّ معه. فأما علي فيقال عنه:

| | |
|---|---|
| إنْ كنتَ لجهلِكَ بالأيامِ | جحدْتَ مقامَ أبي شبرْ |
| فاسألْ بدراً واسألْ أحداً | وسلِ الأحزابَ وسلْ خيبرْ |

وأما غير علي فيقال له:

| | |
|---|---|
| عَذرتكما إنَّ الحِمَامَ لَمبغضٌ | وإنَّ بقاءَ النفسِ للنفسِ محبوبُ |

إذن فالعلم والعصمة والشجاعة مؤهلات لمن يكون جديراً ومستحقاً لأن يشغل هذا المنصب الجليل، الإمامة، ويكون خلفاً لرسول الله في القيام بأمر الإسلام وقيادة الأمة. والله سبحانه وتعالى هو الذي اطلع وعلم من يصلح لهذا المقام فاصطفاه و ﴿الله أعلمُ حيث يجعلُ رسالتَه﴾[2] ﴿ألا يعلمُ من خلقَ وهو اللطيفُ الخبير﴾[3].

١ – الكتاب رقم٦٢، ص٤٥٢.

٢ – سورة الأنعام – ١٢٤.

٣– سورة الملك – ١٤.

# علي والحاكمون

**أولاً: المقارنة**

**ثانياً: النقد**

**ثالثاً: حجة الإمام**

## مدخل

قاسـوكَ أبـا حسـنٍ بسـوا ... كَ وهـل بـالطودِ يقـاسُ الـذّرْ
أنّـى سـاووكَ بمـنْ نـاوو ... كَ وهـل ساووا نَعْلَـي قنـبرْ

الحديث في هذا الدرس يدور حول ثلاث نقاط:

١ – أنه لا تصح مقارنة بين علي وبين غيره.

٢ – ما وجَّهَهُ الإمامُ عليه السلام من انتقاد لمن تولى الحكم قبله بعد رحلة الرسول صلى الله عليه وآله.

٣ – أن الإمام عليه السلام تتوفر فيه المؤهلات ولديه الحجج التي احتجوا بها ليتسلموا الحكم، بل عنده من الحجج ما يزيد عليهم أيضاً.

ويكون هذا الدرس تتميماً لموضوع المؤهلات التي يجب أن تتوفر في خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

## أولاً: المقارنة بين علي وغيره

تحدثنا عن هذا المنصب الجليل، الإمامة، وخطورته والأهمية البالغة لمن يشغل مقام النبي، وذلك أن كلمة (إمام) تعني قائداً للأمة يهدي الناس إلى سواء السبيل ويكون حجة عليهم. لذلك لا بد وأن يكون الإمام مميزاً عن الكل في مستواه العلمي والعقلي والإيماني وما إلى ذلك من كمالات. وكما اعتنى الإمام عليه السلام بأحقيته في الإمامة والنص عليه بها وأقام الدليل على ذلك، نجده أيضاً اعتنى وصرَّحَ بأنه لا تصح مقارنة بينه وبين غيره. وما ذاك إلا لبيان أحقيته بالإمامة ودليل ومؤهل آخر يجعله أحق بالإمامة. وليس هذا التصريح من باب الفخر بل هو بيان للحقيقة ولا مجال هنا للتواضع والتنازل فإن الإمامة أساساً حق الله تعالى. وقد صرح الإمام بعدم صحة المقارنة بينه وبين غيره في خطبه وفي كتبه خاصة إلى

معاوية. ومن ذلك ما يلي:

أ - قال عليه السلام: [1]

(لا يُقَاسُ بآلِ محمدٍ صلى الله عليه وآله من هذهِ الأمةِ أَحَد). وهذا تعبير جازم وصريح بأنه لا تصح مقارنة بين آل محمد وسواهم، هذا والإمام سيد آل محمد فهو نفس النبي وأبو السبطين ووالد الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وليست هذه الأفضلية لآل محمد بشرف النسب بل يعني الإمام بالمقاييس الصحيحة وما به التفاضل، فلا يقاس بهم أحد في علم أو إيمان أو نزاهة. ولهذا لا تعني هذه الكلمة كلَّ آل محمد وفي كل مجال وفضيلة بل تعني من استحق ذلك بما يملك من كمالات. ولهذا فالقريب من محمد من قرَّبه عمله، والبعيد عن محمد من أبعده عمله وإن قرَّبه نسبه.

(ولا يسوَّى بهم من جَرَتْ نعمتهم عليه أبداً:...). ولعل الإمام يشير إلى أمور بعيدة باعتبار أن نعمة الخلق ونعمة المعرفة والهداية التي أفاضها الله على البشر إنما هي ببركات محمد وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام. فهم من جهةٍ علة الخلق، ومن جهةٍ أخرى ظاهرةٍ هم الذين جاهدوا لإيصال المعرفة والهداية إلى الناس فكانت دعوة الرسول وكان جهاد عليٍّ بفكره وسيفه في سبيل الدعوة. فعليٌّ نفسُهُ كان مؤسساً ورائداً للجهاد في سبيل نصرة الدعوة وإيصالها إلى الناس. وما بالك بقول النبي: (ضربةُ عليٍّ يومَ الخندقِ تَعْدِلُ عبادةَ الثقلين). وذلك لأنه لولا إن الإمام برز وجدَّل أعداء الإسلام لقُضِيَ على الإسلام والمسلمين بحسب الأسباب الطبيعية، ولم يصل الإسلام إلى ذلك الجيل والأجيال التي تلَتْه إلى يوم القيامة ولم يكونوا ليعرفوا العبادة وسائر تعاليم الإسلام لذلك فهم مَدِينون لتلك الضربة وذلك الموقف الذي تمَّ عن جهاد خاص من أجل إيصال الدعوة إلى الخلق.

ب - وفي الخطبة الشقشقية، قال عليه السلام: [2]

---

١ - خ٢، ص٤٧.

(متى اعترضَ الريبُ فيَّ مع الأولِ منهم حتى صرتُ أُقرَنُ إلى هذه النظائر).
فإنه من المعلوم أن صيغ التفاضل إنما تصح إذا كان بين الشيئين أو الشخصين جهة مشتركة يمكن معها المفاضلة كأن يكون شخصان غنيين فنقول هذا أغنى من هذا أو كلاهما مؤمنَين فنقول هذا أشد إيماناً من هذا، ولكن لا نقول إن هذا المؤمن أشد إيماناً من ذلك الكافر لعدم وجود جهة الاشتراك أصلاً. والإمام هنا يركز على هذه النقطة وأنه لا يقبل بالمقارنة بينه وبين غيره لأنها لا تصح أصلاً. ولم يكن هناك شك يمكن أن يرِدَ في فضله وعدم مقارنته بالأول منهم بالذات. وما ذَكَرَ الإمامُ عليه السلام الأولَ منهم إلا لأنه أول من حكم لا لميزة فيه أو أنه أفضل من غيره أو لشيء آخر. ولذلك يخطيء أهل السنة كثيراً حين يرتبون الحكام بعد النبي في الأفضلية بحسب ترتيبهم في تولي الحكم فيكون الأول أفضل من الثاني، والثاني أفضل من الثالث، بل إن بعضهم يبالغ كثيراً في الخطأ فيفَضِّل من جاء إلى الحكم أولاً حتى في الشجاعة فيكونون كلهم أشجع من الإمام عليه السلام. وهذا النوع من المقاييس مما لا ينبغي الإجابة عنه أصلاً. فالإمام إذن يستنكر وبشدة مقارنته بغيره.

ج – وفي كتاب وجهه إلى معاوية، قال عليه السلام: [1]

(فيا عجباً للدهر! إذ صرتُ يُقْرَنُ بي من لم يسْعَ بقدمي ولم تكن له كسابقتي، التي لا يُدْلي أحَدٌ بمثلها، إلا أن يدَّعي مدَّعٍ...). فإذا كان التفاضل بالسبق في الفضائل فليس لغيره مثل الذي له عليه السلام. وقد أوردنا في درس سابق [2] شيئاً من النواحي البلاغية في هذا النص الشريف.

وأخيراً أود أن أذكر نصين حول هذه النقطة لم يذكرهما الشريف الرضي في النهج وقد ذكرهما ابن أبي الحديد في شرحه للنهج. وهذان النصان هما: [3]

---

٢ – خ٣، ص٤٩.

١ – الكتاب رقم٩، ص٣٦٩.

٢ – درس (الإمامة والنص).

٣ – شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، الكلمة رقم ٦٦، ج٢٠، ص٢٦٢، والكلمة ٧٣٣،

النص الأول: قال له عثمان في كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبي بكر وعمر: أبو بكر وعمر خير منك. فقال: "أنا خير منك ومنهما، عبدتُ الله قبلهما وعبدتُهُ بعدهما". فهو عليه السلام لم يفخر بحسب أو نسب أو شيء مما يتفاخر به أهل الدنيا وإنما افتخر بعبادة الله تعالى وسبقه إلى ذلك في فترة لم يكن أحد منهم يعرف عبادة الله تعالى.

النص الثاني: قال عليه السلام: "كنتُ في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلي الناس كما يُنظر إلى الكواكب في أفق السماء، ثم غضَّ الدهر مني فقُرِنَ بي فلان وفلان، ثم قُرِنَ بي خمسةٌ أمثلهم عثمان، فقلتُ: واذفراه، ثم لم يرضَ الدهر بذلك حتى أرذلني فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة، لقد استنتِ الفِصَالُ حتى القرعى".

ومن الملاحظ أن الإمام يصرح بالأسماء أحياناً ولكن بعض الكتاب لا يجرؤون على إيراد الاسم الصريح أو أنهم احتراماً للشيخين يقولون: فلان وفلان. فالإمام يصرح أن مقارنته بالأول والثاني غضٌّ لحقه وفضله وأنها لا تصح أساساً . ثم أنزله الدهر حتى قُرِنَ بالخمسة في شورى عمر، ثم لم يرضَ الدهر حتى أنزله وقرنه بابن هند معاوية وابنِ النابغة عمرو بن العاص. والمثل الذي أورده الإمام عليه السلام يضرب لمن يرعى أمراً فوق مستواه أو ينال ما ليس له. فالإمام إذن يضمِّن آهاته وحسراته بسبب هذه المقارنة بينه وبين من لا تليق المقارنة به.

## ثانياً: الانتقاد

ومسألة الانتقاد مما ابتلي بها المسلمون فتحجرت عقول بعضهم عندها. وكان للتعصب دوره الكبير في الإصرار على عدالة كل الصحابة، وأن رسول الله استغفر لأهل بدر، وأن الله اطلع على قلوبهم فقال افعلوا ما شئتم.... وجرت خطوب السياسة فأوقفت العقول وحَرَّمَتِ الحديث وانتقاد أيِّ فردٍ رأى النبي بأي

---

ج٢٠، ص٣٢٦.

نحو كان. وهذا ظلم للحقيقة وجور على الحق. ومـن هنـا تكمـن الأهميـة البالغـة لأحاديث الإمام بهذا الصدد، فهو -كما عبرنا مراراً- أصـدق المؤرخـين وأقربهـم إلى تلك الأحداث وذلك الصراع، فنجد أنه بكل لباقة من جهـة، وبكـل وضـوح وجرأة من جهة أخرى تحدث في هذا المجال وانتقد ممارسات الحـاكمين وأشـار إلى افتقارهم لمؤهلات الحكم وخلافة الرسـول وشـغل ذلـك المنصـب الجليـل. فـانتقد الثلاثة: أبا بكر وعمر وعثمان، وشـخصيات أخرى. وقـد أوجـد ذلـك الانتقـاد وخاصـة الخطبـة الشقشـقية شـجىً وقـذىً عنـد أعـداء علـي أو المتعصبـين لتلـك الشخصيات، فحاولوا إبعاد ذلك الانتقاد لكي لا يـأخذ أثـره الكبـير، وكـان مـن نتائج ذلك الطعن في نسبة النهج إلى الإمام عليه السلام. ومـن أحاديثه بهـذا الصـدد مـا يلي:

أ - قال عليه السلام في الخطبة الشقشقية أيضاً: [1]

١ - أبو بكر:

(أما والله لقد تقمَّصَها فـلان وإنـه ليعلـم أن محلـي منهـا محـلُّ القطـبِ مـن الرحى، ينحدرُ عني السيل، ولا يرقى إليَّ الطير).

وقد قلنا أنه في بعض النسخ تصريح باسم ابن أبي قحافة، وعلى كل فالمعني بالأمر معروف. كما قلنا أن معنى تقمصها أي لبسـها كـالقميص. فالإمـام ينتقـد وبوضوح هذا العمل لأن الذي اغتصب الخلافـة كـان يعلـم تمامـاً أن الإمـام عليه السلام أولى بها فهو لها كالقطب في الرحـى قريـب منهـا ولائـق بهـا ولا تصلـح إلا بـه. ويلاحظ تمام الأدب والسمو في عبارات الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

(فسدَلْتُ دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً). فمـن كـان يـرى الحكـم بـل الدنيا كورقة في فم جرادة ، ومن كانت الخلافة عنده كالنعل البالية لا قيمة لهـا - لا بد وأنه يزهد فيها لَذَّاتِها ولا يطلبها إلا ليقيم الحق.

---

١ - خ٣، ص٤٨.

(وطفقْتُ أرتئي بين أن أصولَ بيدٍ جذّاء، أو أصبرَ على طَخيةٍ عمياء). فإن الإمامة حق الله تعالى، والإمام يعلم أن الواجب عليه أن يسترجعها، ولكنه لم يفعل ذلك لقلة الناصر ولخوفه على الإسلام من أعدائه الذين كانوا يتربصون به في تلك التفرة العصيبة ويستغلون خلاف المسلمين للقضاء على الإسلام والمسلمين، ولأسباب أخرى. ولذلك صبر الإمام محتسباً وتجرع الغصص حتى لقي ربه.

٢- عمر:

(حتى مضى الأولُ إلى سبيلِه فأدلى بها إلى فلانٍ بعده. ثم تمثّل بقولِ الأعشى:

شتانَ ما يومي على كورِها     ويومُ حيّانَ أخي جابرِ

فيا عجباً!! بينا هو يستقيلُها في حياتِهِ إذْ عقدها لآخر بعد وفاتِه -لشدَّ ما تشطّرا ضَرعيها!). وهذا غاية البلاء أن يغتصب الأول الخلافة ثم يطلب الاستقالة منها لعلمه بأنها ليست له، ومع ذلك فهو يعطيها للثاني بعد مماته وحتى دون استشارة أحد، وكأنها حقه وملكه. فأصبحت الخلافة كالبقرة الحلوب شَطْرٌ لأبي بكر وشطرٌ لعمر. وقد أورد التأريخ أن عمر هو أول من بايع أبا بكر وهو الذي عقد له البيعة ومكّنه من الخلافة. ولذلك يستدل بعض علماء السنة بذلك على صحة عقد الخلافة لشخص إذا بايعه ولو شخص واحد. ثم كافأ أبو بكر عمر على ذلك فأعطاه الخلافة بعده.

ولكن لمن أعطاها؟

(فصيَّرها في حوزةٍ خشناءَ). فقد عُرِفَ عمر بالخشونة والشدة حتى أن ابن أبي الحديد قال متحدثاً عن عائشة: "ولو كانت فعلتْ بعمر ما فعلتْ بهِ، وشقّتْ عصا الأمةِ عليه ثم ظفرَ بها، لقتلَها ومزّقها إرباً إرباً، ولكنَّ علياً كان حليماً كريماً"[1] واعتذر ابن أبي الحديد أيضاً لعمر بأن هذه الشدة والفظاظة فيه غريزة

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٢٥٤/١٧، شرح الكتاب رقم٦٤.

جُبِلَ عليها.

(يغلُظُ كلْمُها...): أي يشتد جَرحها للأمة.

(ويكثُرُ العِثَارُ فيها...): أي الخطأ والزلل فيها وتلك نتيجة عدم العلم، ولهذا أُحصِيَ لعمر سبعين مرة أو أكثر يقول فيها: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن، ولولا علي لهلك عمر[1].

(فصاحبُها كراكبِ الصعبةِ إنْ أشنقَ لها خرَم وإنْ أسلَسَ لها تقحَّم). أي عمر وحاله مع الخلافة، كراكب الناقة الصعبة، إن شد لجامها ليتمكن منها فإنه قد يقطع أنفها، وإن أسلس وأرخى اللجام ذهبت به وأقحمته في الأخطار.

(فمُنِيَ الناس - لعمرُ اللهِ...). فإنها عشر سنوات قاسى الناس فيها بلاءً شديداً ومحنةً كبرى.

## فيا للهِ ولِلشورى!

(حتى إذا مضى لسبيلِهِ جعلها في جماعةٍ زعمَ أني أحدُهُم،

فيا للهِ وللشورى!

متى اعترضَ الريبُ فيَّ مع الأولِ منهم حتى صرتُ أُقرَنُ إلى هذه النظائر!).

وقد ذكرنا معنى تخصيص الإمام عليه السلام الأول منهم بالذكر.

(فصغى رجلٌ منهم لضغنِه، ومالَ الآخرُ لصهرِه، معَ هَنٍ وهَنٍ). إذ كانت الشورى سداسية، وكان عمر يعلم أن عبدالرحمن بن عوف يميل إلى عثمان وكذلك سعد بن أبي وقاص لأن أمه من بني أمية. والتعبير (مع هَنٍ وهَنٍ) أي مع أمور أخرى وغالباً ما يستخدم ذلك كنايةً عن أمور مستقبحة.

---

١ - يمكن مراجعة الغدير ٨٣/٦ إلى ص٣٢٣، نوادر الأثر في علم عمر. وبالخصوص الصفحات: ١١٠، ١١١، ١٢٦، ١٤٤، ١٧٢، ٢٤٧.

٣ - عثمان:

(إلى أن قامَ ثالثُ القومِ). وهذا تعبير لطيف من الإمام يقصد بـه أن عثمـان الثالث من شاكلة قومه الأول والثاني.

(نافجاً حِضنَيهِ بين نثيلِهِ ومُعتَلَفِهِ). ويقصد الإمام بهذا أن هَمَّ الثـالث كـان علفه ودنياه.[1]

(وقامَ معه بنو أبيه يخضمون مالَ اللهِ خِضمةَ الإبلِ نِبتَةَ الربيع).[2]

(إلى أن انتكثَ عليهِ فتلُه، وأجهزَ عليهِ عملُه، وكبتْ بهِ بِطنتُه!). وهذا غاية الأمر أن يكون كل ما أصاب عثمان من بلاء وغضب من الناس حتى قتلـوه كـان بسبب حرصه على لذات الدنيا وملأ بطنه، فكانت تلك عاقبته.

وذكر الشيخ المطهري أن الإمام تحدث عن عثمان في ١٦ موضعاً في النهـج نظراً لكثرة المحن التي جرّها عثمان وشدة البلاء عليه[3].

---

١ - قال ابن أبي الحديد عند شرحه للخطبة الشقشقية ١/١٩٧: يريد أن هَمَّهُ الأكل والرجيع وهـذا من ممض الذم وأشد من قول الحطيئة الذي قِيلَ أنه أهجى بيت للعرب:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتِها    واقعُدْ فإنكَ أنت الطاعمُ الكاسي

٢ - وقال ابن أبي الحديد عند شرحه للشقشقية ١/١٩٨-١٩٩ متحدثاً عن عثمـان: وصحَّت فيـه فراسة عمر، فإنه أوطأ بني أمية رقاب الناس، وولاّهم الولايات وأقطعهم القطائع، وافتُتِحَت إفريقيـة في أيامه فأخذ الخمسَ كلَّهُ فوهبه لمروان...

وطلب منه عبدا لله بن خالد بن أسيد صِلَةً فأعطاه أربعمائة ألف درهم. وأعاد الحكم بن أبي العـاص بعد أن كان رسول الله ﷺ قد سيَّره ثـم لم يرده أبـو بكـر ولا عمـر، وأعطـاه مائـة ألـف درهـم. وتصدق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزوز على المسلمين، فأقطعه عثمـانُ الحـارثَ بن الحكم أخا مروان بن الحكم، وأقطع مروان فدك... وحمى المراعي حول المدينة كلها مـن مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية. وأعطى عبدا لله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقيـة بالمغرب... وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الـذي أمر فيـه لمروان بـن الحكم بمائة ألف...

٣ - في رحاب نهج البلاغة، للشيخ المطهري، فصل ( نقده للخلفاء )، ص١٢١.

ب – وقال عليه السلام في معنى قتل عثمان: [1]

(وأنا جامعٌ لكم أمرَه، استأثر فأساءَ الأثَرة، وجزعتُمْ فأسأتُم الجزَع، و للهِ حكمٌ واقعٌ في المستأثرِ والجازع). أي أنه طمع وأساء، وهذا تعبير دقيق من الإمام وبيان لواقع الحال.

ج – وقال عليه السلام في حديث إلى عثمان: [2]

(فاعلمْ أن أفضلَ عبادِ اللهِ عند اللهِ إمامٌ عادلٌ، هُدِيَ فهدى... وإنَّ شرَّ الناسِ عند اللهِ إمامٌ جائرٌ ضلَّ وضُلَّ به... فلا تكوننَّ لمروانَ سيِّقَةً يسوقُكَ حيث شاء، بعد جلالِ السن وتقضِّي العمر). وهذه صراحة ودقة في النقد ما بعدها شيء. ويذكر التأريخ أن مروان كان هو المتحكم في عثمان وحكمه، وقد كانت زوجة عثمان أيضاً تخبره أن بلاءه هو من مروان.

د – وفي كتاب إلى معاوية، قال عليه السلام: [3]

(وما كنتُ لأعتذر من أني كنتُ أنقمُ عليهِ أحداثاً، فإن كانَ الذنبُ إليه إرشادي وهدايتي له، فرب ملومٍ لا ذنبَ له) [4]

## ثالثاً: حجة الإمام

فقد أخذ الإمام الحجة منهم عليهم وأدانهم بها بل وزاد عليها، كما يتجلى في هذه النصوص التالية:

---

١ – خ٣٠، ص٧٣.

٢ – خ١٦٤، ص٢٣٥.

٣ – الكتاب رقم٢٨، ص٣٨٨.

٤ – وللتوسع في مجال النقد يراجع كتابنا الكبير (النصب والنواصب) فقد أوردنا الكثير من ذلك في تراجم الحكام الثلاثة.

أ – لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام: [1]

ما قالتِ الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير؛ قال عليه السلام: فهلاّ احتججتم عليهم بأن رسولَ اللهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم وصّى بأن يحسنَ إلى محسنِهم، ويُتجاوزَ عن مسيئِهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصايةُ بهم. ثم قال عليه السلام: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فقال عليه السلام: احتجوا بالشجرة، وأضاعوا الثمرة.

وحجة الإمام في الأنصار واضحة، وإذا كانت المسألة بالقرابة فأهل البيت أولى برسول الله وأقرب من سائر قريش.

ب – وقال عليه السلام متعجباً ومفنداً: [2]

(واعجباه! أتكونُ الخلافةُ بالصحابةِ والقرابة؟) وفي رواية يذكرها ابن أبي الحديد: "واعجباً أتكونُ الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة"[3]. فعلى الرواية الأولى ليست الصحابة ولا القرابة مقياساً صحيحاً للأحقية بالخلافة وتولي منصب جليل كان يشغله رسول الله. والحق أن أحقية آل محمد بالخلافة ليست بسبب القرابة بل بسبب المؤهلات التي أهلتهم لذلك، ومن أهم الدلائل النص فهو يكشف عن المؤهلات لتولي هذا المنصب المهم، وقد كان النص وكانت المؤهلات جلية في أشخاص الأئمة عليهم السلام. وعلى الرواية الثانية حتى لو أردنا الصحابة مقياساً فإن علياً عليه السلام يشترك مع القوم في كونه صحابياً، بل يزيد عليهم بطول الصحبة وقرابته أيضاً، وأين أبو بكر وعمر وعثمان من القرابة الشديدة والصلة الوثيقة بين رسول الله وبين علي؟

---

١ – خ٦٧، ص٩٧.

٢ – الحكمة رقم١٩٠، ص٥٠٢.

قال الرضي: وروي له شعر في هذا المعنى:

فإنْ كنتَ بالشورى ملكتَ أمورَهمْ

فكيفَ بهذا والمشيرونَ غُيبُ

وإنْ كنتَ بالقُربى حجَجْتَ خصيمَهمْ

فغيرُكَ أولى بالنبيِّ وأقربُ

---

٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨/٤١٦.

# الأئمة

**أولاً: التقاء النصوص العامة والخاصة في الأئمة عليهم السلام وانطباقها عليهم**

**ثانياً: نص الوصي**

**من النصوص العامة والخاصة حول الإمامة**

## مدخل

قال الله العظيم في محكم كتابِهِ الكريم:

﴿يومَ ندعو كلَّ أُناسٍ بإمامِهِم﴾ [1]

درسُنا لا يزال حول موضوع الإمامة بعد أن تحدثنا في دروس سابقة عن ادعاء أمير المؤمنين عليه السلام للإمامة وإقامته الدليل والحجة وانتقاده لمن تصدى قبله للحكم. ويتناول درسنا هذا ما ذكره أمير المؤمنين حول الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وهو يدور حول جهتين:

## أولاً: التقاء النصوص العامة والخاصة في الأئمة عليهم السلام وانطباقها عليهم

ونعني بذلك أن كل الأحاديث التي تدور في فلك الإمامة والمسلَّم بها والمقبولة عند كافة المسلمين جميعها تنطبق وتؤيد نظرية أهل البيت حول الإمامة. وهذا الانطباق دليل ومقياس لصحة المعتقد. أما الآراء الأخرى حول الإمامة من غير طريق أهل البيت فإن الخلل فيها واضح والإشكالَ بيِّنٌ ويلاحظ بُعْدُها عن هذه الأحاديث المسلَّم بها وعدم قدرتها على تفسيرها. فحينما نستعرض حديث (الثقلين) وحديث (الأئمة اثنا عشر كلُّهم من قريش) أو (كلُّهم من بني هاشم) كما بينا في درس سابق[2]، والروايات الأخرى كالتي جاءت في الصواعق المحرقة لابن حجر ص.١٥٠: (في كلِّ خلفٍ من أمتي عدولٌ من أهلِ بيتي ينفون عن هذا الدينِ تحريفَ الضالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين، ألا وإنَّ أئمتَكم وفْدُكُم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فانظروا من توفِدون)، وأحاديثَ أخرى كثيرة كحديث "سفينة نوح" و "باب حطة" يمكن مراجعتها مثلاً في المراجعة العاشرة من كتاب

---

١ - سورة الإسراء - ٧١.

٢ - درس (الإمامة والنص).

(المراجعات) للإمام شرف الدين رحمه الله حينما نستعرض هذه الأحاديث وكثيراً غيرها نجد أنها لا تنطبق إلاّ على نظرية أهل البيت عليهم السلام حول الإمامة. وهنا أمران آخران:

## الأمر الأول:

أن هذه الروايات وهذا الموضوع الذي تتحدث عنه عاد محيِّراً لعلماء السنة الذين وقفوا حائرين أمام هذه الروايات التي جاءت في صحاحهم وكتب الحديث عندهم. فهذا السيوطي وهو من أعلامهم المتبحرين في علم الحديث يلقي قولاً عجيباً بل مضحكاً في تحديد الأئمة الإثني عشر الذين يجدهم في أحاديث صحيحة كثيرة عندهم، فيقول أن هؤلاء الأئمة الإثني عشر هم الخلفاء الأربعة وخامساً معاوية وسادساً الحسن وسابعاً الزبير وثامناً عمر بن عبدالعزيز فهؤلاء ثمانية يمكن أن يضاف إليهم المهدي العباسي لأنه يشبه فيهم عمر بن عبدالعزيز في الأمويين ويبقى منتظران آخران أحدهما المنتظر من آل محمد والمنتظر الآخر لم يذكره ومع كل هذا التخبط والتجاوز واختيار حكام دون آخرين فإن العدد لم يكمل بعد. ولهذا عقّب أبو رية ناقل الكلام بقوله رحم الله من قال إن السيوطي كحاطب ليل.[1]

وكذلك الفضل بن روزبهان في رده على العلامة الحلي كان على هذه الشاكلة[2] فهم يتخبطون في تعداد أسماء هؤلاء على مر التأريخ في حين أن

---

١ - نقل ذلك السيد محمد تقي الحكيم -حفظه الله- في كتابه (الأصول العامة للفقه المقارن) ص١٨٠، نقلاً عن أبي ريَّة في كتابه (أضواء على السنة المحمدية) ص٢١٢.

٢ - كما في (دلائل الصدق) للشيخ محمد حسن المظفر ٢/٣١٥. وتجدر مراجعة ص٣١٤ إلى ص٣١٩.

فقد ألّفَ العلامة الحلي كتابه (كشف الحق) وردَّ عليه ابن روزبهان بكتابه (إبطال الباطل) فرد القاضي نور الله على ابن روزبهان بكتابه (إحقاق الحق) وانتصر الشيخ المظفر للعلامة بـ (دلائل الصدق).

الإمامية يأتون بأسماء الأئمة على نسق تاريخي صحيح وبصفاتهم المميزة التي اعترف لهم التاريخ بها وشهد بفضلهم كما أنهم يستندون إلى أدلة نقلية من الروايات الأخرى وأدلة عقلية جلية.

### *الأمر الثاني:*

وهو كطريفة يذكرها السيد عبدالله شبر [1] وخلاصتها أن سلطاناً من سلاطينهم بعد أن اطلع على هذه الأحاديث جمع علماء بلده وسألهم على من تنطبق هذه الروايات فإذا كان على كل أحد من قريش فالذين تصدوا منهم للحكم كثيرون وإذا كان على مجموعة منهم فمن هي هذه المجموعة الخاصة المعينة، فاستمهلوه ١٠ أيام ثم بعد أن جمعهم غاب أحدهم وكان أبرزهم وأنبههم فلما طلب حضوره طلب منه الأمان أولاً ثم قال في جوابه إن هذه الروايات لا تنطبق إلا على مذهب الإمامية، ولكنا نقول إنها أخبار آحاد لا تُثبتُ علماً ولا حجةً فقنع منه وقبل قوله. ويعقب السيد عبدالله شبر أن هذه روايات صحيحة ومتواترة وبعيدة تماماً عن إطار أخبار الآحاد فلا يصح الحكم عليها بهذا الحكم.

إذن فالنقطة الأولى هي انطباق أحاديث الإمامة على نظرية أهل البيت فقط ووضوح مصداق الأئمة الإثني عشر في أئمتهم عليهم السلام مما يدلل على صحة المعتقد وقوته.

## ثانياً: نص الوصي

وهذا مطلب مهم يعتمد على ما قُرِّرَ من أن الإمام يكون بالنص عليه إما من قِبَلِ الرسول أو من قِبَلِ الإمام الذي يسبقه، وحيث أن الإمام السابق معلومة إمامته مُصَدَّقٌ في قوله فيكون نصُّهُ على من يليه صحيحاً مثبتاً للإمامة، وقد بيَّنا فيما سبق أن النص الأول هو في الأساس من قِبَلِ الله تعالى وليس تبرعاً أو تكلفاً

١ - في كتابه (حق اليقين) ١/٢٠٢.

من عند الرسول أو الإمام. فنصوص أمير المؤمنين عليه السلام حول الإمامة هي بأمر الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله.

ولو أردنا أن نصنف هذه النصوص على الإمام لوجدنا أنها صنفان أساسان:

### الأول: الكلمات العامة:

وهي التي تحمل امتياز أهل البيت عليهم السلام على من سواهم وأهليتهم للإمامة بموهلات العلم وجامعية المعرفة والإحاطة بكتاب الله تعالى وأنهم لا يقاس بهم أحد في فضيلة وبهم استقام الدين.

### الثاني: النصوص الخاصة:

كذكره الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام أو حديثه عن الإمام المهدي عليه السلام. وأما بقية الأئمة فلم يرد ذكرهم فيما بين يدينا من نهج البلاغة وإن كانوا قد ذُكِروا بأسمائهم في أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله إلا أن مجال درسنا هو فلك نهج البلاغة.

### النصوص العامة:

أ – قال عليه السلام: [1]

(هم موضعُ سرِّهِ ولَجَأُ أمرِهِ وعيبةُ علمِه وموئلُ حكمِه وكهوفُ كتبِه وجبالُ دينِه). فأهل البيت هم لجأ (ملاذ) أمر الله تعالى وعيبة (وعاء) علمه وهم كهوف كتبه المنزلة على الأنبياء أي أنهم يحيطون بالتوراة والإنجيل والزبور والصحف التي أنزلت على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام بالإضافة إلى إحاطتهم

---

١ – خ٢، ص٤٧.

بكتاب الله القرآن الكريم وهذه دعوى كبيرة لا تتم لأحد غيرهم.

(بهم أقامَ انحناءَ ظهرِه وأذْهَبَ ارتعادَ فرائصِه). فحينما يتولى أمر الدين غيرهم ينحني أمره وترتعد فرائصه أما هم فإنهم مصدر قوته وأمانه.

ب – وحباً وحرصاً على هداية الأمة أكد عليه السلام: [1]

(انظروا أهلَ بيتِ نبيِّكم فالزموا سمتَهم واتبعوا أثَرَهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا). وهذا الأمر بالاتباع المطلق ليس دعوةً للتقليد الأعمى بل للتقليد الأهدى وهو مُعَلَّلٌ بأنهم يقودون إلى الهدى ويُبعدون عن الضلال والردى وهم محل ثقة الله ومصاديق العصمة والهداية.

ج – ويقرر عليه السلام هذه الحقيقية بقوله: [2]

(ألا إن مَثَلَ آلِ محمدٍ صلى الله عليه وآله كمثلِ نجومِ السماء إذا خوى نجمٌ طلعَ نجمٌ فكأنكم قد تكاملت مِن اللهِ فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون). ففي كل فترة إمام من آل محمد قائم بأمر الدين وهذا ضمان وأمان للناس من الضلال. وقد علمنا أن التعبير بآل محمد أو العترة أو أهل البيت لا يُقصَدُ به عموم السادة –ممن له شرف الانتساب– بل يقصد به تلك المجموعة الخاصة المباركة المتمثلة في الأئمة عليهم السلام. ولعل آخر الكلام إشارة إلى الإمام المهدي عليه السلام لأن به كمال النعمة وتحقق آمال المؤمنين بإقامة العدل وإبادة الظلم.

د – ويكرر الإمام عليه السلام هذه الحقيقية بأسلوب آخر بقوله: [3]

(نحن شجرةُ النبوة، ومحطُّ الرسالة، ومختلَفُ الملائكة، ومعادِنُ العلم، وينابيعُ الحكْم، ناصِرُنا ومحبُّنا ينتظرُ الرحمة، وعدوُّنا ومبغضُنا ينتظرُ السَّطْوَة).

---

١ – خ٩٧، ص١٤٣.

٢ – خ١٠٠، ص١٤٦.

٣ – خ١٠٩، ص١٦٢.

فقد أوضح هنا المؤهلات التي ميزت أهل البيت وأهّلتهم للإمامة من كون الملائكة تتنزل في بيوتهم فهم أصل الدعوة ومن كونهم أصحاب العلم لا يجاريهم فيه أحد، ثم بيَّن عليه السلام وجوب اتباعهم وأهمية ذلك وأن ناصرهم موضع للرحمة في الدنيا والآخرة وعدوهم موضع للعذاب في الدنيا والآخرة.

هـ - وقال عليه السلام: [1]

(فإنه من مات منكم على فراشِهِ وهو على معرفـةِ حـقِّ ربِّـهِ وحـقِّ رسولِه وأهلِ بيتِهِ مات شهيداً....). فهنا يذكر الإمام هذه الأصول المهمة: التوحيد والنبوة والإمامة وأن العارف بها يرتقي إلى مرتبة الشهيد ولو مات على فراشه وما ذاك إلا لجلال مقام هذه الأصول التي منها الإمامة. وهذا النص ينسجم مع رواية يرويها الجميع: (من مات على حبِّ آلِ محمدٍ مات شهيداً).

و - وفي حديث إلى كميل بن زياد رضي الله عنه قال عليه السلام: [2]

(اللهم بلى لا تخلو الأرضُ من قائمٍ للهِ بحجةٍ، إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً...). وهذه إشارة واضحة إلى الإمام المهدي عليه السلام لأنه هو الإمام المغيَّب. وهذا ينسجم مع المعتقد الحق وسيرة الأئمة من تعاقبهم على أمر الدين ووجودهم في كل فترة.

ولا يخفى أن هذه النصوص المتقدمة صادرة عن مصدر مسؤول، قوله حجة وتبليغه هو من عند ا لله تعالى.

### *النصوص الخاصة:*

أ - قال عليه السلام: [3]

---

١ - خ١٩٠، ص٢٨٣.

٢ - الحكمة رقم١٤٧، ص٤٩٧.

٣ - خ٨٧، ص١١٩.

(فـأين تذهبـون؟ وأنّـى تُؤفكـون! والأعـلامُ قائمـة، والآيـاتُ واضحـة... وبينكم عترةُ نبيِّكم! وهم أزِمَّةُ الحـق، وأعـلامُ الدين وألسِنةُ الصـدق! فـأنزِلوهم بأحسنِ منـازلِ القـرآن ورِدُوهـم ورودَ الهِيـمِ العِطـاش... ألم أعمـلْ فيكـم بـالثقلِ الأكبر، وأترك فيكم الثقلَ الأصغر!).

وهذا النص ينسجم مع حديث الثقلين (كتـاب الله وعـترة رسـوله) فكـان يجب على الناس أن يتبعوا العترة كمـا يتبعـون القـرآن وأن يعطـوا القـرآن والعـترة حقيهما من الالتزام بهما وأن يأتوا العترة برغبة وشوق كمـا تـأتي الإبـل العطـاش إلى الماء.

ب – وفي كتاب جواباً إلى معاوية، قال عليه السلام:[1]

(ومنا سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة، ومنكـم صِبيَـةُ النـار...). فهـذه إيمـاءة إنْ لم تكن نصاً صريحاً إلى إمامة الحسن والحسين عليهما السلام اللذين قـال فيهمـا رسـول الله صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهـل الجنـة) لأن هـذه السـيادة لا تتـأتى إلا للكامل في جميع الصفات والأخلاق والملكات وهذه هي العصمة الـتي هـي شـرط للإمامة.

ج – وفي ما استدركه ابن أبي الحديد على النهج[2] قوله عليه السلام:

(اللهم إني أستعديكَ على قريش فإنهم أضمروا لرسولِك صلى الله عليه وآله ضروبـاً مـن الشرِّ والغدرِ فعجزوا عنها وحُلْتَ بينهم وبينها فكانت الوجبةُ بي والدائرةُ علـيَّ). فهو يسأل الله تعالى أن يأخذ له بحقه من قريش لأن البلاء منهم كان خاصة عليه، وعليه وقعت المحنة فكانت مظلوميته أشد وأعظم.

(اللهم احفظْ حسناً وحسيناً ولا تمكِّنْ فجرةَ قريشٍ منهما ما دمـتُ حيـاً). فإن الحفظ والسلامة يراد لكل العترة بـل لكـل المسـلمين ولكـن تخصيـص الحسـن

---

١ – الكتاب رقم٢٨، ص٣٨٧.

٢ – في شرحه للنهج ٢٩٨/٢٠، الكلمة رقم٤١٣.

والحسين بهذا الأمر إنما كان لمقامهما من الإمامة.

ما يلي:

د - وفيما ذكره حول الإمام المهدي عليه السلام قوله: [1]

(يَعطِفُ الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطفُ الرأيَ على القرآنِ إذا عطفوا القرآنَ على الرأي... وتُخرِجُ له الأرضُ أفاليذَ كبدِها وتُلقي إليه سِلْماً مقاليدَها فيُريكم كيف عدلُ السيرة، ويحيي ميتَ الكتابِ والسُّنة). وهذا النص هو من أخبار الملاحم وهي قضايا من عالم الغيب يخبر بها الإمام قبل وقوعها فتقع بعد حين كما أخبر بها. وهو يشير هنا إلى تبدل مقاييس الناس فحينما يريدون أن يكون الهدى تابعاً للهوى يأتي من يجعل الهوى والميل إلى الهدى، وحينما يريدون أن يجعلوا القرآن حسب آرائهم يأتي من يجعل آراءهم حسب القرآن، وتخرج له الأرض خيراتها فيُرِي الناس العدل العظيم، ويحيي ما اندثر من تعاليم الكتاب والسنة وأضاعه الناس.

هـ - وتحدث عن بعض بركات الإمام المهدي عليه السلام قائلاً: [2]

"لتعطِفَنَّ الدنيا علينا بعد شِماسِها عطْفَ الضَّرُوسِ على ولدِها وتلا عقيب ذلك: ﴿ونريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين استضْعِفوا في الأرضِ ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين﴾[3]". والآية التي تلاها الإمام فُسِّرتْ في المهدي عليه السلام فإن الدنيا منعت أهل البيت من خيرها، وظَلَمَهم أهلُها واستضعفوهم ولم يتغير هذا الظلم بعدُ، فهي إشارة إلى رجوع الحق إلى أهله بظهور المهدي عليه السلام الذي يرث الأرض وتهب له خيراتها فيتحقق نصرُ المستضعَفين وسعادتهم.

---

١ - خ١٣٨، ص١٩٥.

٢ - الحكمة رقم٢٠٩، ص٥٠٦.

٣ - سورة القصص - ٥.

(فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون! والأعلامُ قائمة، والآياتُ واضحة... وبينكم عترةُ نبيّكم! وهم أزمّةُ الحق، وأعلامُ الدين وألسِنةُ الصدق! فأنزِلوهم بأحسنِ منازلِ القرآن ورِدُوهم ورودَ الهِيمِ العِطاش... ألم أعملْ فيكم بالثقلِ الأكبر، وأترك فيكم الثقلَ الأصغر!).

وهذا النص ينسجم مع حديث الثقلين (كتاب الله وعترة رسوله) فكان يجب على الناس أن يتبعوا العترة كما يتبعون القرآن وأن يعطوا القرآن والعترة حقيهما من الالتزام بهما وأن يأتوا العترة برغبة وشوق كما تأتي الإبل العطاش إلى الماء.

ب - وفي كتاب جواباً إلى معاوية، قال عليه السلام: [1]

(ومنا سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة، ومنكم صِبْيَةُ النار...). فهذه إيماءة إنْ لم تكن نصاً صريحاً إلى إمامة الحسن والحسين عليهما السلام اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) لأن هذه السيادة لا تتأتى إلا للكامل في جميع الصفات والأخلاق والملكات وهذه هي العصمة التي هي شرط للإمامة.

ج - وفي ما استدركه ابن أبي الحديد على النهج [2] قوله عليه السلام:

(اللهم إني أستعديكَ على قريش فإنهم أضمروا لرسولِك صلى الله عليه وآله ضروباً من الشرِّ والغدرِ فعجزوا عنها وحُلْتَ بينهم وبينها فكانت الوجبةُ بي والدائرةُ عليَّ). فهو يسأل الله تعالى أن يأخذ له بحقه من قريش لأن البلاء منهم كان خاصة عليه، وعليه وقعت المحنة فكانت مظلوميته أشد وأعظم.

(اللهم احفظْ حسناً وحسيناً ولا تمكِّنْ فجرةَ قريشٍ منهما ما دمتُ حياً). فإن الحفظ والسلامة يراد لكل العترة بل لكل المسلمين ولكن تخصيص الحسن

---

١ - الكتاب رقم٢٨، ص٣٨٧.

٢ - في شرحه للنهج ٢٠/٢٩٨، الكلمة رقم٤١٣.

والحسين بهذا الأمر إنما كان لمقامهما من الإمامة.

ما يلي:

د – وفيما ذكره حول الإمام المهدي عليه السلام قوله: [1]

(يَعطِفُ الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطفُ الرأيَ على القرآنِ إذا عطفوا القرآنَ على الرأي... وتُخرِجُ له الأرضُ أفاليذَ كبدِها وتُلقي إليه سِلْماً مقاليدَها فيُريكم كيف عدلُ السيرة، ويحيي ميتَ الكتابِ والسُّنة). وهذا النص هو من أخبار الملاحم وهي قضايا من عالم الغيب يخبر بها الإمام قبل وقوعها فتقع بعد حين كما أخبر بها. وهو يشير هنا إلى تبدل مقاييس الناس فحينما يريدون أن يكون الهدى تابعاً للهوى يأتي من يجعل الهوى والميل إلى الهدى، وحينما يريدون أن يجعلوا القرآن حسب آرائهم يأتي من يجعل آراءهم حسب القرآن، وتخرج له الأرض خيراتها فيُرِي الناس العدل العظيم، ويحيي ما اندثر من تعاليم الكتاب والسنة وأضاعه الناس.

هـ – وتحدث عن بعض بركات الإمام المهدي عليه السلام قائلاً: [2]

"لتعطِفَنَّ الدنيا علينا بعد شِماسِها عطْفَ الضَّرُوسِ على ولدِها وتلا عقيب ذلك: ﴿ونريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين استضْعِفوا في الأرضِ ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين﴾[3]". والآية التي تلاها الإمام فُسِّرتْ في المهدي عليه السلام فإن الدنيا منعت أهل البيت من خيرها، وظَلَمَهم أهلُها واستضعفوهم ولم يتغير هذا الظلم بعدُ، فهي إشارة إلى رجوع الحق إلى أهله بظهور المهدي عليه السلام الذي يرث الأرض وتهب له خيراتها فيتحقق نصرُ المستضعَفين وسعادتهم.

---

١ – خ١٣٨، ص١٩٥.

٢ – الحكمة رقم٢٠٩، ص٥٠٦.

٣ – سورة القصص – ٥.

و - وقال عليه السلام: [1]

(قد لبسَ للحكمةِ جُنّتَها... فهو مغتربٌ إذا اغتربَ الإسلام وضربَ بعَسيبِ ذنبه وألصقَ الأرضَ بجِرانِه، بقيةٌ من بقايا حجتِه خليفةٌ من خلائِفِ أنبيائه). فهذه إشارة إلى ما يؤول إليه أمر الدين من ضعف وهوان وغربة حتى يأتي من يعيد له قوته وعزته وهو البقية والحجة المهدي عليه السلام.

وقد لاحظت في الشروح كشرح ابن أبي الحديد أنه يفسر هذه النصوص بأنها تعني المهدي عليه السلام ويقول أن مقالة الإمامية تعني إماماً حاضراً ومقالتهم هم تعني إماماً سيولد بعد ذلك، فالجميع إذن متفق أن هذه النصوص تشير إلى قضية المهدي عليه السلام مع اختلاف المنهجين.

وقد عُدَّتْ أحاديث الإمامة بشكل عام والصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأنها من الإنباء بالغيب لأنه تحدث عن أئمة بأسمائهم وتسلسلهم قبل أن يولدوا بعد وقد دُوِّنت هذه الأحاديث عند الجميع قبل ميلاد جملة من الأئمة وكان الناس على علم بها، ثم تتحقق الأحاديث كما تحدث بها الرسول فيولد الأئمة ويتصدون للإمامة ويكون لهم ذلك الوجود البارز والامتياز الخاص على أهل زمانهم، ﴿ولو كان من عند غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [2]

---

1 - خ١٨٢، ص٢٦٣.

2 - سورة النساء - ٨٢.

# علي والحكم

الأهمية الذاتية للحكم وحرص الإمام عليه
زهد الإمام في الحكم متاعاً دنيوياً زائلاً

## مدخل

جُمِعَتْ في صفاتِكَ الأضدادُ     فلهذا عزَّتْ لكَ الأندادُ

موضوعنا الذي سنتناوله فيما يأتي من دروس -إن شاء الله تعالى- هو حول عليٍّ: الإمام الحاكم والإمام الإنسان. ونتناول في هذا الدرس نقطة واحدة كمقدمة للموضوع وهي الأهمية الذاتية للحكم من جهة، وزهد الإمام فيه من جهة أخرى. ونتناول فيما يأتي من حلقات هذا الموضوع شيئاً من سياسة الإمام في حكمه، وإنسانيته وأخلاقه كحاكم.

## الأهمية الذاتية للحكم وحرص الإمام عليه

فقد كان الإمام (عليه السلام) على يقين تام بأن الحق والحكم له وكان يصرِّح بأنه لو وجد أنصاراً ولم يكن هناك خطر على الإسلام لحارب من أجل استرجاع حقه السليب. وذلك لأن الإمامة والحكم ليست مسألة شخصية اختيارية يقوم بها الإمام أو يدعها بل هي قضية إلهية على نسق النبوة التي يجعلها الله تعالى لمن هو أهلها من عباده ﴿الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه﴾ [1]. فكما أن الإمام مكلفٌ بالصلاة والصيام ولا مجال له أن يدع ذلك، فكذلك هو مكلف بالقيام بالإمامة والحكم كتكليف النبي بالنبوة والدعوة، ولا مجال له أن يدع ذلك ويتنازل عنه، بل إن موضوع الإمامة أسمى وأجل من سائر التكاليف بالعبادات لأهميتها البالغة في إقامة الدين وهداية الأمة. ومن هذا المنطلق كان الإمام حريصاً على أمر الحكم ومستميتاً في ذلك، إلا أنه لم يتهيأ له من الظروف ما يمكّنه من أخذ حقه وكانت هناك أسباب تمنعه بيناها فيما سبق كعدم وجود ما يكفي من الأنصار والخوف على الإسلام في تلك الفترة الحرجة التي رجع فيها من رجع من الناس واستعد أعداء الإسلام للقضاء عليه.

---

١ - سورة الأنعام - ١٢٤.

وكان الإمام -وهو المحيط بأوامر الشرع ونواهيه وتعاليمه وقضايا الدعوة- عالماً بحاجة الناس أن يتعرفوا منه على أحكام الدين وغاياته وجميع شؤونه بما يصلحهم في دنياهم وأخراهم، فكان والحال هذه لا يسعه أن يتنحّى ويعتزل ويترك أمر الأمة على ما هي عليه من الحاجة إليه.

وأما من جهة أخرى تتعلق بملكات الإمام وذاته السامية فقد كان أزهد الناس في الحكم لذاته بل في الدنيا بأسرها بكل نعيمها ومغرياتها. وإن كل ما أبداه الإمام من آهات وحسرات ومطالبة بالخلافة إنما كان من أجل إحقاق الحق وإقامة العدل وإيصال الدين كما أراده الله تعالى إلى الناس.

ويعرف ذلك جلياً في سيرته (عليه السلام) بالدرجة الأولى، كما يعرف من النصوص التي نستعرض هنا بعضها ويلاحظ عليها أنها قد تحوي مزيجاً من هذه الحقائق التي بيناها، كما أن بعضها ذكرناه في دروس سابقة كشواهد على نقاط أخرى لذلك قد نعرض هنا عن إعادة شرحها. فمن هذه النصوص ما يلي:

أ - قوله (عليه السلام) حول ضرورة الأمير: [1]

(وإنه لا بدَّ للناسِ من أميرٍ بَرٍّ أو فاجر، يعملُ في إمرتِهِ المؤمن، ويستمتعُ فيها الكافر، ويبلّغ الله فيها الأجَل، ويُجمع به الفيء، ويُقاتَلُ به العدو، وتَأمن به السُّبُل، ويُؤخذُ به للضعيفِ من القوي، حتى يستريحَ بَرٌّ، ويُستراحَ من فاجر). فيلاحظ التركيز هنا على أمر الحكم وأنه منصب لا بد أن يبقى وكم من فرق بين أن يتولاه إمامٌ بَرٌّ يهدي الناس إلى الجنة وبين أن يتولاه إمام فاجر يقود الناس إلى النار.

ب - وقال (عليه السلام): [2]

(فوا للهِ ما زلتُ مدفوعاً عن حقي، مُستأثَراً عليَّ، منذُ قبضَ اللهُ نبيَّهُ صلى

---

١ - خ٤٠، ص٨٢.

٢ - خ٦، ص٥٣.

الله عليه (وآله) وسلم حتى يومِ الناسِ هذا). فهنا تصريح واضح منه عليه السلام بأنه الأولى بالحكم إلا أن القوم دفعوه عن هذا الحق.

ج - وفي الخطبة الشقشقية انتقاد واضح واعتراض شديد على من تولى الحكم قبله، وقد ضمَّنها الإمام حسراتٍ على ضياع الحكم واغتصابه من قبل الحاكمين قبله لا سيما وأن هذه الخطبة كانت بعد انتهاء فترة الحكام قبله وقد تكشَّفت حينها الحقائق وبان عدم أهليتهم للحكم من ناحية المقام العلمي والإيماني فكانت حسرات الإمام أشد بسبب ما جرى من أضرار كبيرة على الدين والأمة.[1]

د - وكتاب أرسله مع مالك الأشتر رضي الله عنه إلى أهل مصر لما ولاّه إمرتها قال عليه السلام:[2]

(فلما مضى عليه السلام تنازعَ المسلمون الأمرَ من بعده... فما راعني إلا انثيالُ الناسِ على فلانٍ يبايعونه، فأمسكتُ يدي حتى رأيتُ راجعةَ الناسِ قد رجعتْ عن الإسلامِ، يدعونَ إلى محقِ دينِ محمدٍ صلى الله عليه وآله فخشيتُ إنْ لم أنصرِ الإسلامَ وأهلَهُ أن أرى فيهِ ثلماً أو هدماً، تكونُ المصيبةُ به عليَّ أعظمَ من فوتِ ولايتِكم التي إنما هي متاعُ أيامٍ قلائل، يزولُ منها ما كان، كما يزولُ السراب، أو كما يتقشَّعُ السحاب، فنهضتُ في تلك الأحداثِ حتى زاحَ الباطلُ وزَهَق، واطمأنَّ الدينُ وتنهنه). وإن من مظاهر اهتمام الإمام بهذه القضية (غصب الخلافة) أننا نجده يسجلِّها في كثير من المناسبات فنجدها في خطبه وكتبه وكلماته القصار. وهذا النص الشريف جامع لكل ما ذكرناه حول أهمية الحكم وزهده فيه من جهة أخرى. وفيه ترجمة موسَّعة لقوله عليه السلام: (لأُسلِمَنَّ ما سَلِمتْ أمورُ المسلمين و لم يكن فيها جورٌ إلا عليَّ خاصة، التماساً لأجرِ ذلك وفضلِه، وزهداً فيما تنافستموه

---

١ - وقد فصَّلنا ذلك في شرح الخطبة الشقشقية.

٢ - الكتاب رقم٦٢، ص٤٥١.

من زخرفِهِ وزبرجه)[1]. وهذا ما ذكرناه في المقدمة من ضمن أسباب عدم قيام الإمام في أول الأمر وهو الحرص على مصلحة الإسلام والمسلمين. ثم هو يضمّنُ ما أشرنا إليه من زهده في الحكم الذي هو متاعُ أيامٍ قلائل.

هـ - ويشير الإمام إلى هدفه من الحكم فيقول عليه السلام:[2]

(اللهم إنكَ تعلمُ أنه لم يكنِ الذي كان منا منافسةً في سلطان، ولا التماسَ شيءٍ من فضولِ الحُطام، ولكنْ لِنَرِدَ المعالِمَ من دينِك، ونُظهِرَ الإصلاحَ في بلادِك، فيأمنَ المظلومونَ من عبادِك، وتُقامَ المُعَطّلَةُ من حدودِك). فهذا بيان منه لسبب اهتمامه بالحكم وأنه ليس رغبةً شخصية أو حباً في السلطان بل لإقامة دين الله به ونصرة المظلومين. وبعد هذه الكلمات برهن الإمام أنه أولى وأحق بالحكم ثم بين صفات الحاكم الحق.

## وزهد الإمام في الحكم متاعاً دنيوياً زائلاً

ونأخذ هنا ثلاثة نصوص فيها تشبيهات عجيبة بيّن فيها نظرته للحكم وللدنيا بأسرها:

و - (قال عبدالله بنُ عباس رضي الله عنه دخلتُ على أميرِ المؤمنينَ عليه السلام بذي قار وهو يخصِفُ نعله، فقال لي: ما قيمةُ هذه النعل ؟ فقلتُ: لا قيمةَ لها ! فقال عليه السلام: والله لهيَ أحبُّ إليَّ من إمرتِكم، إلا أن أُقيمَ حقاً، أو أدفعَ باطلاً، ثم خرج فخطب الناس...)[3]. في الوقت الذي يتنافس فيه الناس في الحكم حتى أنهم يذهبون جاههم وحياتهم دونه على أمل قد يتم أو لا يتم - نجد أن الإمام عليه السلام يرى أن الحكم لذاته أحقر من نعل بالية لا قيمة لها، إلا أن يقيم به حقاً أو يدفع باطلاً.

---

١ - خ٧٤، ص١٠٢.

٢ - خ١٣١، ص١٨٩.

٣ - خ٣٣، ص٧٦.

ز – وأما التشبيه الثاني فهو قوله عليه السلام: [1]

(وا للهِ لو أُعطِيتُ الأقاليمَ السبعةَ بما تحت أفلاكِها، على أن أعصيَ ا للهَ في نملةٍ أسلبُها جُلْبَ شعيرةٍ ما فعلته، وإنَّ دنياكم عندي لأهونُ من ورقةٍ في فمِ جرادةٍ تقضَمُها، ما لعلي ولنعيمٍ يفنى ولذةٍ لا تبقى).

هذه الدنيا بأسرها بما تحمل من لذات ونعيم وسلطان وكرسي الحكم يعشقها البشر ويتهالكون عليها، وإذا بأمير المؤمنين عليه السلام يراها كما هي فيشبهها بورقة في فم جرادة تكسرها بل هي أهون عنده من ذلك. فأيٌّ تشبيهٍ كهذا وأيُّ زهدٍ يضاهي زهد عليٍّ الذي برهن عليه من خلال سيرته العملية.

ح – وأما التشبيه الثالث فهو تشبيه بشع من ناحية المُشَبَّه وهو الدنيا، وهو تشبيه رائع لذاته وحقيقة تصويره ووصوله لهدفه وهو بيان الزهد وإبعاد الناس وتحذيرهم من التهالك على الدنيا، فيقول عليه السلام: [2]

(وا للهِ لدنياكم هذه أهونُ في عيني من عِراقِ خنزيرٍ في يدِ مجذوم). وقد لاحظنا أن الإمام –وهو مع الصدق– يبدأ القول في هذه النصوص بالقسم فيعرِّضُ ا لله تعالى الذي يُجلُّهُ للقسم، وما هذا إلا بسبب غرابة الأمر على السامع وحرص الإمام على بيانه لمن يسمع أو يصله القول وتأكيده على ذلك. وإن النفس لتنقبض لمجرد سماع هذه الكلمات، فالعِراق قيل فيه أنه اللحم الذي لا عظم فيه أو هو عِرْقٌ داخل البطن بين السرة والأحشاء أو هو الكرش، فهو شيء وضيع فما بالك إذا كان من خنزير الذي هو نجس العين، بل ما أبشعه إذا كان في يد مجذوم الذي يبتعد الناس عنه وينفرون منه. لا شك أن هذا الأمر الذي يصوِّره الإمام هو في غاية المهانة بحيث تنفر النفس منه أشد النفرة، وهذا هو حال الدنيا عند عليٍّ الذي يراها كما هي فيتعامل معها بما تستحقه.

---

١ – خ٢٢٤، ص٣٤٧.

٢ – الحكمة رقم٢٣٦، ص٥١٠.

إذن نلاحظ في هذه النصوص ما قدمناه من أن الحكم في حد ذاته مهم ولكن من زاويته الإلهية التي هي الإمامة فلا يسع الإمام تركه أو التخلي عنه لأنه وظيفة إلهية لا بد من القيام بها ولأهميته الذاتية في إقامة الحق والعدل وتنفيذ أحكام الله تعالى بين عباده، ومن جهة ثانية رأينا زهد الإمام غاية الزهد في الحكم بل في الدنيا بأسرها وما فيها. وقد أثبت الإمام هذا عملياً وسيرته كلها تشهد بذلك وإنه من القلائل الذين لم تكذّب أفعالُهم أقوالَهم بل كان يفعل فوق ما يقول ويأمر. وقد عَرَفَ هذه السيرةَ وهذا الزهدَ عدوُّهُ ومحبُّه وشهد به من شهد، فهو بالمنزلة التي لا تحوم حولها شبهة.

# سياسة الإمام

مقدمة: وضع الناس عند تسلم الإمام للحكم

سمو الهدف

وضوح السياسة ونهج الحكم

التسامح مع المتخلفين والمعارضين

## مقدمة: وضع الناس عند تسلم الإمام للحكم

إننا نعرف أن الإمام عليه السلام عاصر الدعوة الإسلامية وشارك فيها المشاركة الفعالة، وقد آتاه الله تعالى سعة الأفق والعلم والشجاعة وسائر الكمالات التي امتاز واختص بها دون سائر الناس -باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فعايش تلك الأدوار ولاحظها ملاحظة دقيقة ووقف على التحول العجيب والسر الإلهي الخاص الذي تبدلت به حياة الناس من الجاهلية إلى نور الإسلام. وعاش بعد ذلك فترات طويلة كان يعلم فيها أنه صاحب الحق ومع ذلك كان يشهد مدى رجوع أمر الناس إلى ما كانت عليه الجاهلية من قبل. وذلك الرجوع كان لعدة عوامل من أهمها أن القائمين بالحكم لم يكونوا بالمستوى اللائق بإمامة الناس والإحاطة بالشؤون الشرعية والسياسية. وعلى مدى تلك الفترة الطويلة التي انتهت بمقتل عثمان سنة ٣٥هـ ابتعد الناس كثيراً عن الدين المقدس وتبدلت عقلياتهم وتغيرت نفسياتهم واضطربت أمورهم وكانوا ليسوا أولئك الذين نجح النبي معهم نجاحاً عظيماً في نقلهم إلى حياة جديدة كريمة وتحويلهم من الجاهلية المظلمة إلى نور الإسلام المشرق. وكان الإمام حين عاد إليه الحق أمام هذا الوضع المتردي الذي وصل إليه الناس بسبب الحاكمين وطول مدتهم. والتاريخ يحدث عن مدى الاضطراب الذي شمل الحاكمين والمحكومين، فكان الإمام أمام هذه المعاناة في سبيل إرجاع الناس إلى نهجهم الأول وأن يرتووا من معين الإسلام العذب على يديه. وهذا الوضع يحتاج إلى سياسة فائقة وظروف مساعدة ويحتاج إلى توفيق الله تعالى له. وأما الظروف بالذات فقد كانت ضد مسيرة الإمام، فقد مُنِيَ بأحداث كثيرة لم يتهيأ له فيها أن يطبق نهجه كما يريد واستعصى عليه الناس كثيراً نظراً لعدم عمق ارتباطهم بالأصول الإسلامية والتعاليم النبوية بسبب قصر المدة التي كانوا فيها مع الرسول وبسبب التربية التي عاشوها مع الحاكمين بعد رحيل النبي. فلم يتأتَّ للإمام أن ينجح تماماً في مشروعه الهادف إلى إعادة الناس إلى النهج الإلهي القويم. وهذه المقدمة تلقي الضوء على ما سنراه من سياسة الإمام التي كانت تتسم أحياناً بشدة في الحق لا يرضاها الناس، وتتسم أحياناً أخرى بالصفح والتسامح الكبير حينما يكون الحق متعلقاً بشخصه وهذا ما انتقده عليه بعضهم.

## سمو الهدف

قلنا أن هدف الإمام من الحكم هو إقامة أحكام الله تعالى كما أرادها الله تعالى أن تكون، مقتفياً في سبيل ذلك سيرة النبي (ص). وهذا الهدف شهدت به سيرة الإمام العملية وقد كان الإمام يصرح به كثيراً في خطاباته الأولى ويجعله محوراً لسياسته القادمة. ومن جملة النصوص في بيان هذا الهدف ما يلي:

أ - لما بويع بالمدينة قال (ع): [1]

(ذمتي بما أقولُ رهينة، وأنا به زعيم، إنَّ من صرَّحتْ له العِبَرُ عما بين يديه من المَثُلات حجزتْهُ التقوى عن تقحُّمِ الشبهات، ألا وإن بليَّتكم قد عادت كهيئتِها يومَ بَعَثَ الله نبيه (ص) والذي بعثه بالحقّ لتُبلْبَلُنَّ بلبلة، ولتُغربَلُنَّ غربلة، ولتُساطُنَّ سوطَ القدرِ حتى يعودَ أسفلُكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلَكم، وليسبِقَنَّ سابقون كانوا قصَّروا، وليُقصِّرَنَّ سبَّاقون كانوا سبقوا. والله ما كتمتُ وشمة، ولا كذبتُ كذبة، ولقد نُبِّئتُ بهذا المقام وهذا اليوم).

وهذا النص هو إعلان المباديء الأولية والأهداف التي يريدها الإمام بصفته الامتداد الطبيعي للقيام بأمر الدين بعد رحلة النبي إلى الرفيق الأعلى. وقد كان ينبغي أن يكون له هذا الحق قبل عشرات السنين فحينها ستكون المهمة أسهل. وأما الآن وقد أبعد عن الحكم لمدة تصل إلى ٢٥ سنة فإن الناس قد عادوا إلى جاهليتهم وإلى وضعهم عند بدء البعثة، فهو سيبدأ معهم كما بدأ الرسول مع الجاهلية الأولى. وإن كان أولئك كفاراً وهؤلاء مسلمون إلا أنهم يشتركون في قلة الإدراك وتردي الفكر، وإن التربية التي رباهم عليها الحاكمون طيلة هذه المدة قد أخذت منهم مأخذها. ثم أقسم الإمام ولم يستعمل لفظ الجلالة (والله) أو غيره من ألفاظ القسم بل أقسم بالذي بعث النبي بالحق لتمام مناسبة القسم مع الحديث عن البعثة، ورجوع الوضع كما كان قبل البعثة. ثم أخبرهم بأنهم يلبلبون أي يخلطون ويختبرون ويغربلون أي يفصلون لتمييز الخبيث من الطيب ويساطون كما

---

[1] - خ١٦، ص٥٧.

يساط القدر أو يحرك فيكون الأسفل أعلى والأعلى أسفل، فهي إذن فترة امتحان للإرادة وللإيمان. وقد يكون من قصَّر قبل هذا تتضح له أمور فيكون سابقاً، وقد يكون من سبق لا يصمد أمام هذه المحنة والعودة إلى الإسلام الصحيح، فيكون مقصِّراً بعد أن كان سابقاً. ثم يقسم الإمام با لله تعالى أنه على المباديء التي كان عليها من استخلفه للإمامة وهو النبي وأنه لم يكتم كلمة للحق و لم يكذب مطلقاً فهو صادق إذن في هذا الإعلام وأن الأمر كما قاله وأنه على تمام البينة من أمر ربه بل هو يعلم بهذا اليوم وهذا الموقف مع الناس قبل أن يكون.

ب - وقال عليه السلام في خطبة عنونت بأنها في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبلاغ الإمام عنه: [1]

(وا للهِ ما أسمعكم الرسولُ شيئاً إلا وها أنا ذا مُسمِعُكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس... ولقد نزلت بكم البليةُ جائلاً خطامُها رِخواً بِطانُها، فلا يغرنّكم ما أصبح فيه أهلُ الغُرور، فإنما هو ظلٌّ ممدود، إلى أجلٍ معدود). وهذا تصريح بأن الإمام على سيرة الرسول ويحمل نفس أهدافه، وأن هؤلاء يمكنهم أن يقبلوا من الإمام كما قبل أولئك من الرسول فإن لهم أسماعاً وعقولاً كما كان لأولئك، هذا وإن بعض من كان مع الإمام كانوا أيضاً مع الرسول فيمكنهم أن يقبلوا الحق كما قبلوه من قبل. ثم تحدث الإمام عن الفتنة التي حلت وأنها كالناقة التي يكون خطامها أي حبالها الذي تقاد به غير مشدود، ويكون البطان الذي يربط في بطنها مرتخ فراكبها إذن في خطر من السقوط، وذلك كناية عن خطر تلك الفتنة. ثم أشار الإمام إلى شيء في غاية الأهمية ونبه الناس له وهو أن البعض نالوا من الدنيا شيئاً كثيراً في الحكومات السابقة فكان بعضهم أميراً أو قائداً أو قاضٍ إلا أنهم في حكومة الإمام قد لا يكونون كذلك، كما أن فئة من الناس خاصة من قريش كانت تُعطَى الأموال وتُفضل على سائر الناس وأما في حكومة الإمام فسيكون هناك العدل والمساواة. فعلى أولئك الذين

---

١ - خ٨٩، ص١٢٢.

كانوا منعمين بغير حق أن لا يغتروا بذلك النعيم فإنما كان بغير حق وهو بعد هذا نعيم زائل.

## وضوح السياسة ونهج الحكم

فالإمام عليه السلام ليس كسائر السياسيين قديماً وحديثاً والذين يخدعون الناس بالعبارات البراقة والإغراءات والدعايات الزائفة فيكسبون بذلك أصوات الجماهير ويشترون بأموال الأمة ضمائر البعض، ثم بعد ذلك يخلفون وعودهم للناس فلا ينالون منهم شيئاً. وقد كان الإمام على تمام الوضوح في سياسته وفي بيان أهدافه ومنهجه في الحكم. ومن جملة النصوص في هذا المجال ما يلي:

أ - قوله عليه السلام لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان: [1]

(دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوهٌ وألوان، لا تقومُ له القلوب، ولا تثبُتُ عليه العقول، وإن الآفاقَ قد أغامت، والمحجةَ قد تنكرت، واعلموا أني إنْ أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم، ولم أُصغِ إلى قولِ القائل، وعتبِ العاتب، وإنْ تركتموني فأنا كأحدِكم، ولعَلّي أسمعُكم وأطوعُكم لمن ولّيتموه أمرَكم، وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم مني أميراً). وفي هذا النص عدة نقاط نعرض لها بإيجاز:

فقد سبق الحديث عن أن الإمامة منصب إلهي لا يمكن للإمام أن يستقيل منه، ولكن الإمام يقول هنا (دعوني) لعدة أسباب منها أن يبين للناس أن سياسته ليست كسياسة الحاكمين قبله وقد أوضح ذلك في هذا النص أيضاً، كما أنه أراد أن يقيم الحجة على الناس وأنه لم يفرض نفسه عليهم بالحيلة والقوة أو بغيرها، كما فعل من كان قبله حين وصلوا للحكم عبر المكر والعنف، فقد اختار الناس الإمام بمحض إرادتهم بل وبإلحاح شديد منهم، وسبب ثالث هو أن الإمام أراد أن

---

١ - خ٩٢، ص١٣٦.

يرشدهم إلى ثقل الحق عليهم بعد أن استمتعوا بالباطل سنيناً طويلة على حساب الأغلبية التي حرمت من كل متاع، كما أنه كانت هناك اعتبارات عند الحكام في تطبيق الأحكام والإمام ليس عنده تلك الاعتبارات والمجاملات بل سيطبق أحكام الله تعالى على الكل دون تفريق بين الناس في ذلك. فالتأريخ يذكر أن عمر كان يميز بين الناس في العطاء ويقسمهم أصنافاً، فيعطي عائشة -مثلاً- ١٢ ألفاً في الوقت الذي يحرم فيه أم سلمة من العطاء سنة كاملة، وكذلك عثمان الذي امتازت سياسته بكثير من هذا التمييز. ولا شك أن الذين كانوا يستمتعون بتلك السياسة على حساب الآخرين لن يرضوا بسياسة الإمام القادمة. هذا بالإضافة إلى إقامة الإمام للحدود دون تفريق وهذا ما لا تحتمله العقول أو ترضاه القلوب، وليس هذا لأنه أمر محيِّر أو يخالف الفطرة السليمة بل لأنهم تعودوا على غيره لمدة طويلة. وقد كانوا يعلمون من سيرة الإمام وهديه ومن حديث رسول الله فيه أنه على هذا النهج من العدل، وقد اعترف بذلك غيره فقد صرح عمر عند تعيينه للشورى أنه إن تولى الأمرَ عليٌّ حملهم على الجادة. إذن فقد كان الإمام على تمام الوضوح في إعلان سياسته وفي تجسيدها في الواقع العملي. وقد عبر الإمام عن حياة المسلمين بشكل عام بأنها كالآفاق الغائمة وأن طريقهم لم يعد واضحاً فقد تغيرت الأحكام والأفكار وأصبح الناس بعيدين عنها، وبيَّن لهم أنه إنْ أجابهم ركب بهم ما يعلم هو فإنه صاحب المقام العلمي الذي لا يجاريه فيه أحد وهو المسدد بعصمة الله تعالى فمن عساه يستشير وعمن يأخذ وقد استغنى عن الكل فهل يصغي إلى انتقادهم وعتبهم إذا عزل فلاناً من منصبه أو أقام الحكم على آخر وبدَّل وغير لتعود أحكام الله كما كانت؟ ثم يوضح الإمام موقفه من الحكام السابقين وأنه كان مسالماً "ما سلِمتْ أمورُ المسلمينْ"، بل كان وزيراً قريباً من الأحداث خوفاً على الإسلام من أن يقضي عليه أعداؤه في تلك الفترة الحرجة ولا سيما أن الحاكمين لم يكونوا بمستوى المسؤولية، والإمام يعلن أنه على استعداد أن يكون وزيراً كما كان إذا كان ذلك في صالح الإسلام.

ب - وقال عليه السلام: [1]

(لو قد استوت قدمايَ من هذه المداحضِ لغيّرتُ أشياء). وهـذه إشارة إلى جملة أشياء لم يغيرها الإمام فوراً وسنأتي عليها فيما بعد ومن جملتهـا -مثلاً- أنه أقرَّ بالفعل للقضاة أن يقضوا كما كانوا يقضون من قبـلٍ حتـى يـأتيهم الأمـر منـه بغير ذلك. فقد كان الإمام ينتظر أن تستقر الأمـور شيئاً مـا، وهـذا مـا عنـاه هنـا بقوله: لو قد استوت (أي ثبتت) قدماه مـن تلـك المداحـض (أي المزالـق) وذلـك كناية عن استقرار الأمور له.

## التسامح مع المتخلفين والمعارضين

فالتأريخ يذكر ذلك الإجماع الكبير والإلحاح الشديد مـن النـاس في بيعتهـم للإمام عليه السلام والذي يُعَدُّ حجة ظاهرة في قبال الطرق التي تمت بها بيعة غـيره، وإلا فالإمام لا يحتاج إلى إجماع الناس عليه، وإنْ صحَّ التعبير بالإجماع فهـو إجمـاع الله تعالى عليه وملائكته ونبيه والمؤمنين، وكفاه نص الله تعالى عليه بالإمامة وأمره نبيه بذلك. وقد صوَّر الإمامُ نفسُهُ هذه البيعة والصورة التي تمت بها في عدة نصـوص، فمنها قوله عليه السلام: [2]

(وبسطتم يدي فكففتُها، ومددتموها فقبضتُها، ثم تداككتُم عليَّ تداكَّ الإبلِ الهيمِ على حياضها يـوم وِردِهـا، حتـى انقطعـتِ النعلُ، وسـقط الـرداء، ووُطِيءَ الضعيفُ، وبلغ من سرورِ الناسِ ببيعتِهم إيايَ أن ابتهج بـه الصغير، وهَـدَجَ إليهـا الكبير، وتحاملَ نحوها العليل). وأما بعد البيعة فكان التسامح الكبير منه مـع الذيـن تخلفوا عن البيعة له أو ما يسميه أهل العصـر بالديمقراطيـة، في حـين نـرى الفـارق الكبير بينٍ هذا الموقف وموقف عمر وأبي بكر مع آل محمد ومع الزهـراء بـالذات ومع عليٍ نفسه والمؤمنين معه، حتى تأسف أبو بكر ولكن بعد حين على ما صنعه

---

١ - الحكمة رقم٢٧٢، ص٥٢٣.

٢ - خ٢٢٩، ص٣٥٠.

ببيت الزهراء وتمنى أنه لم يصنع ما صنع ولو اشتمل بيت الزهراء على حرب ضده. ولو صنع الإمام بالمعارضين ما كان يقدر عليه وأخذهم بالشدة لكانت له تمام الحجة والعذر لأنه الإمام المنصوص عليه وهم يعلمون بهذا النص من جهة، ومن جهة أخرى فقد بايعه المهاجرون والأنصار وسائر المسلمين. ومن جملة أحاديثه عن المتخلفين عنه:

أ – وقال عليه السلام "في الذين اعتزلوا القتال معه": [1]

(خذلوا الحقَّ و لم ينصروا الباطل). فهم لم ينصروا الباطل المتمثل في أعداء الإمام إلا أنهم أيضاً لم ينصروا الحق الذي كان مع الإمام وكان الإمام يدافع عنه، وعدم نصرتهم خذلان منهم للحق.

ب – "وقيل: إن الحارث بن حَوْط أتاه فقال: أتراني أظنُّ أصحابَ الجملِ كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السلام: (يا حارثُ إنك نظرتَ تحتك و لم تنظرْ فوقك، فحِرْتَ! إنك لم تعرفِ الحق فتعرفَ من أتاه، و لم تعرفِ الباطلَ، فتعرفَ من أتاه)"[2]. فقد ظن هذا الرجل أن المقياس الصحيح هو أن يرى الأشخاص ثم يحكم بأن الذي هم عليه هو الحق، بينما المقياس الصحيح كما وضحه الإمام هو أن يعرف الحق تماماً ثم يقيِّم الناس على أساسه، فإنما يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال.

"فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبدالله بن عمر، فقال عليه السلام: (إن سعيداً وعبدَالله بنَ عمر، لم ينصرا الحقَّ، و لم يخذلا الباطل)" فقد كان عليهما أن ينصرا الحق المتمثل فيه ومعه، وأن يخذلا الباطل بمعارضتهم وإطفائهم للحروب التي شنها أصحاب الجمل وأصحاب صفين. وعبدالله بن عمر هذا أبى بيعة الإمام فطلب منه الإمام أن يأتي بكفيل له لعله ليضمن أنه لا يقوم ضد الإمام فقال إنه لا يجد كفيلاً فكفله الإمام نفسه وأخبره بأنه سيء الخلق صغيراً وكبيراً،

---

١ – الحكمة رقم١٨، ص٤٧١.

٢ – الحكمة رقم٢٦٢، ص٥٢١.

والمقصود ليس حدة المزاج بل الحمق وضعف الإدراك. وقد صدَّقَ الواقعُ قولَ الإمام فيه، فإن عبدا لله بن عمر هذا الذي رفض بيعة الإمام آلت به الأمور أن يأتي للحجاج وما أدراك ما الحجاج! ليبايع عن طريقه عبدالملك بن مروان، فلما استعلمه الحجاج عن سبب ذلك الإلحاح في ذلك الوقت قال له ابن عمر: لأني رويت عن رسول ا لله أنه قال: لا يَحِلُّ لامرءٍ يؤمن با للهِ واليوم الآخر أن يبيت وليس في عنقه بيعة، فاستهزأ به الحجاج كثيراً وقال له إن يدي لمشغولة بالطعام عنك، هذه رجلي فامسح عليها.[1]

ومن جملة المعارضين أيضاً سعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير ومع ذلك فإن الإمام تعامل معهم بالصفح والتسامح الكبير.

---

١ - يراجع لذلك ( الغدير ) ٤٣/١٠ إلخ.

# نماذج من سياسة الإمام

أولاً: البيعةُ والمباديءُ الأولية

ثانياً: العدلُ وموقفُ الناس

ثالثاً: أوضاعُ الناسِ وتربيتُهمُ السابقة

رابعاً: معاملةُ الإمامِ للولاة

خامساً: الحقُّ ثَقلَ عليهمْ

سادساً: الغدْرُ والتقوى

# مدخل

درسنا هذا حول حلقة أخرى من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وسياسته في الحكم وهو يشمل الحياة السياسية والاجتماعية ويأخذ جهة تأريخية نظراً لاتصال هذه الأمور بموضوعنا هذا. وسوف نستعرض ست نقاط نحاول أن لا نطيل حديثنا حولها بل نستقيها من كلام الإمام وسيرته العملية التي حفظ لنا نهج البلاغة جزءً مهماً منها. وسنلاحظ في جميع هذه النقاط نمطاً خاصاً كان يحياه الإمام سواءً من جهة فكرية أو من جهة عملية وتربوية.

## أولاً: البيعة والمبادئ الأولية

لقد ركز الإمام عليه السلام على أمر البيعة وأكّدَ عليها، كما ركّزَ كثيراً على إعلان مبادئه الأولية للناس بعد البيعة مباشرة. وقد أشرنا إلى هذه النقطة في الدرس السابق ونتمم هنا استعراضها.

فمن جملة النصوص حولها قوله عليه السلام: [1]

(لم تكن بيعتُكم إيّايَ فلتةً، وليس أمري وأمرُكم واحداً. إني أريدُكم للهِ وأنتم تريدونني لأنفسِكم) فهو إذن يركّزُ على أمر البيعة ويحمل ذلك تعريضاً بل تصريحاً ونقداً للطريقة التي تمت بها بيعة الحكام قبله وأبي بكر بشكل خاص، وأن أساس الحكم السابق كان خطأً وإن جميع ما ترتب عليه أخطاءُ أخرى على نسقه. وكلمة (فلتة) معهودة وهي التي عبر بها عمر عن بيعة أبي بكر فقال: "كانت بيعة أبي بكر فلتةً وقى الله المسلمين شرَّها، فمن عاد لمثلِها فاقتلوه" وفي بعض النصوص "فلتةً كفلتاتِ الجاهلية" [2] فالإمام إذن يشير بكل ثقة إلى حقه في الحكم فقد نص الله تعالى عليه وبلّغَ ذلك رسولُه صلى الله عليه وآله أولاً، ثم بايعه الناس وبإلحاح

---

١ – خ١٣٦، ص١٩٤.

٢ – تلخيص الشافي ٢/١٠٤، عن عدة مصادر.

شديد، فهو أولى الناس بالناس ولن تكون بيعته فلتةً أولاً أو آخراً. ثم يقيِّم الإمامُ الوضعَ وموقفه كحاكم وموقفهم كرعية فيبيِّن الفرق الكبير فهو يريدهم لله تعالى وهي كلمة جامعة مانعة تعني أنه يريد من الرعية ما يريده الله تعالى منهم سواءً فيما يتعلق بالقانون الاقتصادي أو أمور الحرب والسلم أو الجهة الفقهية أو بجميع شؤون الدين والدنيا، أما هم فلهم أهواؤهم وتربيتهم التي عاشوا عليها وعصبيتهم وقبليتهم، وهذا فرق جوهري للغاية فإنه شتان بين أن يكون الهدف هو الله تعالى وبين أن يكون الهدف هو الأهواء والأنفس أو الدنيا.

ثم عقَّبَ الإمام بما يفصِّل ويشرح الأمر فقال:

(أيها الناسُ أعينوني على أنفسِكم، وأيْمُ اللهِ لأُنصِفَنَّ المظلومَ من ظالِمِهِ، ولأقودَنَّ الظالِمَ بخِزامتِهِ حتى أُورِدَهُ منهلَ الحقِّ وإنْ كان كارهاً). وهذا بعض ما عنيناه من إعلان المباديء الأولية بعد البيعة.

## ثانياً: العدل وموقف الناس

فقد كان الإمام حريصاً وملتزماً بأن لا يصلح أمر الحكم واستقرار الأمور له بما يهوى الناس إذا استلزم ذلك فساداً كتفضيل فئة على أخرى وشراء الضمائر أو مخالفة أوامر الله تعالى وأحكامه. فمن جملة هذه الأمور ما يلي:

أ – قوله عليه السلام: [1]

(وإني لعالِمٌ بما يصلِحُكم ويقيمُ أَوَدَكم، ولكني لا أرى إصلاحَكم بإفسادِ نفسي). فالإمام مطلع وعالم بأمر المجتمع وهو خبير بأمر الدين، فإما أن يستجيب للناس فيما يعلم أنه يضمن استقرارهم ورضاهم بحكمه وإن استلزم ذلك مخالفات للشرع، وإما أن يلتزم بأحكام الله تعالى وإن أباها الناس بسبب تربيتهم وأهوائهم فلم يخضعوا لها واضطربوا عليه.

---

١ – خ٦٩، ص٩٩.

ب – ونموذج آخر يلقي الضوء على ذلك الوضع هو قوله عليه السلام: "لما عُوتِبَ على التسويةِ في العطاء":

(أتأمروني أن أطلبَ النصرَ بالجورِ فيمن وُلِّيتُ عليه ! والله لا أطورُ به ما سَمَرَ سميرٌ، وما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً). فقد تربى الناس على التفريق بينهم في العطاء وتفضيل فئة على أخرى فكانت هناك اعتبارات للمهاجرين والأنصار ولمن حظُوا بمودة الحاكمين فأغدقوا عليهم العطاء وفاضلوا بين الناس بغير وجه حق ولا سيما حين انتهى الحكم إلى عثمان فإنه أعطى الدنيا التي ملكها لبني أمية حتى وصل الأمر إلى أن يعطي خُمُسَ بلادٍ افتتحت لشخص واحد[1]. فلما جاء الإمام سوَّى بين الناس في العطاء ملتزماً بذلك أمر الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في العطاء فعُوتِبَ على هذه التسوية فإن الأغنياء لا يروق لهم ذلك ومن يرون لأنفسهم أفضلية لا يقبلون بذلك، ومن هذه الأمثلة أنْ أتت سيدة قرشية من الحجاز وجاءت بعجوز فارسية تقيم في الكوفة فخاطبت أمير المؤمنين قائلةً: هل من العدل أن تسوِّي بيني وبين هذه الأمَةِ الفارسية؟[2] وقد أبى الإمام أن يسعى للنصر واستقرار الحكم بأن يظلم من كان حاكماً عليهم وأقسم أن لا يصنع ذلك (ما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً) أي للأبد وما بقي الزمان لا يصنع ذلك، فهي إذن مسؤولية إلهية وولاية وأمانة تجاه من وُلِّيَ عليهم والله مسائلُهُ عن ذلك.

ثم أشار الإمام إلى جهة مهمة ليتعظ الناس فقال:

(لو كانَ المالُ لي لسوَّيتُ بينهم، فكيف وإنما المالُ مالُ الله). وتلك هي ذات عليٍّ التي تنطوي على قانون العدل وتحبه لذاته فضلاً عن أمر الله تعالى به ونهيه عن الظلم، فلو كان المال له لجعل الناس سواسية فيه وأقام العدل فكيف وهو مالُ الله تعالى الذي استأمنه عليه وولاّه على الناس ليقيم العدل بينهم.

---

١ – يمكنك مراجعة شرح ابن أبي الحديد عند شرحه للخطبة الشقشقية وقد ذكرنا بعض ذلك في درس (علي والحاكمون).

٢ – حياة الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي ١/٤٠٧.

## ثالثاً: أوضاع الناس وتربيتهم السابقة

وقد أشرنا إلى أن الناس اعتادوا على تربية سابقة مع الحاكمين قبل الإمام ولم تكن تلك التربية هي التي يرضاها الله تعالى فيقبلها الإمام، كما أن الناس لا ترضى باستقامة الإمام وما يريده لهم من تربية إلهية. ونأخذ لذلك نماذج:

أ – وفي كلام "كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما" فمما قاله عليه السلام: [1]

(وأما ما ذكرتما من أمرِ الأسوة، فإن ذلك أمرٌ لم أحكمْ أنا فيه برأيي، ولا وَلِيتُهُ هوىً مني، بل وجدتُ أنا وأنتما ما جاء به رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله قد فُرِغَ منه، فلم أحتجْ لكما فيما فَرَغَ اللهُ من قَسْمِهِ، وأمضى فيه حكمَه، فليس لكما، واللهِ، عندي ولا لغيرِكما في هذا عُتبَى. أخذَ اللهُ بقلوبِنا وقلوبِكم إلى الحقِّ، وألهمَنا وإياكم الصبر). وقد كان الزبير ممن يظهر مودة الإمام ويدعو له وكان معه في بيته يوم امتنعوا عن بيعة أبي بكر فهجم عليهم القوم، ثم لما آلت الأمور إلى الإمام تبدل سلوكه وبرغم ذلك فقد بايع هو وطلحة الإمامَ طائعَين لا مُكرَهَين فإذا بهما يظهران ما أخفياه من طلبهما للدنيا التي ابتعد عنها الإمام وطلّقها ثلاثاً. وكانا يريان لأنفسهما شرفاً كبيراً خاصة وأنهما من المرشحين للخلافة في شورى عمر، فكيف بعد كل هذا يأتي عليٌّ ليسوي بينهم وبين سائر الناس في العطاء؟ لذلك عاتباه في أمر الأسوة (أي التسوية في العطاء) واحتجّا عليه بفعل عمر في تفضيله أناساً على آخرين في العطاء، فأجابهم الإمام بما بانت منه نفسيته وأن منهجه معلوم وهو دين الله تعالى فلا يحتاج إلى إجالة الفكر واستشارتهما في الحكم بين الرعية وتدبير أمورهم. ورداً على احتجاجهم عليه بفعل عمر احتج عليهم هو أيضاً ولكن بفعل رسول الله وسيرته في العطاء وقد كانا يعلمان ذلك فاحتج الإمام عليهم به. وقوله (ولا لغيركما) إشارة إلى أنه إذا كان هذا تعامل الإمام مع من يرون أنفسهم أو يراهم الناس أن لهم مقاماً وأفضلية- فإن غيرهم إذن لن

---

١ – خ٢٠٥، ص٣٢٢.

ب – ونموذج آخر يلقي الضوء على ذلك الوضع هو قوله عليه السلام: "لما عُوتِبَ على التسويةِ في العطاء":

(أتأمروني أن أطلبَ النصرَ بالجورِ فيمن وُلِّيتُ عليه ! والله لا أطورُ به ما سَمَرَ سميرٌ، وما أمَّ نجمٌ في السماءِ نجماً). فقد تربى الناس على التفريق بينهم في العطاء وتفضيل فئة على أخرى فكانت هناك اعتبارات للمهاجرين والأنصار ولمن حظُوا بمودة الحاكمين فأغدقوا عليهم العطاء وفاضلوا بين الناس بغير وجه حق ولا سيما حين انتهى الحكم إلى عثمان فإنه أعطى الدنيا التي ملكها لبني أمية حتى وصل الأمر إلى أن يعطي خُمْسَ بلادٍ افتتحت لشخص واحد[1]. فلما جاء الإمام سوّى بين الناس في العطاء ملتزماً بذلك أمر الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في العطاء فعُوتِبَ على هذه التسوية فإن الأغنياء لا يروق لهم ذلك ومن يرون لأنفسهم أفضلية لا يقبلون بذلك، ومن هذه الأمثلة أنْ أتت سيدة قرشية من الحجاز وجاءت بعجوز فارسية تقيم في الكوفة فخاطبت أمير المؤمنين قائلةً: هل من العدل أن تسوّي بيني وبين هذه الأمَةِ الفارسية؟[2] وقد أبى الإمام أن يسعى للنصر واستقرار الحكم بأن يظلم من كان حاكماً عليهم وأقسم أن لا يصنع ذلك (ما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً) أي للأبد وما بقي الزمان لا يصنع ذلك، فهي إذن مسؤولية إلهية وولاية وأمانة تجاه من وُلِّيَ عليهم والله مسائلُهُ عن ذلك.

ثم أشار الإمام إلى جهة مهمة ليتعظ الناس فقال:

(لو كانَ المالُ لي لسوَّيتُ بينهم، فكيف وإنما المالُ مالُ الله). وتلك هي ذات علي التي تنطوي على قانون العدل وتحبه لذاته فضلاً عن أمر الله تعالى به ونهيه عن الظلم، فلو كان المال له لجعل الناس سواسية فيه وأقام العدل فكيف وهو مالُ الله تعالى الذي استأمنه عليه وولاّه على الناس ليقيم العدل بينهم.

---

١ – يمكنك مراجعة شرح ابن أبي الحديد عند شرحه للخطبة الشقشقية وقد ذكرنا بعض ذلك في درس (علي والحاكمون).

٢ – حياة الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي ١/٤٠٧.

## ثالثاً: أوضاع الناس وتربيتهم السابقة

وقد أشرنا إلى أن الناس اعتادوا على تربية سابقة مع الحاكمين قبل الإمام ولم تكن تلك التربية هي التي يرضاها الله تعالى فيقبلها الإمام، كما أن الناس لا ترضى باستقامة الإمام وما يريده لهم من تربية إلهية. ونأخذ لذلك نماذج:

أ – وفي كلام "كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما" فمما قاله عليه السلام: [1]

(وأما ما ذكرتما من أمرِ الأسوة، فإن ذلك أمرٌ لم أحكمْ أنا فيه برأيي، ولا وَلِيتُهُ هوىً مني، بل وجدتُ أنا وأنتما ما جاء به رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله قد فُرِغَ منه، فلم أحتجْ لكما فيما فَرَغَ اللهُ من قَسْمِهِ، وأمضى فيه حكمَه، فليس لكما، واللهِ، عندي ولا لغيرِكما في هذا عُتبَى. أخَذَ اللهُ بقلوبِنا وقلوبِكم إلى الحقِّ، وألهمَنا وإياكم الصبر). وقد كان الزبير ممن يظهر مودة الإمام ويدعو له وكان معه في بيته يوم امتنعوا عن بيعة أبي بكر فهجم عليهم القوم، ثم لما آلت الأمور إلى الإمام تبدل سلوكه وبرغم ذلك فقد بايع هو وطلحة الإمامَ طائعَين لا مُكرَهَين فإذا بهما يظهران ما أخفياه من طلبهما للدنيا التي ابتعد عنها الإمام وطلّقها ثلاثاً. وكانا يريان لأنفسهما شرفاً كبيراً خاصة وأنهما من المرشحين للخلافة في شورى عمر، فكيف بعد كل هذا يأتي عليٌّ ليسوي بينهم وبين سائر الناس في العطاء؟ لذلك عاتباه في أمر الأسوة (أي التسوية في العطاء) واحتَجّا عليه بفعل عمر في تفضيله أناساً على آخرين في العطاء، فأجابهم الإمام بما بانت منه نفسيته وأن منهجه معلوم وهو دين الله تعالى فلا يحتاج إلى إجالة الفكر واستشارتهما في الحكم بين الرعية وتدبير أمورهم. وردّاً على احتجاجهم عليه بفعل عمر احتج عليهم هو أيضاً ولكن بفعل رسول الله وسيرته في العطاء وقد كانا يعلمان ذلك فاحتج الإمام عليهم به. وقوله (ولا لغيركما) إشارة إلى أنه إذا كان هذا تعامل الإمام مع من يرون أنفسهم أو يراهم الناس أن لهم مقاماً وأفضلية– فإن غيرهم إذن لن

---

١ – خ٢٠٥، ص٣٢٢.

يطمع أو يتصور أن الإمام سيفضله في العطاء أو في غير ذلك.

ب – وأما النموذج الثاني فهو موقف الإمام من قطائع عثمان وهذا بعض ما عنيناه بالوجهة التأريخية في الموضوع، فقد أبى الإمام أن يُقِرَّ الناس على ما كانوا عليه وكان صارماً في إرجاع ما أعطاه عثمان لمن أراد من قومه سواء كان أموالاً أو أراضٍ أو غيرها، قال عليه السلام:[1]

(والله لو وجدتُهُ قد تُزُوِّجَ بِهِ النساء، ومُلِكَ به الإماءُ، لرَدَدْتُه، فإن في العدلِ سَعَةً، ومن ضاقَ عليهِ العدلُ، فالجورُ عليه أضيق). وكل ذلك إصرار من الإمامَ على إقامة العدل بين الناس وإرجاعهم إلى التربية التي رباهم عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

## رابعاً: معاملة الإمام للولاة

يحدث التأريخ عن تعامل الحكام مع عمالهم والولاة على البلاد. فأما عمر فقد وصفه التأريخ بالشدة في تعامله مع عماله، إلا أن ذلك لم يكن وصفاً دقيقاً وتاماً حيث أن شدته ظهرت على أشخاص كأبي هريرة الذي كان عامله على البحرين فجاءته أخبار سرقته من أموال المسلمين فاتهمه وكذّبه وأوجع ظهره بالضرب[2]، أما هذه الشدة فلم تظهر من عمر مع معاوية أبداً، فإن معاوية الذي كان والياً على الشام كان قبل ذلك لا يملك شيئاً لكنه أخذ ينهب ويستأثر بأموال المسلمين فلم يصنع معه عمر شيئاً إلا أنه لقّبه بكسرى العرب وأعظم به من لقب يرتاح له معاوية[3]. وأما عثمان فحدث عنه وعن عماله وما صنعوه بأموال

---

١ – خ١٥، ص٥٧.

٢ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٢/١٢، والنص والاجتهاد للسيد عبدالحسين شرف الدين/٢٨٦.

٣ – النص والاجتهاد/٢٩٣.

المسلمين ولا حرج[1]. وأما في حكم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فإن التأريخ يحدث عن مدى ملاحظته لعماله والولاة على البلاد الإسلامية، وحرصه على إقامتهم العدل في كل صغيرة وكبيرة. ويلاحظ تفاوت مستويات الولاة في عقلياتهم ونفسياتهم بطبيعة الحال.

ونأخذ هنا نماذج من تعامل الإمام وبعض قضاياه مع عماله، فمن ذلك ما يلي:

أ - كتابه عليه السلام إلى أحد عماله وقد جاء فيه: [2]

(أما بعد، فقد بلغني عنك أمرٌ، إنْ كنتَ فعلتَهُ فقد أسخطْتَ ربَّك، وعصيتَ إمامَك، وأخزيتَ أمانتَك. بلغني أنك جرَّدْتَ الأرضَ فأخذتَ ما تحتَ قدميك، وأكلتَ ما تحت يديك، فارفعْ إليَّ حسابَك، واعلمْ أن حسابَ اللهِ أعظمُ من حسابِ الناسِ، والسلام). لقد أمره الإمام أن يرسل إليه فيخبره بالوارد والصادر وما أخذه وما بذله ليحاسبه، ولكن الإمام لم يكتفِ بذلك بل نبَّهَهُ إلى أنَّ الحساب الحقيقي هو حساب الله تعالى له، فالإمام إنما يحاسبه بالظاهر وإن كان بإمكانه أن يحاسبه بما هو في الواقع بما يعلمه من الله تعالى، ولكن الله الخبير بالأمور يحاسب بما هو في الواقع فيكون حسابه شديداً. ولهذا ومن النماذج الأخرى ما روته امرأةٌ لمعاوية، وقد كانت تتحدث عن عدل الإمام وسيرته فقالت: "واللهِ لقد جئتُهُ في رجلٍ كان قد ولاَّهُ صدقاتِنا فجارَ علينا، فصادفتُهُ قائماً يصلي فلما رآني انفتلَ من صلاتِهِ ثم أقبلَ عليَّ برحمةٍ ورفقٍ ورأفةٍ وتَعَطُّفٍ وقال: ألكِ حاجة؟ قلتُ: نعم، فأخبرتُهُ الخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنتَ الشاهدُ عليَّ وعليهم وأني لم آمرْهم بظلمِ خلقِك، ثم أخرجَ قطعةَ جلد فكتب فيها..." وعزل الإمامُ ذلك الرجل مباشرة[3]. ولْيُلاحَظ هذا الموقف قبال موقف سليمان بن

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في شرح الخطبة الشقشقية، والغدير ٢٨٦/٨.

٢ - الكتاب رقم٤٠، ص٤١٢.

٣ - الإمام علي من المهد إلى اللحد، لمحمد كاظم القزويني، ص٢٦٩-٢٧٠، وحياة الإمام الحسين

عبدالملك الحاكم الأموي حينما بعث أحد رجاله إلى مصر فقال له: "احلبْ حتى ينفيك الدم فإذا أنفاك فاحلبْ حتى ينفيك القيح، لا تبقيها لأحدٍ بعدي"[1] فهو وحكام بني أمية كانوا يأمرون رجالهم أن يسلبوا كل شيء من أموال الناس.

ب - ولنأخذ نموذجاً آخر من النهج كتاباً "إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد خان في بعض ما ولاّه من أعماله" فقد جاء فيه: [2]

(أما بعد فإنَّ صلاحَ أبيك غرَّني منك، وظننتُ أنك تتبعُ هَدْيَه، وتسلُكُ سبيلَه، فإذا أنتَ فيما رُقِّيَ إليَّ عنكَ لا تدَعُ لهواكَ انقياداً ولا تُبقي لآخرتِكَ عتاداً. تعمُرُ دنياكَ بخرابِ آخرتِك، وتصِلُ عشيرتَكَ بقطيعةِ دينِك. ولئنْ كان ما بلغني عنكَ حقاً، لجملُ أهلِكَ وشِسْعُ نعلِكَ خيرٌ منك، ومن كان بصفتِكَ فليس بأهلٍ أن يُسَدَّ بهِ ثغر، أو يُنفَذَ به أمر، أو يُعلَى لهُ قدْر، أو يُشرَكَ في أمانة، أو يُؤمنَ على جباية، فاقبلْ إليَّ حينَ يصلُ إليكَ كتابي هذا إن شاء الله). وقد قلنا إن الإمام يعامل الناس بالظاهر من أمورهم لا بما يمكنه أن يعلمه من علم الله تعالى. وإن هذه الشدة في تعامله مع أحد عماله هنا وهذه الدقة لا تصدر من غير أمير المؤمنين، كما أنه لا غرابة في صدورها منه فإن الذي يرى الدنيا بكل نعيمها أهون من ورقة في فم جرادة وأحقر من نعل بالية- لا شك أنه يستحقر متاعاً يأخذه أحد عماله بالخيانة ويبيع دينه من أجله، لذلك فالإمام يستعظم منه ماصنع ولا يرضاه ويحاسبه أشد المحاسبة، ويصفه بذلك الوصف.

## خامساً: الحق ثقل عليهم

قال عليه السلام: [3]

---

عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي ٤١٥/١.

١ - تأريخ ابن عساكر ٤٠٢/٢-٤٠٣.

٢ - الكتاب رقم٧١، ص٤٦١.

٣ - غريب كلامه رقم٢٦١، ص٥٢٠.

(إن كانتِ الرعايا قبلي لتشكو حيفَ رُعَاتِها، وإنني اليومَ لأشكو حيفَ رعيتي، كأنني المَقُودُ وهمُ القادة). فقد كان معهوداً قديماً كما أنه كذلك حديثاً أن الحاكم لكي تستقر له أمور الحكم ويهابه رعيته ويخضعون له يأخذهم بالشدة في غير موضعها وبالظلم والاستبداد والعنف فكانت الرعايا تشكو لذلك ظلم الحكام. أما الإمام عليه السلام فلم يكن يعمل بتلك الطرق التي لا يرضاها الله تعالى، ولذلك قد يطغى عليه ضعاف النفوس وأهل الدنيا الذين يجدون الحق ثقيلاً لتعارضه مع مصالحهم وأهوائهم، فكان الإمام مع معاناته ذلك لا يلجأ لتلك الطرق أبداً بل يلتزم بأحكام الشريعة.

## سادساً: الغدر والتقوى

لقد كانت الأمور والظروف مضطربة على الإمام عليه السلام ومن هنا حاول البعض قديماً وحديثاً أن يبيِّن أن سبب ذلك هو عدم معرفة الإمام بأمور السياسة والإدارة. إلا أن الواقع أن الإمام كان ملتزماً بأحكام الله تعالى فلم يكن يلجأ إلى الأساليب التي نجح بها الآخرون في سياستهم لأن تلك الأساليب تخالف الشرع. لذلك قال ابن أبي الحديد: "وأمير المؤمنين كان مقيداً بقيود الشريعة... فلم تكن قاعدتُهُ في خلافتِهِ قاعدةَ غيرِهِ ممن لم يلتزمْ بذلك"[1]. ومعلوم أن الإسلام لا يريد أن يستقر حكمه بطرق الظلم والفساد والكذب والمراوغة والرشوة والغدر وهذا ما لجأ إليه غير الإمام في سياستهم وتربى عليه الناس حتى لم يعد يصلحهم إلا ذلك. فالإمام إذن رفض تلك الطرق لأن فيها مخالفة لأحكام الله تعالى كما أنها تمتع فئة من الناس على حساب الآخرين الذي يُحرمون من كل نعيم.

ومن جملة النصوص حول هذه النقطة ما يلي:

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٢/١٠.

أ – قال عليه السلام: [1]

(ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتخذَ أكثرُ أهلِهِ الغدرَ كَيْساً ونسبَهُم أهلُ الجهلِ إلى حسنِ الحيلة. ما لهم ! قاتلَهُمُ اللهُ ! قد يرى الحُوَّلُ القُلَّبُ وجهَ الحيلةِ ودونها مانعٌ من أمرِ اللهِ ونهيِهِ، فيدَعُها رأيَ عينٍ بعد القدرةِ عليها، وينتهزُ فرصتَها من لا حريجةَ لهُ في الدين). وهذا أيضاً بعضُ ماقدمناه من اتصال الحديث بجهاتٍ اجتماعية، فالإمام يعرض مشكلة ونظرة اجتماعية خاطئة ترى أن الغادر هو الكَيِّسُ العاقل الذي يعرف كيف يدير الأمور، وهذه النظرة قائمة قديماً وحديثاً. والإمام هنا يصرح بأن من يقلب الأمور أو يكون عارفاً بتقليبها وتحويلها لعقليته وإدراكه يجد الحيلة ويعرف كيف يستخدمها، فإذا كان ذلك الشخص من المتقين فإنه يدع تلك الحيلة لاشتمالها على معصيةٍ لله تعالى مع قدرته عليها وهذا غاية الرفعة، أما إذا كان الشخص لا يعبأ بالدين فإنه ينتهز تلك الفرصة ويعصي الله تعالى.

ب – وتحدث عن لعبة السياسة حينها فقال عليه السلام: [2]

(واللهِ ما معاويةُ بأدهى مني، ولكنه يغدِرُ ويَفْجُر، ولولا كراهيةُ الغدرِ لكنتُ من أدهى الناس، ولكنْ كلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَة، وكلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَة، ولكلِّ غادرٍ لواءٌ يُعرَفُ به يومَ القيامة. واللهِ ما أُستغْفَلُ بالمكيدة ولا أُستغْمَزُ بالشديدة). ولعل باعث المقارنة وهذا التصريح هو تلك الظروف الحرجة التي كان فيها معاوية يغزو اليمن والمدينة وأطراف العراق فيقتل الرجال ويسلب الأموال ويحقق نجاحاً في سياسته بالطرق المعروفة عنه فأراد الإمام أن يوضح للناس أن ذلك النجاح ليس لأن معاوية أعرف بأمور السياسة من الإمام أو لقدرته على الحيلة والمكر أكثر من قدرة الإمام، بل لأن الإمام يتقي الله تعالى ومعاوية لا يهتم بذلك. فقد كان معاوية يغدر ويشتري الضمائر بأموال المسلمين حتى أن قائد جيش الإمام الحسن

---

١ – خ٤١، ص٨٣.

٢ – خ٢٠٠، ص٣١٨.

(عليه السلام) وهو ابن عمه عبيدا لله بن العباس أغراه معاوية بالمال، فقد ذكر أنه عرض عليه ألف ألف درهم وقيل غير ذلك، وكان جيش الإمام معسكراً استعداداً للحرب مع معاوية، فما كان من عبيدا لله هذا إلا أن ضعف أمام المال وتوجه إلى معسكر معاوية[1]. أما أمير المؤمنين فلم يكن ليشتري ضمائر الناس ويمارس الرشوة ويضيع أموال المسلمين التي هي أمانة لديه. وكان يسمع ويعلم بذهاب الناس عنه إلى معاوية، فيحدثه مالك الأشتر حول اختلاف الناس فيقول (عليه السلام): "وأما ما ذكرتَ من أنَّ الحقَّ ثَقُلَ عليهم ففارقونا لذلك فقد علمَ ا للهُ أنهم لم يفارقونا من جورٍ ولا لجأوا إذْ فارقونا إلى عدلٍ و لم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كأنْ قد فارقوها، وليُسألُنَّ يوم القيامةِ أللدنيا أرادوا أم للهِ عمِلوا"[2]. وكان بعض أصحابه يشير عليه باتباع تلك الطرق لاستقرار الحكم فقد "مشى إليه طائفةٌ من أصحابه وسألوه تفضيلَ أولي السابقاتِ والشرفِ في العطاء" "فقالوا يا أمير المؤمنين أعطِ هذه الأموالَ وفضِّلْ هؤلاءِ الأشرافَ من العربِ وقريشٍ على الموالي والعجمِ، ومن تخافُ خلافَهُ من الناسِ وفرارَه"[3] فكان الإمام في تلك الظروف ثابتاً لا يعمل إلا بحكم ا لله تعالى مهما كلّفَ الأمر فلا يطلب النصر بالجور.

وللتأريخ نذكر أن أول من استخدم المال واشترى الضمائر للهيمنة على الأوضاع هما أبو بكر وعمر لتثبيت حكم أبي بكر في تلك الفترة، فقد كان أبو سفيان يستهين كثيراً بأبي بكر ويرى أنه من أحقر الناس. وقد كان أبو سفيان في مكة يجمع الصدقات فلما رجع إلى المدينة بعد وفاة رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) سأل من تولى الأمر؟ فقيل له: أبو بكر، فقال: أبو فصيل؟ مستهيناً به، فأراد أبو سفيان أن

---

١ - صلح الحسن (عليه السلام) للشيخ راضي آل ياسين/١٣١، وحياة الإمام الحسن (عليه السلام) للقرشي ١٢٦/٢.

٢ - وليراجع أيضاً كتابه "إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية" وهو الكتاب رقم ٧٠، ص٤٦١ من نهج البلاغة.

٣ - منهاج البراعة للميرزا حبيب ا لله الخوئي ١٨٤/٨ وَ ص١٩٢، وكذلك (الإمام علي من المهد إلى اللحد) ص٤٢٣.

يشعل الفتنة فأتى إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخبره بأنه يريد أن ينصره فطرده الإمام، فلما علم عمر بما يحاول فيه أبو سفيان أشار على أبي بكر بأن يعطي أبا سفيان ما في يديه من الصدقات لإسكاته ففعل ذلك.[1]

وإننا نجد في تاريخنا المعاصر أن وضع الحكام على هذه الشاكلة فهم يعدون الناس ويغرونهم ويشترون الضمائر والأصوات في الانتخابات ليتولوا الحكم.

وقد رفض أمير المؤمنين كل تلك الوسائل وأبى إلا أن يقيم العدل وأراد من الناس أن يقبلوا الحكم بالحق وليس بمعصية الله تعالى وظلم الناس ولو كانت سيرته خلاف ذلك لما صحَّ فيه:

**(عليٌّ مع القرآنِ والقرآنُ مع عليٍّ) و (عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ)**

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد٢/٤٤.

# عهد الإمام إلى مالك الأشتر

مقدمات:

أ – شخصية مالك

ب – العهد الشريف

ج – العناية بهذا العهد

د – سند العهد

هـ – لماذا التخصيص بمصر؟

مضامين العهد الشريف:

أ– أهداف العهد

ب– بعض المضامين التي ركز الإمام عليها

ج– النواحي الإنسانية

## مدخل

قال عليه السلام:

**"رَحِمَ اللهُ مالكاً، لقد كانَ لي كما كنتُ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله"** [1]

الحديث في هذا الدرس يدور حول عهدِ الإمامِ عليه السلام لمالكٍ الأشتر رضوان الله تعالى عليه، حينما بعثه إلى مصر. وجديرٌ بهذا العهد العظيم أن يُبحثَ بما يستحقه.

وقبل الدخول في مضامين هذا العهد الجليل، لا بد أن نمر ببعض المقدمات:

## مقدمات

### *أ- شخصية مالك:*

وهو الرجل الكفؤ الذي كان مؤهلاً لأن يحمِّلَهُ الإمام تلك الأمانة العظيمة. وشخصية مالك من الشخصيات البارزة جداً في التأريخ، وهو من الرواد الأوائل والأماثل الذين لهم الوجود المميز حتى كانوا سواعد قوية يعتمد عليها أمير المؤمنين عليه السلام. ويرى العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي -كما سمعتُ منه- أنَّ مالكاً هو أفضلُ شخصيةٍ في صحابةِ أميرِ المؤمنينَ على الإطلاق، وناهيك بهذا المقام العظيم، وشهرة هذا الرجل في التأريخ ومقامه معروف بحيث لا يحتاج إلى مزيد من القول فيه، ولكن تأديةً لحق البحث نذكر شيئاً من سيرته المباركة.

فقد ذكره الإمام عليه السلام كما في النهج في مواطن كثيرة بعنوان الثناء بكلمات عالية لا ترقى لها عبارات أخرى، أو بعنوان بيان فضله لمن أُرْسِلَ إليهم

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٨/١٥. ومثله معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ١٦٥/١٤.

أو بعنوان ذكره في مناسبة ما، وكلمات الإمام خير مترجم لهذا الصديق المخلص والناصر العظيم الذي قل نظيره ممن كان يعرف حق الإمام وفضله. [1]

ومن النصوص غير الموجودة في النهج هو قوله عليه السلام في رثاء مالك:

"رحمَ الله مالكاً لو كان جبلاً لكان فنداً، ولو كان حجراً لكان صلداً، لله مالك، وما مالِك؟ وهل قامتِ النساءُ عن مِثْلِ مالك؟ وهل موجودٌ كمالك؟" وقد بكى عليه الإمام وحزن عليه حزناً شديداً، وقال: لا أرى مثله بعده أبداً" [2]

وقد عُرِفَ منه البلاءُ الحسن والرجولة والشجاعة والشهامة والصلاح والسداد. وهو ممن وصفهم الرسول صلى الله عليه وآله بالإيمان وذلك في حديثه عن وفاة أبي ذر رضوان الله تعالى عليه، فقد أخبر الرسولُ بذلك وأن أبا ذر يأتيه رجال مؤمنون للصلاة عليه، وبالفعل حينما توفيَ أبو ذر في الربذة جاءه مالك ومن معه وصلوا على أبي ذر[3]. ونظراً لما لمالك من مؤهلات فقد وجهه الإمام لبلد مهم كمصر، فكان سفيراً للإمام لينفذ ويطبق بنود هذا العهد العظيم والميثاق الجليل. وبالإضافة إلى تزوده بهذا العهد وما يحمل من تعاليم، فإن لمالك ما يعينه ويؤهله لهذه المهمة الكبيرة من علم وإيمان وسداد رأي وبعد نظر وحسن سياسة. وقد دعا الإمام في ختام ذلك العهد بالشهادة له ولمالك، فكان ذلك. فأما الإمام فكانت شهادته في محرابه بسيف ابن ملجم، وأما مالك فكانت شهادته مسموماً على يد نافع مولى عثمان[4] الذي صحب مالكاً وخدمه ثم لما نزل القلزم غدر به ودسّ له

---

١ – واكتفي هنا بالإشارة إلى أرقام وصفحات هذه النصوص، وهي:
الكتاب رقم١٣ ص٣٧٢، ورقم٣٤ ص٤١٧، ورقم٣٨ ص٤١٠، ورقم٦٢ ص٤٥١، وغريب كلامه رقم٤٤٣، ص٥٥٤.

٢ – معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ١٦٤/١٤.

٣ – معجم رجال الحديث، كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد وغيره وعدوا ذلك منقبة كبيرة لمالك أن يصفه رسول الله صلى الله عليه وآله بالإيمان.

٤ – معجم رجال الحديث ١٦٣/١٤.

سماً في شربة عسل وقدمها له، وقيل أن من سمه مولى لعمر أو لآل عمر[1]، وكان ذلك سنة ٣٩هـ أو ٣٨هـ وهي السنة التي بعثه الإمام إلى مصر. وقد اشتهرت عن معاوية كلمته: إنَّ للهِ جنوداً من عسل.

### ب – العهد الشريف: ([2])

وتكمن أهميته في عدة أمور:

١– أنه ينضم إلى جملة عهود مختصرة وموسعة عهدها الإمام إلى مالك أو غيره وجملة نصوص أخرى أوضحت في مجموعها جانباً كبيراً من السياسة الإسلامية وأساليب الحكم والإدارة.

٢– أنه جاء بعد مرحلة كانت الأمة الإسلامية تعيش فيها فتنة مقتل عثمان ومجيء أهل البصرة والاضطراب الذي عاشه الناس والحروب التي قامت، فكانت الأمور بعد ذلك تسير إلى فترة أكثر هدوء واستقراراً ولذلك فقد سعى الإمام إلى إبراز السياسة الحقيقية للإسلام كما أرادها الله تعالى حتى يستفيد منها البشر ويأخذوها من هذا الوجود المقدس؛ من شخص الإمام نفسه عليه السلام. فالإمام أراد أن يهيء للناس في كل البلاد حياة خاصة تؤمن سعادة الدنيا والآخرة، بعد تلك الحياة وذلك الانحراف الذي شهدته فترات حكم الحاكمين قبل الإمام عليه السلام فكان هذا العهد تجربة رائدة سجلها الإمام وسلمها إلى أوثق أصحابه عنده، بل إن الإمام لأهمية مصر آثر أهلها بمالك على نفسه مع حاجة الإمام إليه كما صرح بذلك[3].

٣– نضيف إلى ذلك ما نعتقده من أن الإمام عندما بيَّن أُسَسَ السياسة والإدارة الإسلامية في هذا العهد لم يحتجْ إلى أناةٍ وروية وطول تفكير ومزيد

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٦/٦.

٢ – الكتاب رقم٥٣، ص٤٢٦.

٣ – قال عليه السلام متحدثاً عن مالك في كتاب إلى أهل مصر: "وقد آثرتكم به على نفسي". الكتاب رقم٣٨، ص٤١١.

مشاورة، بل أملاه أوكتبه فلم يحتج إلا إلى الوقت الكافي لإملائه أو كتابته. وهذا هو الإمام وذلك هو العلم الذي لا بد أن يملكه من يكون نائباً عن النبي في الولاية العامة على الأمة بل على البشر. إذن فالإمام يبلغ للناس السياسة الإلهية ويدلّلُ على أنه ليس بالضعيف الذي لم يحقق نجاحاً وليس بالمفتقر إلى الرؤية السياسية الواضحة والحكمة الإدارية والمعرفة بأساليب الحكم، وإنما وكما هو واضح لم تكن الظروف مواتية فكانت الفتن وكانت الحروب الطويلة التي شُغِلَ بها الإمام وكانت التربية المنحرفة التي تربى عليها الناس مع الحاكمين. نعم لم يتحقق النجاح كما أراده الإمام وكان هناك فشل ولكنه فشل من الناس وتقصير بل عجز فيهم، وسيرة الإمام وما حمله من فكر ثاقب ونظرة حكيمة وهذا العهد بالذات خير شاهد على هذه الحقيقة. فالمسؤولية تقع على الناس، وأما علي فإنه ومن هذا العهد فقط يتجلى لنا أي رجل كان هو في سياسته وحكمته وأنه لا يمكن أن يُقرَنَ به على الإطلاق أحد ممن سبقه أو لحقه.

### ج- العناية بهذا العهد:

فقد جالت فيه الأقلام شرحاً وبحثاً ودراسةً في جميع شروح النهج، بل أُفرِدتْ له شروح ودراسات مستقلة، فقد ذكر السيد عبدالزهراء الخطيب أكثر من ١٦ شرحاً مستقلاً لهذا العهد[١] ونضيف إلى ذلك (دراسات في نهج البلاغة) و (عهد الأشتر) للشيخ محمد مهدي شمس الدين. ويحسن بالطالبة كثيراً مراجعة هذا الكتاب (عهد الأشتر) فإنه مختصر ونافع في هذا المجال. ومن أفضل الشروح لهذا العهد شرح المحامي الكبير توفيق الفكيكي حين تعرض لشرحه ودراسته في كتابه (الراعي والرعية)، خاصة وأنه أخذ منهجاً آخر غير الذي أخذه الشراح وهذا المنهج هو أنه سعى للتطبيق بين ما قام به الإمام من بناء الدولة وإرساء السياسة والنواحي الإنسانية في سيرة حكمه، وبين ما أوضحه الإمام في هذا العهد، فكان سعي الكاتب للتطبيق بين نظرية الإمام وسيرته العملية، ثم قارن

---

١ - مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٣/٤٢٦-٤٢٩.

ذلك بالنظريات والقوانين الأخرى فبين أنها أخذت من فكر الإمام ونظرياته فكان الإمام هو الرائد والسبّاق في هذه النواحي السياسية والإدارية.

وحول أهمية هذا العهد الشريف نقرأ ثلاثة نصوص: [1]

١- قال الشيخ آغابزرك الطهراني: [2]

"وهو أولُ كتابٍ قانونيٍّ إسلاميٍّ قويم، كما أنه أطولُ عهودِهِ عليه السلام وأجمعُ كتبِهِ لوجوهِ السياسةِ الدينيةِ والمحاسنِ والقيادةِ والتدبير، وقد وقفَ عندَهُ المشرّعونَ ورجالُ القانونِ في الشرقِ والغربِ منذُ العهودِ السالفةِ حتى يومِ الناسِ هذا موقفَ الإكبارِ والإعجابِ والتعظيمِ وقد دُرِسَتْ على ضوئِهِ بعضُ القوانينِ والنُظُمِ الأوروبيةِ الحديثةِ وقُورِنَتْ بهِ فظهرتْ ميزتُهُ وأفضليَّتُهُ ولم يوجدْ لهُ نظيرٌ أو شبيهٌ بل إنَّ معظمَ دساتيرِ الدولِ وقوانينِ الممالكِ مأخوذةٌ منهُ ناسجةٌ على منوالِهِ".

٢- وقال جورج جرداق، في كتابِهِ القيِّم (الإمام علي صوت العدالةِ الإنسانية): [3]

"إلاَّ أنهُ يصعبُ على المرءِ أن يجدَ اختلافاً بين العهدِ العلويِّ والوثيقةِ الدوليةِ لحقوقِ الإنسانِ، فليس مِنْ أساسٍ بوثيقةِ حقوقِ الإنسانِ إلاَّ ونجدُ له مثيلاً في دستورِ ابنِ أبي طالبٍ، هذا إلى إطارٍ مِنَ الحنانِ الإنسانيِّ العَميقِ يحيطُ بهِ الإمامُ دستورَهُ في المجتمعِ ولا تحيطُ الأممُ المتحدةُ وثيقتَها بمثلِه".

٣ - وقال ابن أبي الحديد: [4]

"الأليقُ أن يكونَ الكتابُ الذي كانَ معاويةُ ينظرُ فيهِ ويعجبُ منهُ ويفتَنُّ بهِ

---

١ - وقد أورد السيد عبدالزهراء الخطيب هذه النصوص في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) ٤٢٥/٣ نقلاً عن مصادرها.

٢ - الذريعة ٣٧٣/١٣.

٣ - الجزء ١.

٤ - شرح نهج البلاغة ٧٣/٦.

ويقضي بقضاياهُ وأحكامِهِ هو عهدُ عليٍّ عليه السلام إلى الأشترِ فإنهُ نسيجٌ وحدهُ ومنهُ تعلّمَ الناسُ الآدابَ والقضايا والأحكامَ السياسيةَ، وهذا العهدُ صار إلى معاويةَ لما سمَّ الأشترَ وماتَ قبلَ وصولِهِ إلى مصر".

*د – سند العهد:*

فإنه من جهات أهمية هذا العهد أن يكون سنده صحيحاً ومعتبراً، قال السيد الخوئي –رضوان الله تعالى عليه– في مباني تكملة المنهاج ج١، ص٥: "طريقُ الشيخِ إلى عهدِهِ عليه السلام إلى مالكٍ الأشترِ معتَبَر".

*هـ – لماذا التخصيص بمصر؟*

فقد خصَّ الإمامُ مصرَ بالذات بهذا العهد العظيم وبإيفاد شخصيةٍ كمالك الأشتر إليها، ولعل سبب ذلك هو ما قاله الشيخ محمد مهدي شمس الدين[1]: "إن مصر عريقةٌ في التنظيم المجتمعي والحضارة منذ عشرات القرون وإن تقاليدها في السياسة والإدارة عريقة في القِدم وإن مجتمعها الأصلي مجتمع مكتمل التكوين في عاداتِهِ وتقاليده وفئاته الاجتماعية". نضيف إلى ذلك وجود من قام على عثمان من مصر ممن لم يرضوا بسياسته، وكانوا يريدون عدالة الإسلام فأراد الإمام نشر العدالة هناك وتهدئة الوضع ولتكون نموذجاً للبلاد الأخرى.

## مضامين العهد الشريف

ونتناول في ذلك ثلاث نقاط:

*أ – أهداف العهد:*

وقد ذكرها الإمام نفسه، في مقدمة العهد، كما صاغها من كتب حول

---

١ – في كتابه (عهد الأشتر) ص١٣.

هذا العهد بعبارات أخرى كالشيخ شمس الدين، وهذه الأهداف هي أربعة أهداف أساسية:

١ – مالية الدولة، التي عبر عنها الإمام بِـ (جباية خراجها).

٢ – الدفاع والأمن، الذي عنونه الإمام بِـ (جهاد عدوها).

٣ – الإصلاح الاجتماعي، وقد عبَّر عنه الإمام بِـ (استصلاحِ أهلها) وهذا يشمل جهات عدة من التعليم والتربية والتثقيف في كل المجالات.

٤ – التنمية الاقتصادية، التي عبر عنها الإمام بِـ (عمارة بلادها).

## ب– بعض المضامين التي ركز الإمام عليها:

ويلاحظ أن مضامينه شملت نواحٍ عدة فيما يتعلق بالنفس وبا للهِ تعالى وبالرعية وبطبقات المجتمع والجيش وما يرتبط بالأخلاق والآداب ومجالات عدة واسعة.

فمن قوله عليه السلام في مقدمة الكتاب: [1]

(أمرَهُ بتقوى ا للهِ، وإيثارِ طاعتِه، واتباعِ ما أمر به في كتابه: من فرائضِهِ وسننِه... وأن ينصرَ ا لله سبحانه بيدِهِ ولسانِه... وأمرَهُ أن يكسرَ نفسَهُ ويزعَها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوءِ إلا ما رحم ا لله).

ثم بيَّن ركيزةً من الركائز المهمةِ يلفت إليها نظر هذا السفير الموفَد:

(ثم اعلم يا مالك، أني قد وجهتُكَ إلى بلادٍ قد جرتْ عليها دولٌ قبلك من عدلٍ وجور، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثلِ ما كنتَ تنظرُ فيه من أمورِ الولاةِ قبلك، ويقولون فيك ما كنتَ تقولُ فيهم). فجعل ذلك مقياساً يجب أن يراعيه مالك في تصرفه مع أهل هذا البلد القادم عليه، فبالتزامه بهذه الناحية يحقق

---

١ – ص٤٢٧.

العصمة العملية والكمال المنشود.

وعالج الإمامُ قضيةَ ما يستوجبه الحكم بطبعه في نفس الإنسان وهذا أمر دقيق من الأمور النفسية الخاصة، فقال (عليه السلام): [1]

(وإذا أحدث لك ما أنتَ فيه من سلطانِكَ أُبّهةً أو مَخِيلةً، فانظر إلى عِظَمِ ملكِ اللهِ فوقك، وقدرتِهِ منك على ما لا تقدرُ عليهِ من نفسِك...).

فإن طبع الحكم له نشوة معينة ويستوجب نوعاً من الخيلاء والتعالي، والإمام يربي تلميذه وسفيره بهذه التربية ويريده أن ينظر إلى سلطان الله تعالى وقدرته ويفكر في ذلك دائماً كي لا يغره ما عنده من سلطان. بل إن الإمام يحذره من نخوة هذا السلطان والتكبر، وينهاه أن يؤدي به ذلك إلى تضييع حقوق الرعية حينما يخطيء في حقهم فيقول له: [2]

(ولا عذرَ لك عند اللهِ ولا عندي في قتلِ العمد لأن فيه قَوَدَ البدن. وإن ابتُليتَ بخطإٍ وأفرطَ عليك سوطُك أو سيفُك أو يدُك بالعقوبةِ، فإن في الوكزة فما فوقها مقتَلةً، فلا تطمحنَّ بك نخوةُ سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياءِ المقتولِ حقهم).

ونبه الإمام أيضاً على أمر ملازم للحاكم، فإنه يحب أن يتعرف على من يحبه ومن يبغضه فيلجأ إلى التجسس وقد يشتري ضمائر الناس لاستقرار أموره، فيلفت الإمام نظر مالك إلى هذه الجهة بقوله: [3]

(وليكنْ أبعدَ رعيتِكَ منك وأشنأَهُمْ عندك أطلبُهم لمعائبِ الناسِ؛ فإن في الناسِ عيوباً، الوالي أحقُّ مَنْ سَتَرَها، فلا تكشِفَنَّ عما غابَ عنك منها، فإنما عليكَ تطهيرُ ما ظهرَ لك، واللهُ يحكمُ على ما غابَ عنك، فاسترِ العورةَ ما استطعتَ

---

١ - ص٤٢٨.

٢ - ص٤٤٣.

٣ - ص٤٢٩.

يسترِ الله منك ما تحبُّ سترَه من رعيتك).

فهذا تهذيب للنفس ومنع من التجسس لما يحمله من أضرار على ذات الراعي وعلى الرعية ويخالف أمر الشرع المقدس.

ثم ذكر الإمام جهة يحتاج لها الحاكم، ألا وهي المشورة فيعلّمُ الإمام مالكاً أصول المشورة وشروطها بقوله، كما في: [1]

(ولا تدخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً يعدلُ بك عن الفضلِ، ويعِدُكَ الفقر، ولا جباناً يُضعِفُكَ عن الأمور، ولا حريصاً يزيّنُ لك الشرَهَ بالجور، فإن البخلَ والجبنَ والحرصَ غرائزُ شتى يجمعها سوءُ الظنِّ با لله).

فالإمام يأمره باستشارة من هو أهل لأن يستشار، وينهاه عن مشورة هؤلاء الأصناف بالذات ويبين له سبب ذلك وأضرار مشورتهم، وتلاحظ هنا جهة أخرى وهي أن الإمام إلى جانب تقديم الإرشاد والتعاليم يُدخِل في ذلك المعرفة فيخبره بأن تلك الأمور غرائز مختلفة ولكن يجمعها سوء الظن با لله.

ثم يرشده الإمام إلى الوزراء وشؤونهم بقوله: [2]

(إن شرَّ وزرائِكَ من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثامِ فلا يكوننَّ لك بطانةً، فإنهم أعوانُ الأثمةِ، وأخوانُ الظَلَمةِ، وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلفِ ممن له مثلُ آرائِهم ونفاذِهم...). وهذا يسترجع في الذهن ما كان عليه الحكم السابق حين كان آل أبي سفيان وآل أبي معيط وبني أمية عامة في زمن عثمان هم القائمين على رقاب الناس والناهبين لأموالهم بغير حق. فيحذره الإمام من هؤلاء وأمثالهم وإن كانوا يملكون الإدارة ويعلمون بالسياسة، فإنه سيجد من الأخيار المؤمنين غيرهم ممن يملك الإدارة ويعلم بالسياسة.

---

١ - ص٤٣٠.

٢ - ص٤٣٠.

وبعد ذلك يشير الإمام إلى جهة أخرى هي من طبع الحكم ألا وهي أن الحاكم يحب الثناء عليه، وقد كانت سيرة الإمام تشهد بأنه لا يحب الثناء عليه وكان ينهى أصحابه عن أن يثنوا عليه، وهو هنا يريد من مالك ما يريده لنفسه، قائلاً:

(ثم ليكنْ آثرُهم عندكَ أقولَهم بمُرِّ الحق لك، وأقلَّهم مساعدةً فيما يكونُ منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواكَ حيثُ وقع. والصقْ بأهلِ الورعِ والصدق؛ ثم رُضْهُمْ على ألاّ يطروكَ ولا يبجحوكَ بباطلٍ لم تفعلْه، فإن كثرة الإطراءِ تحدثُ الزهوَ...). وهذا ما لا يريده الإمام لحاكمٍ يقومُ مقامه.

ثم يوجه الإمام نظرةً دقيقة إلى ترابطِ جميعِ فئات المجتمع وطبقاته، بقوله:[1]

(فالجنودُ، بإذن الله تعالى، حصونُ الرعية، وزينُ الولاة، وعزُّ الدين، وسبلُ الأمن... ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوَوْنَ به على جهادِ عدوِّهم... ثم لا قوام لهذين الصنفينِ إلا بالصنفِ الثالثِ من القضاةِ والعمالِ والكتابِ لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع... ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم... ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقُّ رِفْدُهُمْ ومعونتُهُمْ. وفي اللهِ لكلٍّ سعة، ولكلٍّ على الوالي حقٌّ بقدرِ ما يصلحه...).

وتوصية بالأناة والبعد عن البطش:[2]

(وإياك والعجلةَ بالأمورِ قبل أوانها أو التسقطَ فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكَّرَتْ أو الوهنَ عنها إذا استوضحَتْ. فضع كلَّ أمرٍ موضعه...).

ثم يذكر الإمام أمراً رائعاً فيربط الأناة والبعد عن العنف والبطش بأمر المعاد قائلاً:

---

١ - ص٤٣٢.

٢ - ص٤٤٤.

(وعما قليلٍ تنكشفُ عنك أغطيةُ الأمور، ويُنتَصَفُ منك للمظلوم. املك حميةَ أنفِك وسَورةَ حدِّك، وسطوةَ يدك، وغَرْبَ لسانِك، واحترسْ من كلِّ ذلك بكفِّ البادرة وتأخيرِ السطوة، حتى يسكنَ غضبُكَ فتملكَ الاختيارَ: ولن تحكمَ ذلك من نفسِك حتى تكثرَ همومَك بذكرِ المعادِ إلى ربِّك). فالسلطان حينما يغضب قد يفتك وقد يزهق الروح، والإمام يوصيه بأن ينتظر حتى يسكن الغضب ليملك بذلك اختياره ويستطيع أن يصيب في رأيه ويكون عادلاً في حكمه، وهذه أمور صعبة لا يمكن الوصول إليها إلا بالارتباط با لله تعالى وتذكر أمر المعاد والوقوف بين يديه تعالى.

## ج – النواحي الإنسانية:

قال جورج جرداق: "هذا إلى إطارٍ مِنَ الحنانِ الإنسانيِّ العميقِ يحيطُ بهِ الإمامُ دستورَهُ في المجتمعِ ولا تحيطُ الأممُ المتحدةُ وثيقتَها بمثلِه".

ومن أمثلة هذه النواحي الإنسانية، ما يلي:

قوله عليه السلام في حديثه عن الناس الذين كان فيهم المؤمنون وأهل الذمة وغيرهم: [1]

(فإنهم صنفانِ: إما أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق...).

وحين يلتفت الإمام إلى طبيعة الجنود وأن من طبعهم الشدة والفتك وإراقة الدماء – ينبه إلى أن الإسلام يريد نموذجاً آخر، فإن الجندي على ما يتطلبه وضعه من القوة والشدة في الحق ينبغي أن يكون أيضاً القدوة والمثل الأعلى في الرأفة والإنسانية، وقد كانت هذه صفة مميزة وعجيبة في سيرة الإمام نفسه عليه السلام وهو هنا يقول: [2]

---

١ – ص٤٢٧.

٢ – ص٤٣٢.

(فولِّ من جنودِكَ أنصحَهم في نفسِك للهِ ولرسولِهِ ولإمامِك... وأفضلَهم حلماً ممن يبطيء عن الغضب، ويستريحُ إلى العذر، ويرأفُ بالضعفاء وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيرُه العنف، ولا يقعدُ به الضعف).

وحين يتحدث عن اهتمامه بالرعية يقول عليه السلام: [1]

(ثم تفقدْ من أمورِهم ما يتفقدُ الوالدانِ من ولدِهما).

ثم يأمره بالموازنة بين الرعية والاعتراف بفضل أصحاب الفضل فيقول:[2]

(وواصِلْ في حسنِ الثناء عليهم وتعديدِ ما أبلى ذوو البلاء منهم).

كما بين الإمام المقاييس التي يجب أن يعتمد عليها الحاكم، وأن يتجنب المقاييس التي تصيب وتخطيء كالظن والفراسة، فيقول عليه السلام: [3]

(فإن الرجالَ يتعرضون لفراساتِ الولاةِ بتصنعهم، وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء...).

ومن لطفه وعطفه على الفقراء وحبه للمساكين يؤكد على الاهتمام بهم، ورعايتهم كل الرعاية، فيقول عليه السلام: [4]

(ثم الله الله في الطبقةِ السفلى من الذين لا حيلةَ لهم، من المساكين والمحتاجين وأهلِ البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقةِ قانعاً ومعتراً، واحفظْ للهِ ما استحفَظَكَ من حقِّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيتِ مالِك، وقسماً من غلاتِ صوافي الإسلام في كلِّ بلد، فإن للأقصى منهم مثلَ الذي للأدنى... فإنك لا تُعذَرُ بتضييعك التافهَ لإحكامِكَ الكثيرَ المهم، فلا تشخِصْ همَّكَ عنهم، ولا تصعِّرْ

---

١ - ص٤٣٣.

٢ - ص٤٣٤.

٣ - ص٤٣٧.

٤ - ص٤٣٨.

خدَّك لهم، وتفقدْ أمورَ من لا يصلُ إليك منهم ممن تقتَحِمُهُ العيون وتحقرُهُ الرجال... وتعهَّدْ أهلَ اليتم وذوي الرقةِ في السنِ ممن لا حيلةَ له، ولا ينصبُ للمسألةِ نفسَه). وقد لاحظت أن الإمام لم يبدأ فقرةً وأمراً في هذا العهد الشريف بمثل هذه البداية (ثم الله الله في الطبقة السفلى). فطبع المجتمع أن يكون فيه أثرياء ووزراء وقضاة كما أن فيه فقراء وزَمنى (مرضى) وأيتاماً ومسنين وقد تقتحم العيون هذه الطبقة أي لا يُعْبَأُ بهم ويحتقرون، وفيهم القانع الذي لا يسأل كما أن فيهم المعتر الذي يتعرض للمسألة وهم بطبيعتهم وظروفهم هذه أحوج الناس إلى العدل، والحاكم لا يعذر إذا حفظ العدل والأمن والحقوق للغالبية المهمة وترك الأقلية غير المهمة من هذه الطبقة السفلى. فعليه أن يلتفت إليهم ويعتني بهم تمام العناية بل يجعل مجلساً لذوي الحاجات منهم فإنهم قد لا يبوحون لكل أحد بوضعهم وحاجتهم. وقد استشهد الإمام له بسيرة رسول الله ﷺ قائلاً:

(فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: (لن تُقَدَّسَ أمةٌ لا يؤخَذُ للضعيفِ فيها حقُّه من القوي غير متعتع).

ثم يوصيه بالثبات وسعة الصدر بقوله: [1]

(ثم احتمل الخرقَ منهم والعِيَّ ونحِّ عنهم الضيق والأَنَف يبسطِ الله عليك بذلك أكنافَ رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته).

وقد دعا عليه السلام أخيراً بهذا الدعاء:

(وأنا أسألُ الله بسعةِ رحمتِه، وعظيمِ قدرتِه على إعطاءِ كلِّ رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامةِ على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة و الشهادة، إنا إليه راجعون، والسلام على رسول الله ﷺ الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً).

---

١ - ص٤٣٩.

# الإمام الإنسان

## السيرة الذاتية

مقدمة:

أ- دراسة الشخصية

ب- ملتقى الكمالات

أولاً: بطل الإسلام

ثانياً: مظاهر عدالته

ثالثاً: إنسانيته الفذة

رابعاً: أريحيته وسعة أفقه وتعاليه

خامساً: الانضباط والملكات الشريفة

سادساً: السيرة الواحدة

سابعاً: أمير البيان

## مدخل

حديثنا هذا هو الحديث الختامي عن حياة أمير المؤمنين عليه السلام وهو حول سيرته الذاتية، فبعد أن تحدثنا عن الإمام الحاكم نتحدث هنا عن الإمام الإنسان، وستلاحظن سعة مجالات الحديث وكثرتها، وسوف نقتصر على مجالات منها بما يستوعبه هذا الدرس.

## مقدمة

### *أ- دراسة الشخصية:*

إن الدراسة الدقيقة والموضوعية لشخصية ما هي الدراسة التي تستوعب حياة تلك الشخصية في مختلف الأدوار: في فترة الطفولة والصبا والشباب والشيخوخة. ففترة الطفولة والصبا لها طبيعتها من الميل إلى اللهو وفترة الشباب تستدعي طيشاً وانطلاقاً معيناً في العواطف والغرائز والمواقف وفترة الشيخوخة تصاحبها مؤثراتها ومتاعبها. وأمير المؤمنين عاصر في بداية حياته وضع الجاهلية بكل انحرافاتها، ثم عاصر بداية الدعوة وواكبها حتى انتصارها وهو في مرحلة الشباب، ثم قاسى اغتصاب حقه منه مع إيمانه الراسخ به، ثم كان أن عاد الحق إليه مع ابتلائه بالأحداث الجسام من فتن وحروب وغير ذلك وهو في ذلك السن الذي جاوز فيه الستين. ومروراً بكل تلك الأدوار نجد هذه الشخصية متماسكة فلا تجد ثغرة واحدة فيها خلال تلك الحياة الحافلة بالبلاء والأحداث الكبيرة. وإن هذه النظرة السريعة لتثبت لنا وتؤكد أن علياً بشر ولكن ليس كسائر البشر.

إن قلتُ ذا بشرٌ فالعقلُ يمنعني وأختشي الله في قولي هو الله

فصفات عليٍ هي صفات ممكن الوجود ولكنها صفات في أعلى درجات الإمكان، وصفات الله تعالى صفات واجب الوجود التي لا يصل إليها ممكن الوجود بأي حال. وصدق من قال: إذا كان عليٌّ بشراً فلسنا من البشر في شيء،

وإن يكن هو ا لله فذلك هو الكفر.

### ب – ملتقى الكمالات:

فأمير المؤمنين عليه السلام هو ملتقى الكمالات والفضائل الإنسانية وأنموذج الاصطفاء والعناية الربانية وسنلاحظ ذلك في عموم أدوار حياته وسائر نشاطه في أمر الدين بما يتعلق بأمر الحروب التي خاضها دفاعاً عن الإسلام ونصرةً للحق من بدر إلى النهروان، وبما يتعلق بمواقفه في فترات حكمه وفترات الحاكمين قبله. ومجال آخر هو عدالته ومظاهر ذلك مع أقرب الناس إليه أو مع ألد الأعداء له، وهي كذلك مع ولاته ومع سائر الناس. ومجال آخر هو إنسانيته مع أهله وخدمته لهم، وفي شؤونه الخاصة في لباسه وطعامه، وفي تواضعه وأريحيته في دعابته، وسعة أفقه وتعاليه وجملة من شؤونه مع الناس. وقد تجلت في كل ذلك عظمته تجلياً تاماً. وأخيراً فإن هذه السيرة الذاتية الرائعة بل المعجزة للإمام هي مدعاة للسرور والغبطة والفخر من جانب، كما أنها مدعاة للأسى من جانب إعراض الناس عن هذا الرجل الإلهي العظيم الذي جسَّدَ القرآن وجسَّدَ الحق.

## أولاً: بطل الإسلام

وإذا تحدث عليٌّ عن نفسه فهو الصادق غير المتهم، وفوق كل ذلك فإن سيرته تصدق قوله فلا مجال للإنكار أبداً، وقد قال عليه السلام:[1]

(حتى لقد قالت قريشٌ: إنَّ ابنَ أبي طالبٍ رجلٌ شجاعٌ، ولكن لا علمَ له بالحرب. للهِ أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدمُ فيها مقاماً مني! لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين وهأنذا قد ذَرَّفْتُ على الستين! ولكن لا رأيَ لمن لا يُطاع!). فعليٌّ الذي لم يتجاوز حينها العشرين سنة كان بطلَ الإسلام الأول في ساحة الجهاد، ويوم ذاك لم يكن لأبي بكر أثر... ولم يكن لعمر عين ولا أثر...

---

١ – خ٢٧، ص٧٠.

ولم يكن لعثمان اسم يذكر في تلك المواقف. ففي "بدر" كان عليٌّ فارسَ الإسلام الذي جدَّلَ فرسان الكفر، وفي "أُحُد" جاء النداء من السماء قائلاً: لا فتى إلا عليٌّ ولا سيفَ إلا ذو الفقار. وإن "أُحُد" لتشهد بذلك. وتلك الفتوة هي كما يقول ابن أبي الحديد كالتي عبر بها القرآن الكريم عن خليل الله إبراهيم عليه السلام [1] فلا يرقى لمثلها إلا مثل تلك الشخصية. وفي "الخندق": ضربة علي يوم الخندق تعدل أعمال الثقلين.

"فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود فإنها أجل من أن يقال جليلة، وأعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل أيما أعظم منزلة عند الله، عليٌّ أم أبو بكر؟ فقال: يابن أخي، والله لمبارزة علي عمْراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها وتُربي عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده"[2]. فقد كان في تلك الضربة نصر الإسلام وعزته وقوة المسلمين وبقاؤهم، واندحار الكفر وهزيمة جيشه. وكان عليٌّ طوال تلك الفترة يمثل وحده جيشاً عظيماً لا يحتاج الإسلام إلى غيره. وإلى أن بلغ الإمام الستين وهو بعد يجاهد دفاعاً عن الحق.

وقد تحدث الإمام عن تلك المنزلة شاكراً الله تعالى الذي أكرمه بها وتفضل بها عليه، وتلك الكرامة التي خصه بها، فيقول عليه السلام:[3]

(ولقد عَلِمَ المستحفَظون من أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أني لم أردَّ على اللهِ ولا على رسولِهِ ساعةً قط. ولقد واسيتُهُ بنفسي في المواطنِ التي تنكصُ فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام، نجدةً أكرمني الله بها). والله سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته وأمانته فإنه الحكيم الذي يضع الأمور مواضعها.

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٧/١١.

٢ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٠/١٩.

٣ – خ١٩٧، ص٣١١.

## ثانياً: مظاهر عدالته

وما أكثر هذه المظاهر وأعظمها. ولكن نأخذ سطوراً معبرة منها:

أ - قال عليه السلام:[1]

(وا للهِ لأنْ أبيتَ على حسكِ السعدان مسهَّداً، أو أُجَرَّ في الأغلال مصفَّداً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى ا للهَ ورسولَهُ يوم القيامةِ ظالماً لبعضِ العباد، وغاصباً لشيءٍ من الحُطام، وكيف أظلمُ أحداً لنفسٍ يسرعُ إلى البِلى قفولُها، ويطولُ في الثرى حلولُها؟!).

ثم يتحدث عن موقف مع أخيه عقيل وهو من أقرب الناس إليه وقد كان فقيراً محتاجاً وكان في حالة شديدة يعلمها الإمام وقد وصفها بدقة، ولكن علياً لا يساوم علي دينه كما يساوم الآخرون. والإمام يقسم با للهِ تعالى ويؤكد واقع الحالة قائلاً:

(وا للهِ لقد رأيتُ عقيلاً وقد أملَقَ حتى استماحني من بُرِّكم صاعاً، ورأيتُ صبيانَهُ شعثَ الشعور، غُبْرَ الألوانِ من فقرهم، كأنما سُوِّدَتْ وجوهُهم بالعِظلِم، وعاودني مؤكِّداً، وكرَّرَ عليَّ القولَ مردِّداً، فأصغيتُ إليهِ سمعي، فظنَّ أني أبيعُهُ ديني وأتبعُ قيادَهُ مفارقاً طريقتي، فأحميتُ له حديدةً، ثم أدنيتُها من جسمِهِ ليعتبرَ بها، فضجَّ ضجيجَ ذي دنفٍ من ألمِها، وكاد أن يحترقَ من ميسمِها، فقلتُ له: ثكلتْكَ الثواكلُ يا عقيل! أتئنُّ من حديدةٍ أحماها إنسانها للعبه، وتجرُّني إلى نارٍ سَجَرَها جبَّارُها لغضبهِ! أتئنُّ من الأذى ولا أئِنُّ من لظى).

وموقف آخر يذكره على إثر هدية أهداها له ابن الأشعث، فيقول عليه السلام بعد ذلك:

(وأعجبُ من ذلك طارقٌ طرَقَنا بملفوفةٍ في وعائِها، ومعجونةٍ شنِئتُها، كأنما عُجِنَتْ بريقِ حيةٍ أو قيئِها فقلتُ: أصِلَةٌ أم زكاةٌ أم صدقة؟ فذلك مُحَرَّمٌ علينا أهلَ

---

١ - خ٢٢٤، ص٣٤٦.

البيت! فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية. فقلتُ: هبلَتْكَ الهبول! أعن دينِ اللهِ أتيتني لتخدَعني؟ أمُختبطٌ أنت أم ذو جنة، أم تهجُر؟ واللهِ لو أُعطِيتُ الأقاليمَ السبعةَ بما تحتَ أفلاكِها، على أن أعصيَ اللهَ في نملةٍ أسلبُها جُلْبَ شعيرةٍ ما فعلتُه، وإنَّ دنياكم عندي لأهونُ من ورقةٍ في فمِ جرادةٍ تقضمها، ما لعليٍّ ولنعيمٍ يفنى، ولذةٍ لا تبقى! نعوذُ باللهِ من سباتِ العقل وقبحِ الزلل. وبه نستعين).

و للهِ أنت يابن أبي طالب، فالذي يتنافس فيه الملوك والناس كنت تنفر منه وتبتعد عنه بهذه الصورة. فهذا المنصور العباسي "هُيئتْ له عجةٌ من مخٍّ وسكر فاستطابها فقال: أراد إبراهيم أن يحرمني هذا وأشباهه"[1]. وأما أمير المؤمنين فيصف هذه الهدية بأنها كالتي عجنت بريق حية أو قيئها، فنفسه تنفر منها أشد النفرة، لأنها جاءت تمهيداً لكي يفضل الإمام جماعة على أخرى في العطاء. وهو يجيب من أتى بها بذلك الجواب الشديد ثم يقسم بأنه لو أعطي الأقاليم السبعة ما ظلم نملة فكيف يظلم العباد.

ب - وكان عنده والٍ له شأن وكان معه في حرب الجمل يجاهد، وذلك الوالي لم يرتكب جرماً عظيماً ولكن علياً يأبى إلا أن يربيه على آداب الله تعالى وبكل دقة، ويهديه بالهداية التي يعلمها وبكل إخلاص له، ويأبى إلا أن يكون ولاة الأمة بذلك المستوى الرفيع الذي أرشدهم إليه، فقد أرسل إليه الإمام كتاباً جاء فيه:[2]

(أما بعد يابنَ حنيفٍ: فقد بلغني أن رجلاً من فتيةِ أهلِ البصرةِ دعاكَ إلى مأدبةٍ فأسرعتَ إليها تُستطابُ لك الألوان، وتُنقَلُ إليكَ الجفان، وما ظننتُ أنك تجيبُ إلى طعامِ قومٍ، عائلُهم مجفوٌّ، وغنيُّهم مدعو. فانظر إلى ما تقضمُهُ من هذا

---

١ - مروج الذهب ٣/٣٠٩.

وإبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو أحد الذين قاموا على المنصور.

٢ - الكتاب رقم٤٥، ص٤١٦.

المقضم، فما اشتبه عليك علمُهُ فالفظْه، وما أيقنتَ بطيبِ وجوهِهِ فنلْ منه).

فالإمام يريد من الوالي أن يكون ملتفتاً دائماً إلى رعيته بحيث لا يتميز عنهم، ويظل يرعاهم تمام الرعاية. ولا يرضى بأن يكون الفقير في رعيته يُبعَدُ ويجفى وأما الغني فإنه يُكرَّم ويدعا. كما يحذره الإمام من أن يُخدع ويُرتَشى بمثل هذه الدعوات وغيرها.

ثم يقرر الإمام قانوناً عاماً بقوله:

(ألا وإنَّ لكلِّ مأمومٍ إماماً، يقتدي به ويستضيء بنورِ علمِه؛ ألا وإن إمامَكم قد اكتفى من دنياهُ بطمريه، ومن طعمِهِ بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد، وعفةٍ وسداد).

ومن مظاهرعدالتِهِ مع أعدائه أو المعارضين له موقفه مع طلحة والزبير، فقد "قالا له وقت البيعة: نبايعك على أنا شركاؤكَ في هذا الأمر، فقال لهما: لا، ولكنكما شريكايَ في الفيء لا أستأثر عليكما ولا على عبدٍ حبشيٍ مجدَّع بدرهمٍ فما دونه، لا أنا ولا ولدايَ هذان، فإن أبيتما إلا لفظ الشركة، فأنتما عونان لي عند العجزِ والفاقة، لا عند القوة والاستقامة".

قال أبو جعفر: فاشترطا ما لا يجوزُ في عقد الأمانة، وشرط عليه السلام لهما ما يجب في الدين والشريعة"[1].

فهو يضرب المثل الأعلى في العدالة ويساوي نفسه -وهو أمير المؤمنين- بسائر رعيته، ويأبى أن يمتاز عليهم بشيء ويأبى أن يُفضِّلَ بعضهم على بعض في العطاء.

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٢/٧.

## ثالثاً: إنسانيته الفذة

وهي تتمثل في كثير من المظاهر، فهو ورغم كونه الحاكم في فترة معينة ورغم كونه قبل هذا أمير المؤمنين إلا أنه كان طوال حياته عاملاً كادحاً، بل كان في حياة الرسول يؤجِّرُ نفسه حتى لليهودي فيسقي نخيلاتٍ له بأجرٍ ولو كان زهيداً كمقدارٍ من التمر يوفّره لرسول الله ﷺ. وأما إنسانيته في بيته فهو يشارك زوجه الخدمة في الطحن أو الكنس أو سائر الأمور الأخرى. وأما إنسانيته في أموره الشخصية فقد تجلت حتى في لباسه وطعامه، وهو يقتدي في ذلك برسول الله، وقد قال متحدثاً عن رسول الله ﷺ:[1]

(خرجَ من الدنيا خميصاً، ووردَ الآخرةَ سليماً. لم يضعْ حجراً على حجر حتى مضى لسبيلِهِ وأجابَ داعيَ ربِّه. فما أعظمَ منةَ اللهِ عندنا حين أنعمَ به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه !). وهذا هو الوعي والإدراك لرسالة الإسلام ومنزلة الرسول في القدوة ودور الحاكم وسيرته. ثم قال عليه السلام:

(واللهِ لقد رقّعتُ مدرعتي هذه حتى استحييتُ من راقعِها. ولقد قال لي قائلٌ: ألا تنبذُها عنك ؟ فقلتُ: اغربْ عني فعند الصباحِ يحمد القومُ السرى !). والإمام بقوله عن مدرعته: (هذه)، يشير إلى واقع محسوس يرونه، وقد كان من يرقع مدرعته هو الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه، ومع ذلك فقد وصل الحال بالإمام أن يستحي منه. وفي الكتاب رقم٤٥ شيء من شؤون الإمام الشخصية في لباسه وطعامه وسائر أموره. ولم يكن ذلك الحال منه بسبب الفقر أو الحاجة بل ليكون أسوة لأضعف رعيته وأشدهم حاجة، وهذه غاية الإنسانية من شخص كان هو الإمام الحاكم المهيمن على المقدرات والثروات. فهو يقول في هذا الكتاب:[2]

(ولو شئتُ لاهتديتُ الطريقَ إلى مصفّى هذا العسلِ ولبابِ هذا القمحِ

---

١ - خ١٦٠، ص٢٢٩.

٢ - الكتاب رقم٤٥، ص٤١٧-٤١٨.

ونسائجِ هذا القز. ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيرِ الأطعمة - ولعلَّ بالحجازِ أو اليمامةِ من لا طمعَ له في القرصِ ولا عهدَ له بالشبع). فهو إمام الخلق فأراد أن يكون أسوةً لهم جميعاً، وذلك هو همه وتلك هي نفسيته وعدالته وحبه للخلق وخوفه من الخالق.

وكان من تواضعه وإنسانيته أنه لا يحب الإطراء والثناء عليه وينهى أصحابه عن ذلك، فقد خطب بصفين "فأجابه ؏ رجلٌ من أصحابهِ بكلامٍ طويل، يكثر فيه الثناءَ عليه ويذكرُ سمعَهُ وطاعتَهُ له" فكان مما قاله ؏: [١]

(فلا تثنوا عليَّ بجميلِ ثناء، لإخراجي نفسي إلى اللهِ سبحانه وإليكم من التقية في حقوقٍ لم أفرغ من أدائها وفرائضَ لا بدَّ من إمضائِها، فلا تكلموني بما تُكَلَّمُ به الجبابرة... ولا تظنوا بي استثقالاً في حقٍ قيلَ لي ولا التماسَ إعظامٍ لنفسي... فإنما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكونَ لربٍ لا ربَّ غيره). وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وأن لوِ استقاموا على الطريقةِ لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾ [٢]. فلو حكم في الأمة أمير المؤمنين من يومها الأول فهو بهذا المستوى من التعامل مع الرعية، ولو أُعطِيَ الخلافة بعد الرسول مباشرةً لظهرت الخيرات وبانتِ البركات في أعمالهم لأنه سيهديهم ويحملهم على الصراط المستقيم فيستقيمون (على الطريقة)، وذلك بما يحمله الإمام من فكر ووعي، وبما يملك من هيمنة على النفس لا يملكها غيره. وقد تحدث الإمام عن تقصيره في الحقوق التي كلفه الله تعالى بأدائها للرعية، وما ذاك إلا لسان العبد الكامل الذي يستشعر التقصير دائماً.

## رابعاً: أريحيته وسعة أفقه وتعاليه

فأما أريحيته فقد وصفه حتى أعداؤه بالدعابة والمزاح "وأما سجاحة الأخلاق وبشْر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم، فهو المضروبُ به المثل فيه؛ حتى عابه

---

١ - خ٢١٦، ص٣٣٥.

٢ - سورة الجن - ١٦.

بذلك أعداؤه؛ قال عمرو بن العاص لأهلِ الشام: إنه ذو دعابةٍ شديدة. وقال عليٌّ عليه السلام في ذاك: عجباً لابنِ النابغةِ يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة وأنـي امرؤ تلعابة أعافس وأمارس. وعمرو بن العاص إنما أخذها من عمر بن الخطاب لقوله لـه لما عزم على استخلافه: للهِ أبوك لولا دعابةٌ فيك! إلاّ أن عمر اقتصر عليها، وعمرو زاد فيها وسمَّجها"[١]. وأما واقع تلك الدعابة فهي جانب من جوانب كمال الإمام في أخلاقه وسيرته. قال ضرار بن ضمرة حينما قال له معاوية صف لي علياً: "وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن واللهِ مع تقريبهِ إيانا وقربهِ منا لا نكاد نكلمه هيبةً له"[٢] وقال قيس بن سعد في حديث مع معاوية أيضاً: "أما واللهِ لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيبَ من ذي لبدتين قد مسَّهُ الطَّوى، تلك هيبةُ التقوى لا كما يهابك أهل الشام"[٣]. وقد أجاب الإمام نفسه على كلام عمرو هذا. [٤]

وموقف آخر مع الأسرى ومع مصقلة بن هبيرة وذلك "لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام" فقال عليه السلام:[٥]

(قبحَ اللهُ مصقلة، فعل فعلَ السادة وفرَّ فرارَ العبيد ! فما أنطق مادحَهُ حتى أسكته، ولا صدَّق واصفه حتى بكَّتَهُ، ولو أقام لأخذنا ميسورَه، وانتظرنا بمالِهِ وفورَه). فقد مدحه الإمام على فعله الأول وكان مستعداً لأنْ يعينه على هذا العمل الإنساني مع سبيٍ من أعداء الإمام. وموضع الشاهد الذي هو فوق ذلك أنه قيل للإمام بأن يعيد من أعتقهم مصقلة إلى الرق لأنه لم يقبض ثمن عتقهم كله،

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٢٥.

٢ - الإمام علي من المهد إلى اللحد/٢٤٣.

٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٢٥.

٤ - خ٨٤، ص١١٥.

٥ - خ٤٤، ص٨٥.

فرفض الإمام ذلك وقال عليه السلام: (ليس ذلك في القضاء بحقٍّ؛ قد عتقوا إذْ أعتقهم الذي اشتراهم، وصار مالي ديناً على الذي اشتراهم)[1]

وموقف آخر مع مروان، وما أدراك ما مروان؟

" أُخِذَ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلماه فيه فخلاَّ سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام: أوَ لم يبايعني بعد قتل عثمان ؟ لا حاجةَ لي في بيعتِه ! إنها كفٌّ يهودية، لو بايعني بكفه لغدر بسبته. أمَا إن له إمرةً كلعقةِ الكلبِ أنفَه، وهو أبو الأكْبُشِ الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر!)[2]

فقد عامله الإمام بذلك المستوى من الإنسانية التي ليس لها نظير والتي هي ذاتية من ذاتياته لا تكلُّفَ فيها.

وموقف آخر مع الخريت بن راشد الذي كان مع الإمام في صفين، ثم بعد التحكيم لم يرض بما صنعه الإمام فعزم على عصيانه والاعتزال عنه فجاء إلى الإمام مع ثلاثين من أصحابه، وأخبر الإمام بذلك ولكن الإمام ناقشه وطلب منه أن يناظره وأراد له الهداية وتلك إنسانية رفيعة أن يقبل أولاً أن يفاوض معارضاً يريد الخروج عليه بدل أن يرغمه بالقوة حتى يرجع أصحابه ولا يلحق به آخرون، بل إن الإمام كان يحب وبكل إخلاص له الهداية.[3]

وموقف آخر لما مر عليه السلام بالأنبار في العراق خرج أهلها "فلما استقبلوه، نزلوا عن خيولهم، ثم جاؤوا يشتدون معه وبين يديه، ومعهم براذين (دواب) قد أوقفوها في طريقه، فقال: ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء؛ وأما هذه

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٧/٣.

٢ – خ٧٣، ص١٠٢.

٣ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٨/٣.

البراذين فهدية لك، وقد صنعنا للمسلمين طعاماً وهيئنا لدوابكم علفاً كثيراً، فقال عليه السلام: أما هذا الذي زعمتم أنه فيكم خلق تعظمون به الأمراء، فوا اللهِ ما ينفع ذلك الأمراء؛ وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له وأما دوابكم هذه، فإن أحببتم أن آخذها منكم، وأحسبها لكم من خراجكم أخذناها منكم، وأما طعامكم الذي صنعتم لنا؛ فإنا نكره أن نأكل من أموالكم إلا بثمن...)[1] وهذا لطف ورأفة بالرعية وإنسانية لا يقدر عليها إلا عليٌّ عليه السلام وهو يربي رعيته على ما يصلحهم ولا يريد أن يمتاز عليهم أو يرهقهم.

## خامساً: الانضباط والملكات الشريفة

ونجد ذلك في ما قاله قبل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: [2]

(إِنْ أبقَ فأنا وليُّ دمي، وإِنْ أفنَ فالفناءُ ميعادي، وإِنْ أعفُ فالعفوُ لي قربة).

وقال عليه السلام: [3]

(يا بني عبدالمطلب، لا ألفينّكم تخوضونَ دماءَ المسلمينَ خوضاً، تقولونَ: قُتِلَ أمير المؤمنين، ألا لا تقتلُنَّ بي إلا قاتلي. انظروا إذا أنا متُّ من ضربتِهِ هذه، فاضربوهُ ضربةً بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل، فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثلةَ ولو بالكلبِ العقور). وقد كان بإمكانه أن يأمر أهله وشيعته أن يشعلوا الحروب مع قريش والعرب قاطبة من أجل الثأر له، ولكنه يأبى إلا الانضباط والالتزام بأحكام الشرع المقدس. كما أنه يوصيهم كيف يعاملون قاتله وأن لا يمثلوا به التزاماً بحكم الله تعالى.

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٣/٣.

٢ - رقم٢٣، ص٣٧٨.

٣ - ص٤٢٢.

وموقف عجيب كان للإمام لما أن منعه معاوية من ماء الفرات بصفين وكان مع الإمام أكثر من مائة ألف فارس، فلما أن تمكن الإمام من الماء بعد قتال شديد، قال "أصحاب عليٍّ عليه السلام له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك. فقال: لا، خلُّوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون، سنعرضُ عليهم كتاب الله، وندعوهم إلى الهدى، فإن أجابوا؛ وإلا ففي حد السيف ما يغني إن شاء الله" (١)

وفي مجال ملكاته الشريفة نقف على جانب عظيم ومثير في موقف الإمام مع عمرو بن العاص:

"كان عمرو بن العاص عدواً للحارث بن نضر الخثعمي وكان من أصحاب عليٍّ عليه السلام وكان عليٌّ عليه السلام قد تهيبتْهُ فرسان الشام، وملأ قلوبهم بشجاعته، وامتنع كل منهم من الإقدام عليه، وكان عمرو قلما جلس مجلساً إلا وذكر فيه الحارث بن نضر الخثعمي وعابه، فقال الحارث:

ليسَ عمرو بتاركٍ ذكرَهُ الحا رثَ بالسوءِ أو يلاقي عليا

فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمْراً فأقسم بالله ليلقينَّ علياً ولو مات ألف موتة. فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدم عليٌّ عليه السلام وهو مخترطٌ سيفاً معتقلٌ رمحاً، فلما رهقه همز فرسه ليعلو عليه، فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه؛ كاشفاً عورته، فانصرف عنه لافتاً وجهه مستدبراً له، فعدَّ الناسُ ذلك من مكارمه وسؤدده، وضرب بها المثل" (٢).

سواء ضرب المثل بترفع أمير المؤمنين وإنسانيته، أو بضعة عمرو وموقفه ذاك، ولهذا قيل:

ولا خيرَ في دفعِ الرَّدَى بمذلَّةٍ كما ردَّها يوماً بسوءتِهِ عَمرُو

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٣٣١.

٢ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/٣١٣.

وأما بسر بن أرطاة -وهو الرجل الطاغية الجافي- فقد كان شديداً مع غير عليٍّ، أما مع عليٍّ فقد كان كقول القائل:

أنا في الحربِ ما جرَّبتُ نفسي    ولكن في الهزيمةِ كالغزالِ

أو كقول القائل:

أسدٌ عليَّ وفي الحروبِ نعامةٌ    خرقاءُ تهربُ من صفيرِ الصافرِ

فقد حرضه معاوية على لقاء عليٍّ عليه السلام في الحرب "و لم يزلْ يشجعه ويمنيه حتى رأى علياً في الحرب، فقصده، والتقيا فصرعه عليٌّ عليه السلام وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص في كشف السوأة" "وللشعراء فيهما أشعار مذكورة"

وكان مما قاله الحارث بن نضر في ذلك:[1]

أفي كلِّ يومٍ فارسٌ لك ينتهي    وعورتُهُ وسطَ العجاجةِ باديه
يكفُّ لها عنه عليٌّ سنانَهُ    ويضحكُ منها في الخلاءِ معاويه
بدتْ أمسِ من عمرٍو فقنَّعَ رأسَهُ    وعورةُ بسرٍ مثلها حذوَ حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسرٍ: ألا انظرا    لنفسكما: لا تلقيا الليثَ ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما    هما كانتا واللهِ للنفسِ واقيه
ولولاهما لم تنجيا من سنانِهِ    وتلك بما فيها إلى العَوْدِ ناهيه
متى تلقيا الخيلَ المغيرةَ صبحةً    وفيها عليٌّ، فاتركا الخيلَ ناحيه
وكونا بعيداً حيث لا يبلغُ القنا    نحورَكما إنَّ التجاربَ كافيه

"قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن العاص: يا أبا عبدالله، لا أراك إلا ويغلبني الضحك؛ قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في

---

١ - وأعتذر من الأخوات المحترمات وأعتذر من هذا المجلس الشريف لذكر هذه الأبيات لما فيها، ولكن وكما يقول الشيخ القمي أنه إذا كان مثل هذا الكلام في ذكر أعداء الله تعالى فلا بأس به.

صفين، فأزريتَ نفسك فَرَقاً من شبا سنانه، وكشفتَ سوأتك له؛ فقال عمرو: أنا منك أشد ضحكاً؛ إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك، وزبا لسانك في فمك، وغصصتَ بريقك، وارتعدت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك... فقال: يا أبا عبدالله، خض بنا الهزل إلى الجد، إن الجبن والفرار من عليٍّ لا عارَ على أحد فيهما" [1]

## سادساً: السيرة الواحدة

فإن سيرة رسول الله وسيرة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما واحدة "وإذا تأملتَ أحواله في خلافتِهِ كلها وجدتها هي مختصرة من أحوال رسول الله ﷺ في حياته كأنها نسخة منتسَخة منها، في حربه وسلمه وسيرته وأخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه والمخالفين لأمره؛ وإذا أردت أن تعلم ذلك علماً واضحاً، فاقرأ سورة (براءة) ففيها الجم الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه" [2].

وقال عليه السلام:

(أنا من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم كالعضد من المنكب، وكالذراع من العضد وكالكف من الذراع، رباني صغيراً وآخاني كبيراً؛ ولقد علمتم أني كان لي منه مجلس سرٍّ لا يطلع عليه غيري؛ وأنه أوصى إليَّ دون أصحابه وأهل بيته؛ ولأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم، سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة فقال: أفعل، ثم قام فصلى، فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه، فإذا هو قائلٌ: اللهم بحق عليٍّ عندك اغفر لعليٍّ، فقلت يا رسولَ الله، ما هذا ؟ فقال:

---

١ - شرح النهج لابن أبي الحديد ٦/٣١٣-٣١٧ .ففيها ما يتعلق بعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة.

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/١٢٩.

أواحدٌ أكرم منك عليه فأستشفع به إليه)[1].

وقال عليه السلام:

"كنتُ في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله يَنظرُ إلي الناس كما يُنظر إلى الكواكب في أفق السماء. ثم غضَّ الدهر مني فقُرِنَ بي فلان وفلان، ثم قُرِنَ بي خمسةٌ أمثلهم عثمان، فقلتُ: واذفراه. ثم لم يرضَ الدهر بذلك حتى أرذلني فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة، لقد استنّتِ الفِصَالُ حتى القرعى"[2].

وكم هو معبِّرٌ هذا النص عن المرارة والحسرة التي كان يحياها أمير المؤمنين بسبب ذهاب الحق وبعد الناس عنه، ولهذا كان مما يأسى عليه كثيراً أن يؤول أمر الحكم والإسلام إلى مثل معاوية ومن بعده، وتضيع كل الجهود التي بُذِلت من أجل الدعوة.

## سابعاً: أمير البيان

وهنا كلمة لابن أبي الحديد بعد ذكره كلاماً قاله الإمام "بعد تلاوته (ألهاكم التكاثر ۞ حتى زرتم المقابر)[3] قال ابن أبي الحديد:

"وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس وتلي عليهم أن يسجدوا له، كما سجد الشعراء لقول عديّ بن الرقاع:

*قلم أصابَ من الدواةِ مدادها*

فلما قيل لهم في ذلك، قالوا: إنا نعرف مواضع السجود في الشعر؛ كما تعرفون مواضع السجود في القرآن.

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣١٥/٢٠.

٢ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٢٦/٢٠.

٣ – خ٢٢١، ص٣٣٨.

وإني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور وأمثالها من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه، إذا أراد الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسي المسوح الذين لم يأكلوا لحماً ولم يريقوا دماً... وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني، ويوحنا المعمدان الإسرائيلي، والمسيح بن مريم الإلهي.

وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به؛ لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة، ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثّرت في قلبي وجيباً، وفي أعضائي رِعدة..." [1]

وبعد فهذا شيء من السيرة الذاتية للإمام (عليه السلام) وبعض من روائعه التي لا تحد.

وحق للقائل أن يقول:

تحيرُ بمعناكَ عشرُ العقولْ ولولا ابنُ عمِّكَ كنتَ الرسولْ
ولولاكَ لا بعلَ يغشى البتولْ ولولا الغلوُّ لكنتُ أقولْ
جميعُ صفاتِ المهيمنِ لكْ

وليس المعنى بالطبع أن صفات عليٍّ هي صفات الله تعالى لأن صفات الله تعالى هي عين ذاته، وأما صفات عليٍّ فهي مُفَاضَةٌ من الله تعالى، وكما قلنا فتلك صفات واجب الوجود التي لا يصل إليها ممكن الوجود، وهذه صفات الممكن ولكنها في أرفع درجات الإمكان. فكان عليٌّ مظهراً لعلم الله تعالى ومظهراً لقدرته ولكلِّ أثرٍ من آثاره.

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥٣/١١.

# خاتمة

كان عبدا لله بن عباس قبل موته يرفع يديه إلى السماء ويكرر قوله: "اللهم إني أتقرَّبُ إليك بمحمدٍ وآلِ محمد، اللهم إني أتقرب إليكَ بولايةِ الشيخِ عليٍّ بنِ أبي طالب" [1]

وجاء في زيارة الأمير (عليه السلام): [2]

"السلامُ على أبي الأئمة، وخليلِ النبوة، والمخصوصِ بالأخوة، السلامُ على يعسوبِ الدينِ والإيمان، وكلمةِ الرحمان، السلامُ على ميزانِ الأعمال، ومقلّبِ الأحوال، وسيفِ ذي الجلال، وساقي السلسبيلِ الزلال، السلامُ على صالحِ المؤمنين، ووارثِ علمِ النبيين، والحاكمِ يومَ الدين، السلامُ على شجرةِ التقوى، وسامعِ السرِّ والنجوى، السلامُ على حجةِ الله البالغة، ونعمتِهِ السابغة، ونقمتِه الدامغة، السلامُ على الصراطِ الواضح، والنجمِ اللائح، والإمامِ الناصح، والزنادِ القادح، ورحمةُ اللهِ وبركاته "ويستحب في تعقيبات الصباح أن يقال:

"اللهم أحيني على ما أحييتَ عليهِ عليَّ بنَ أبي طالب، وأمتْني على ما مات عليه عليُّ بنُ أبي طالب (عليه السلام)" [3]

نسأل الله تعالى أن يحيينا على نهجه العظيم، ويحشرنا تحت ظلال لوائه لواء الحمد، ويسقينا من حوض كوثره بيده، ويجعلنا معه في أعلى عليين

---

١ - الكنى والألقاب ١/٣٤٧-٣٤٨.

٢ - مفاتيح الجنان، ص٤٣٧.

٣ - مفاتيح الجنان /٤٨.

# المعاد

أولاً: تعريف المعاد

ثانياً: سَيرُ الإنسانية

ثالثاً: ﴿يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماوات﴾

رابعاً: عدلٌ وعفوٌ ومُداقة

خامساً: صورتانِ للنعيمِ والجحيم

سادساً: نومتانِ عن الجنةِ والنارِ مُردِيتان

سابعاً: الخيرُ والشرُّ الحقيقيان

## مدخل

قد قال (عليه السلام):

**(عَجِبْتُ لِمَنْ أنكرَ النشأةَ الأخرى وهو يَرَى النشأةَ الأولى)**

الدرس الختامي لهذا الدرس الشريف هو الحديث عن الأصل الخامس من أصول الدين وهو المعاد. وبحث المعاد من أكثر الأمورِ التي عُنِيَ بها الإمام (عليه السلام) في كلِمِهِ، في خطبه وكتبه وكلماته القصار، فنجده يذكُر المعاد ويذكّر به في كل مناسبة لذلك. وحديث المعاد مترامي الأطراف وهو يتعلق بأحاديث عن الدنيا والآخرة ويتصل بموضوع الجنة والنار والبرزخ والبعث والنشور وأمور كثيرة هي في مجموعها من عالم الغيب الذي إنما نأخذ ما نعلم من تفصيلاته من القرآن الكريم ومن أحاديث رسول الله والأئمة عليه وعليهم الصلاة والسلام.

## أولاً: تعريف المعاد

المعاد لغةً: البعث يوم القيامة. واصطلاحاً يعرِّفُهُ علماء الكلام بأنه الوجود الثاني للأجسام وإعادتها بعد موتها وتفرقها [1].

وهذا نصٌّ على أن المعاد يتعلق بإعادة الأجسام وليس إعادة الأرواح فقط كما يعتقد آخرون.

في الكلمة التي افتتحنا بها هذا الدرس يقول (عليه السلام): [2]

(عجبتُ لمن أنكر النشأةَ الأخرى وهو يرى النشأةَ الأولى).

فالإمام يتعجب أن ينكر الإنسان النشأة الآخرة وهي المعاد في حين أنه يرى

---

١ - النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، للمقداد السيوري/٨٦.

٢ - الحكمة رقم١٢٦، ص٤٩١.

النشأة الأولى التي هي الخلق والحياة في الدنيا، فقد خُلِقَ الإنسان وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فمن الممكن والأولى أن يعاد خلقه بعد أن أصبح رفاتاً. وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿أولا يذكرُ الإنسانُ أنا خلقناهُ من قبلُ ولم يكُ شيئاً﴾ (١)

وفي هذا المجال يشير الإمام إلى ناحية أخرى وهي ما عرَّفَ به علماء الكلام المعاد –كما ذكرنا– فيقول الطَّيْلا: (٢)

(حتى إذا تصرَّمَتِ الأمور، وتقضَّتِ الدهور، وأزِفَ النشور، أخرجهم من ضرائحِ القبور، وأوكارِ الطيور، وأوجرةِ السباع، ومطارحِ المهالك، سراعاً إلى أمرِهِ، مهطعينَ إلى معادِهِ، رعيلاً صموتاً، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر). فبعد أن يمكث الإنسان دهوراً في البرزخ وحتى إذا أزف (أي قرب) النشور، يخرج البشر من أماكن شتى كانوا متفرقين فيها، فبعضهم كان في قبر وبعضهم أكلته الطيور في أوكارها وبعضهم أكلته السباع في أوجرتها (أي جحورها) أو في أماكن ومطارح أخرى يموت فيها البشر كقيعان البحار وغيرها، فيخرج الجميع مهطعين (أي مسرعين، وهو تعبير قرآني) فيكونون في سيرهم كالرعيل أي القطعة من الخيل فلا ينفرد أحد عن الآخر بسبب سرعتهم فيكونون كلهم بين يدي الله تعالى يراهم ويحيط بهم وذلك تعبير الإمام (ينفذهم البصر).

## ثانياً: سير الإنسانية

فقد أعطى الإمامُ نبذةً مختصرةً وهي جامعة لسير الإنسانية ابتداءً وانتهاءً.

فمن ذلك قوله الطَّيْلا: (٣)

---

١ – سورة مريم – ٦٧.

٢ – خ٨٣، ص١٠٨.

٣ – خ٨٣، ص١٠٩.

(عبادٌ مخلوقونَ اقتداراً، ومربوبونَ اقتساراً).

فقد خلقهم بقدرته وهو مهيمن عليهم بهذه القدرة وهذا لا يعني أنهم مجبورون على الأعمال بل القسر هنا هو من ناحية الخلق من الأساس كما يقول الشيخ محمد جواد مغنية بأن الإنسان مخيرٌ ظاهراً مسيرٌ باطناً، وهذا لا يعني الجبر في شيء بل يعني أن أساس الخلق كان قسراً و لم يكن باختيار الإنسان، فالإنسان لم يختر أن يأتي للدنيا ولا يختار كيف يخرج منها و لم يختر أن يكون له عقل، بل إن كوننا مختارين في أعمالنا هو في حد ذاته أمر قسري علينا لا خيار لنا فيه.

(ومقبوضونَ احتضاراً، ومضمَّنونَ أجداثاً، وكائنونَ رفاتاً). فالله تعالى يقبض أرواحنا ويحضرها إليه، وأما أجسادنا فتوضع في الأجداث أي القبور، ثم بعد ذلك ينقلب سير الإنسانية فتتحلل هذه الأجساد وتصبح رفاتاً تحت التراب.

(ومبعوثون أفراداً، ومَدِينون جزاءً، ومميزون حساباً).

وتلك مرحلة أخرى من سير الإنسانية، وذلك قوله تعالى: ﴿لقد جئتُمونا فرادى كما خلقناكم أولَ مرةٍ وتركتُم ما خوَّلْناكم وراء ظهورِكم﴾[1]، وقوله تعالى في موضوع التمييز بين الناس في الحساب كل بعمله: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فمنهم شقيٌّ وسعيد﴾[3] فكلٌّ مدينون ومجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ولا تزِرُ وازرةٌ وزرَ أخرى﴾[4].

(قد أُمهِلوا في طلبِ المخرجِ، وهُدوا سبيلَ المنهجِ؛ وعُمِّروا مَهَلَ المستعتب، وكُشِفَتْ عنهم سُدَفُ الريَبِ، وخلُّوا لمضمارِ الجياد... في مدةِ الأجل).

و لله الحق أن يعاتبهم ويحاسبهم فقد أمهلهم وأعطاهم الحياة وأعطاهم

---

١ - سورة الأنعام - ٩٤.

٢ - سورة يس - ٥٩.

٣ - سورة هود - ١٠٥.

٤ - سورة الإسراء - ١٥.

الاختيار وأوضح لهم الطريق ومكّنهم من التنافس في المضمار نحو الخيرات والمكارم لنيل الجنة.

## ثالثاً: ﴿يومَ تبدّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماوات﴾

وفي هذا المجال نلاحظ قوله (عليه السلام): [1]

(حتى إذا بلَغَ الكتابُ أجلَه، والأمرُ مقاديرَه، وأُلحِقَ آخِرُ الخلقِ بأوَّلِه، وجاءَ من أمرِ اللهِ ما يريده من تجديدِ خلقِه).

ومن أقواله (عليه السلام): "تخففُوا تلحقوا، فإنما يُنتَظَرُ بأوَّلِكم آخرُكم). [2]

فهم مجموعون جميعاً أولهم وآخرهم في عرصة واحدة ومجمع واحد، فبعد ذلك البلى والتحلل في التراب أو في أحشاء الحيوان أو في قاع البحار يشاء الله تعالى أن يعيد الناس من جديد فيكون ذلك الموقف الرهيب:

(أمادَ السماءَ وفطَرَها، وأَرَجَّ الأرضَ وأرجفَها، وقلعَ جبالَها ونسفَها، ودكَّ بعضُها بعضاً من هيبةِ جلالتِه، ومَخوفِ سطوتِه، وأخرجَ من فيها، فجدَّدهم بعد إخلاقِهم، وجمعهم بعد تفرُّقِهم، ثم ميَّزهم لما يريده من مسألتهم عن خفايا الأعمال، وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين: أنعمَ على هؤلاء وانتقمَ من هؤلاء...).

وميزهم بأعمالهم فريقين: ﴿فريقٌ في الجنةِ وفريقٌ في السعير﴾ [3]، وعندها (لا يظعَنُ النُزّالُ) أي لا يرتحلون بل يقيمون فيقال لأهل الجنة: خلود، ويقال لأهل النار: خلود.

---

١ - خ١٠٩، ص١٦١.
٢ - خ٢١، ص٦٢-٦٣.
٣ - سورة الشورى - ٧.

وقال عليه السلام: [1]

(يومٍ تشخصُ فيه الأبصار، وتُظلِمُ له الأقطار... ويُنفَخُ في الصور، فتزهقُ كلُّ مهجةٍ، وتبكَمُ كلُّ لهجة، وتذِلُّ الشمُّ الشوامخ... فلا شفيعٌ يشفعُ، ولا حميمٌ ينفعُ، ولا معذرةٌ تدفعُ).

وذلك قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ۞ فيذَرُها قاعاً صفصفاً﴾ [2]

## رابعاً: عدل وعفو ومداقة

ولو أنّا إذا مُتنا تُركنا ... لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حيٍّ
ولكنّا إذا مُتْنا بُعِثنا ... ونُسْأَلُ بعدَها عن كلِّ شيٍّ

ويتحدث الإمام عن هذا العدل والعفو والتدقيق في الحساب في عدة مواطن، فمن ذلك:

قوله عليه السلام في كتابٍ كتبه إلى محمد بن أبي بكر: [3]

(فإنَّ الله تعالى يسائِلُكم معشرَ عبادِهِ عن الصغيرةِ من أعمالِكم والكبيرة، والظاهرةِ والمستورة، فإنْ يعذّبْ فأنتم أظلم، وإنْ يعفُ فهو أكرم).

فمن جانب نجد الإحاطة التامة من الله تعالى بأعمال العباد والدقة في تسجيل جميع شؤونهم ﴿ويقولونَ يا ويلتنا ما لهذا الكتابِ لا يغادِرُ صغيرةً ولا

---

١ - خ١٩٥، ص٣١٠.

٢- سورة طه - ١٠٥-١٠٦.

٣ - الكتاب رقم٢٧، ص٣٨٣.

كبيرةً إلاّ أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلِمُ ربُّـكَ أحـداً﴾[1]، والتعبير بالعباد تعبير مهم وله مدلوله وهو أن ا لله تعالى هو المولى والنـاس عبيـده فهـو إذن يملك أمر مساءلتهم وحسابهم على أعمالهم صغيرهـا وكبيرهـا وظاهرهـا وباطنهـا وتلك هي الدقة في رصد الأعمال لأنه تعالى مطلع على كل شـيء ﴿ولقـد خلقنـا الإنسانَ ونعلمُ ما توسوِسُ به نفسُه ونحنُ أقربُ إليـهِ مـن حبـلِ الوريـد﴾[2]. فـإنْ عذّبَ ا لله تعالى عباده فذلك هو العدل لأنه إنما يعذبهم بأعمالهم، وإنْ عفـا عنهـم فهـو العفـوُّ الكريـم. إذن ففـي ذلـك مشـهد وشـأن مـن شـؤون المعـاد والقيامـة. وتلاحظن أن في مجموع ذلك ومـا سيأتي أيضـاً حكمـاً وأدلـةً عقليـةً توجـب أن يكون المعاد حقاً وأنه لا بد منه، وإلا لما كان هناك عدلٌ وانتظام ولكان القويُّ في هذه الحياة الذي يظلم ويفتك لا يُؤخَذُ منـه الحـق للضعيـف المظلـوم وهذاخـلاف العدل والحكمة الإلهية وتضييعٌ لحقوق الإنسان من النفس والمال والحريات.

## خامساً: صورتان للنعيم والجحيم

تحدث الإمام عن نعيم الجنة وعن جحيم النار في مواطن عديدة، فمن ذلـك قوله عليه السلام:

(واعلموا أنه من يتقِ ا لله يجعلْ لهُ مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم، ويخلّدْهُ في ما اشتهتْ نفسُه وينزِلْهُ مـنزِلَ الكرامـةِ عنـده، في دارٍ اصطنعهـا لنفسِـه؛ ظلُّهـا عرشُه، ونورُها بهجتُه، وزوّارُها ملائكتُه، ورفقاؤُها رسلُه).

فالجنة فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشـر. وقـد وصفها الإمام بهذه العبارات الكبيرة، وإن أمر الجنة وما تحويـه لدليـل علـى عِظَـمِ تكريم ا لله تعالى للإنسان لو وعى الإنسان ذلك. وإذا كانت الجنة بهـذا المستوى من النعيم والتكريم الإلهي وبما فيها من المقربين، وقـد أرادهـا ا لله تعـالى لعبـاده -

---

١ - سورة الكهف - ٤٩.

٢ - سورة ق - ١٦.

فما الذي يجدر بالعباد أن يصنعوا؟

(فبادِرُوا المعادَ، وسابِقوا الآجالَ، فإن الناسَ يوشِكُ أن ينقطِعَ بهِمُ الأملُ، ويرهقَهمُ الأجل، ويُسَدَّ عنهم بابُ التوبة).

وبعد أن أشار الإمام إلى الجنة وما يجدر بالإنسان أن يصنعه لينال ذلك التكريم - يشير الإمام إلى جحيم النار بقوله:

واعلموا أنه ليس لهذا الجلدِ الرقيقِ صبرٌ على النار، فارحموا نفوسَكم، فإنكم قد جربتموها في مصائبِ الدنيا. أفرأيتم جزعَ أحدِكم من الشوكةِ تصيبُه، والعثرةِ تدميه، والرمضاءِ تحرقُه؟ فكيف إذا كان بين طابقينِ من نار، ضجيعَ حجرٍ وقرينَ شيطان! أعلمتم أنَ مالكاً إذا غضبَ على النارِ حطَمَ بعضُها بعضاً لغضبِه، وإذا زَجَرَها توثَّبتْ بين أبوابها جزعاً من زجرتِه!). والإمام هنا يتحدث عن أشياء محسوسة ندركها ولكنا قد نغفل عنها، فهو يذكّرنا بها لكي تكون أكثر حجة وتأثيراً فينا. فقد جَرَّبَ الإنسان مقدار تحمله لمصائب الدنيا وضعفه أمامها، فالشوكة تدميه، وجسده ضعيف لا يقوى على الآلام فكيف يصنع بألم النار وشدة العذاب وأهوال الجحيم ﴿يا أيها الذينَ آمنوا قوا أنفسَكم، وأهليكم ناراً وقودُها الناسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ﴾[1] ومالكٌ خازنُ النار لا يحتاج لإشعالها حتى تضطرب بل إنه إذا غضب عليها اضطربت وتأججت وحطَمَ بعضها بعضاً.

ثم يخاطبُ الإمام كبار السن بشكل خاص لضعفهم وقرب أجلهم عادة، بقوله:

(أيها اليَفَنُ الكبير، الذي قد لَهَزَهُ القتير، كيف أنتَ إذا التحمتْ أطواقُ النارِ بعظامِ الأعناق، ونشبتْ الجوامعُ حتى أكلتْ لحومَ السواعد). فهو يذكر هذا الشيخ ضعيف البدن بأطواق النار التي تطوِّقه، وبالجوامع (الأغلال) التي تأكل لحم

---

١ - سورة التحريم - ٦.

سواعده وهذا ما لا يحتمله الإنسان فلو تدبر فيه لم يُقدِم على المعصية.

فقد جمع الإمام ذكر الجنة ونعيمها وذكر الجحيم وعذابها، وما ينبغي للعباد أن يصنعوه، ثم ختم بقوله:

(أقولُ ما تسمعون، والله المُستعانُ على نفسي وأنفسِكم، وهو حسبُنا ونعم الوكيل).

وقال عليه السلام: [1]

(فمن أقربُ للجنةِ من عاملِها، ومن أقربُ إلى النارِ من عاملِها ! وأنتم طرداءُ الموت، إنْ أقمتم له أخذكم، وإنْ فررتم منه أدرككم، وهو ألزمُ لكم من ظلّكم. الموتُ معقودٌ بنواصيكم؛ والدنيا تُطوَى من خلفكم. فاحذروا ناراً قعرُها بعيد، وحرُّها شديد، وعذابُها جديد. دارٌ ليس فيها رحمة...). فالتسابق مُتاحٌ للجميع وبإمكان كل فرد أن ينال الجنة بعمله، كما أنه له الخيار أن يدخل النار بعمله أيضاً. وقد عبر الإمام عن عذاب النار بأنه جديد وذلك قوله تعالى: ﴿كلما نضِجتْ جلودُهم بدّلْناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾[2]، وإن النار ليس فيها رحمة من جهة العذاب لأن من فيها لا يستحق ذلك.

## سادساً: نومتان عن الجنة والنار مرديتان

قال عليه السلام: [3]

(ألا وإني لم أرَ كالجنةِ نامَ طالبُها، ولا كالنارِ نامَ هاربُها).

فهناك من يطلب الجنة ولكنه في مجال العمل لا يعمل للوصول إليها بل ينام

---

١ – الكتاب رقم٢٧، ص٣٨٤.

٢ – سورة النساء – ٥٦.

٣ – خ٢٨، ص٧١.

عن ذلك أو أن الجنة نظراً لما فيها من النعيم العظيم والتكريم ينبغي أن لا ينام من يطلبها لأنها تستحق العمل الدائم من أجلها، فمن يعشق شيئاً دنيوياً نجده يحرص على نيله وإذا كان موعده قريباً نجد أنه لا ينام شوقاً إليه وخوفاً من أن يفوته غداً. وكذلك فإن النار بما فيها من أهوال كيف ينام من يريد الهرب منها، فإن من يحذر من أمر دنيوي نجده قلقاً مضطرباً خائفاً فلا ينام بسبب ذلك أو أنه يستميت في سبيل التخلص منه والبعد عنه. وهاتان النومتان عن الجنة والنار هما النومتان المرديتان فإن نتيجتهما الهلاك والحرمان من نعيم ليس فوقه نعيم.

## سابعاً: الخير والشر الحقيقيان

قال عليه السلام: [1]

(ما خيرٌ بخيرٍ بعدهُ النار، وما شرٌّ بشرٍّ بعدهُ الجنة، وكلُّ نعيمٍ دونَ الجنةِ فهو محقور، وكلُّ بلاءٍ دونَ النارِ عافية).

وما أروع أمير المؤمنين في فكره وهديه وقولِه وعملِه، فهو يبين عليه السلام هنا أن جميع ما في الدنيا من نعيمٍ وملكٍ ومالٍ يُؤتاهُ الإنسان، فيكون كفرعون أو قارون أو معاوية أو يزيد أو هذه النماذج من الماضين والباقين الذين نالوا من الدنيا أكبر النعيم وتحكموا بها. ومع ذلك حينما يكون عاقبة كل ذلك إلى النار ينكشف الواقع وأن ما كانوا عليه لم يكن نعيماً حقيقياً بل نعيماً زائفاً ولم يكن خيراً حقيقياً، وإن هذا النعيم كله تُنسيهِ حالةٌ واحدةٌ ولحظاتٌ قليلة في نارِ جهنم ومشهدٌ واحدٌ من مشاهد القيامة. وأما من ينال بلاءً وشرًّا دنيوياً فيُظلَم، ويُنهَب ويُشتَم ويُشهَّرُ به ويُفترَى عليه ويُحتقَرُ وهو في رثِّ الثيابِ ولياً من أولياءِ اللهِ تعالى لو أقسم على اللهِ لأبرَّ قَسَمَه. ومع كل ذلك البلاء الذي يناله فإن ذلك ليس شراً حقيقياً، لماذا؟ لأن وراءه نعيم الجنة وهو النعيم والخير الحقيقي ﴿ورضوانٌ من اللهِ أكبر﴾.

---

١ - الحكمة رقم٣٨٧، ص٥٤٤.

إذن نحن نؤمن ونؤكد بأن هذه المشاهد وهذه الحقائق عن المعاد يجب أن تبقى في أذهاننا وتخالط مشاعرنا لأن الارتباط بالمعاد له أكبر الأثر في سير الإنسان نحو الله تعالى ونيل رضوانِهِ وجنانِهِ.

وفي نفس الوقت نلتمس جانباً آخر غير الخوف من الآخرة وهو جانب من الألطاف الإلهية ألا وهو التمسك بولاء أمير المؤمنين عليه السلام والتزام نهجه وسيرته. وإن ما ينال المؤمن بسبب هذا الولاء، من البلاء والمضايقة في عمل أو دراسة أو في سائر الأمور، لا لشيءٍ إلا لأنه يوالي محمداً وآلَ محمد، فكل ذلك البلاء يهون ما دام الإنسان على الحق وما دامت عاقبته إلى النعيم.

ولذلك أحببتُ أن أختم هذا الدرس الشريف بذكر بعض من آثار الولاء لأولياء الله تعالى، محمدٍ وآلِ محمد، وبعضٍ من آثار العداء والبعد عنهم.

"وإنَّ على الكوثرِ أميرَ المؤمنين عليه السلام وفي يدِهِ عصاً من عوسج يحطِم بها أعداءَنا، فيقولُ الرجلُ منهم إني أشهدُ الشهادتين، فيقول انطلقْ إلى إمامِكَ فلان فاسألْه أن يشفعَ لك، فيقولُ: تبرَّأَ مني إمامي الذي تذكرُه، فيقولُ ارجعْ إلى ورائك فقل للذي كنتَ تتولاّه وتقدِّمه على الخلق فاسألْهُ إذا كان خيرَ الخلقِ عندك أن يشفعَ لك فإن خيرَ الخلقِ من يشفع، فيقول إني أهلكُ عطشاً، فيقول له زادَكَ الله ظمأً وزادَكَ الله عطشاً. قلتُ: جعلتُ فداك وكيف يقدرُ على الدنوِّ من الحوضِ ولم يقدرْ عليه غيرُه. فقال وَرِعَ عن أشياءَ قبيحةٍ وكفَّ عن شتمِنا أهلَ البيت إذا ذكرنا، وترك أشياء اجترأ عليها غيره وليس ذلك لحبنا ولا لهوىً منه لنا، ولكن ذلك لشدةِ اجتهادِهِ في عبادتِه وتدينِهِ ولما قد شغل نفسه به عن ذكر الناس، فأما قلبه فمنافق ودينه النصب، واتباعه أهلَ النصب وولايةُ الماضين وتقديمه لهما على كلِّ أحد".[1] هذا حال عدو آل محمد، فماذا عمن يوالي محمداً وآل محمد:

"وأمير المؤمنين عليه السلام قائمٌ على الحوضِ يصافحُهُ ويرويه من الماء وما يسبقه

---

١- كامل الزيارات/١٠٢.

أحدٌ إلى ورودِهِ الحوض حتى يروى ثم ينصرف إلى منزلِهِ من الجنة ومعه ملَكٌ من قِبَلِ أميرِ المؤمنين يأمر الصراطَ أن يَذِلَّ له ويأمر النارَ أن لا يصيبه من لفحِها شيء حتى يجوزَها ومعه رسوله الذي بعثه أمير المؤمنين عليه السلام". [1]

أبَا حَسَنٍ لو كـانَ حُبـكَ مُدْخِلِي جهنمَ كانَ الفوزَ عندي جحيمُهَا
وكيف يُخافُ النارَ مَنْ بَاتَ مُوقِنـاً بِـأنَّ أمِـيرَ المؤمنـينَ قَسِـيْمُهَا

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل اليسير، وهذا الدرس الذي عشقتُهُ وارتبطتُ به وأحسُّ بالحسرة لانتهائه فأسألُ الله تعالى أن يتقبله بأحسن القبول وأن يجزيَ بالحسنى كل من ساهم في إحياءِ هذا الأمر من اللجنة النسائية واللجنة الرجالية والطالبات العزيزات وأصحاب هذا المكان الشريف وكل من ساهم في ذلك. ونسأل الله تعالى أن يكافئنا على ذلك ويثبتنا على حب أمير المؤمنين والتزام نهجه وسيرته.

---

١ - كامل الزيارات/١٢٣.

## الفهرس


مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٩٧٩
التاريخ ٤ /٢ /٢٠٠٥

